

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة الجامعات والبحث العلمي

معهد أصول الدين

جامعة الأمير عبد القادر

شعبة الكتاب والسنة

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

عبد الرحمن الثعالبي

(785 هـ - 875 هـ)

ومنهجه في التفسير

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

في التفسير

إشراف

إعداد

الدكتور مساعد مسلم آل جعفر

الطالب : رمضان يخلف

السنة الجامعية

1411 - 1412 هـ

1991 - 1992 م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

تنبیه ٨

بعد مناقشة هذا البحث يوم 7 جويلية 1992 رأت اللجنة ضرورة حذف الفصلين الأول والثاني لعدم ملائتهما لموضوع الرسالة ، فتم حذفهما مع الإبقاء على نفس الترقيم لصفحات الفصول الأخرى حرصا على التطابق الموجود بين هذا الترقيم والفهارس الموجودة في آخر الرسالة .

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في كتابه : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » المائدة : 18

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، أنزل عليه القرآن ، وأمره بالتفسير والبيان فقال : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » النحل : 44 اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين وبعد :

فإن القرآن الكريم هو كلية الشريعة وعمدتها ، فمريد الوصول إلى حقيقة الدين وأصول الشريعة يجب عليه أن يجعل القرآن بمنزلة القطب الذي تدور عليه جميع الأدلة الأخرى ، فمنه قامت أدلة صحة الإعتقاد عليه ، وأدلة صحة اعتماد مصادر الشريعة الأخرى .

ولذلك كان علم التفسير هو أجل العلوم الشرعية ، وظل منذ صدر الإسلام محل اهتمام كبير ، سواء من علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم ، أو من أولئك الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر .

ولهذا خلف لنا هؤلاء جميعاً - مسلمون وغير مسلمين ، مبتدعون وغير مبتدعين - كتباً كثيرة في تفسير القرآن ، كل كتاب منها يحمل طابع صاحبه ويتأثر بمذهب مؤلفه ، ويتلون باللون العلمي الذي راج في عصره .

وقد عني الباحثون بدراسة بعض هذه الكتب دون البعض الآخر ، ومن هذه الكتب التي لم تحظ بعد بالدراسة كتاب : « الجواهر الحسان في تفسير القرآن » لعبد الرحمن الثعالبي الجزائري .

فبالرغم من شهرة هذا التفسير وانتشاره في مختلف عواصم العالم الإسلامي ، وثناء أهل العلم عليه ، إلا أنه مازال لم ينبر له طلاب العلم بشيء من الدراسة تيسر الرجوع إليه والإفادة منه .

ولما إطلعت على هذا التفسير وقرأت منه ما شاء الله أن أقرأ بدا لي من خلاله عظمة هذا الرجل وعلو كعبه في هذا العلم ، إنه أحد الأئمة الأعلام الذين ظهروا في وقت كان الناس قد بلغ بهم التعصب والجمود مبلغاً عظيماً ، فإذا به يشذ عن تلك القاعدة ليكون عالماً محققاً ،

ونظارا مدققا ، فأغنى المكتبة الإسلامية بهذا التفسير وغيره من المصنفات العلمية ، إلا أنها ظلت مغمورة لفترة من الوقت مما دفعني وشجعني على انتقاء موضوع بحثي مما خلفه لنا من ثرات ، فوقع اختياري على دراسة منهجه في التفسير الذي يجمع فيه بين محاسن الطرق المختلفة ، إلى جانب اجتهاده في تنقية التفسير مما علق به وليس منه ، وإن كان قد تأثر بعصره ومعاصريه بعض الشيء إلا أن ذلك يسير في جانب ما قدمه .

ولما كانت شخصية عبد الرحمان الثعالبي هي الأخرى قد تعرضت للمسح والتشويه بفعل عوامل تاريخية متعددة حتى أصبح في تصور الكثير من الناس أنه مجرد ذلك الولي الصالح الزاهد الذي يحج إليه من جميع أنحاء الوطن الجزائري ، ومن خارجه ، للتبرك والتضرع أمام ضريحه رأيت أن أضرم إلى موضوع البحث بابا آخر للتعريف بشخصيته العلمية وظروف نشأته وملابس عصره ، فانتهيت بذلك إلى العنوان التالي : وهو « عبد الرحمان الثعالبي ومنهجه في التفسير »

فكان الهدف الذي توخيته من هذا البحث ينحصر في عنصرين أساسيين : أولهما : إبراز الصورة الحقيقية لشخصية الثعالبي ، وثانيهما : دراسة وصفية لمنهجه في التفسير من خلال كتابه الجواهر الحسان .

فأما فيما يتعلق بالترجمة لحياة الثعالبي وعصره فقد رجعت إلى الكتب القديمة من جهة وإلى الدراسات الحديثة من جهة أخرى ، فمن بين الكتب القديمة التي اعتمدها الديباج المذهب في أعيان المذهب لابن فرحون وكتاب العبر لابن خلدون وكتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم التلمساني . وأما الكتب الحديثة فكثيرة نذكر منها تاريخ الجزائر في القديم والحديث لمبارك الميلي ، وتاريخ الجزائر العام لعبد الرحمان الجيلالي وتاريخ الجزائر الثقافي للدكتور أبي القاسم سعد الله . كما رجعت إلى فهارس الكثير من مكاتب الدول العربية وغير العربية التي تحتوي على المخطوطات العربية بحثا عن الآثار التي تنسب للثعالبي .

وأما فيما يتعلق بالحديث عن منهج الثعالبي في التفسير فقد رجعت بالدرجة الأولى إلى كتابه الجواهر الحسان في تفسير القرآن في طبعته الأخيرة التي أشرف عليها الدكتور عمار طالبي على ما فيها محاولا إصلاح الخطأ ما أمكنني بالوسائل المتاحة .

إلا أن رجوعي إلى تفاسير المتقدمين الذين استعان بهم الثعالبي مكنني من تدارك الخلل وسد الثغرات التي تعترضني أثناء البحث ، وقد رجعت إلى جانب ذلك كله إلى مختلف كتب الحديث واللغة والتراجم ، وهي الكتب التي لا يستغني عنها كل باحث في هذا المجال لتأصيل مادته العلمية ، ورجعت إلى كتب علوم القرآن وفي مقدمتها البرهان للزركشي والاتقان للسيوطي ، وغيرهما من الكتب التي أثبت عناوينها في قائمة المراجع في آخر هذا البحث .
وقد أحلت في الهامش على الكتب التي اعتمدها في بحثي فبينت عنوان الكتاب والجزء ورقم الصفحة ، أما رقم الطبعة وتاريخ ومكان صدورها فقد اقتصر في إثبات ذلك عند استعمال كل مرجع لأول مرة ، ثم ذكرنا ذلك كله في ثبت المصادر والمراجع تفاديا للتكرار الممل .
كما أرجعنا كل آية ورد ذكرها في صلب البحث إلى مكانها من المصحف فذكرنا السورة ورقم الآية ، وخرجنا الأحاديث النبوية بالإشارة إلى مظانها من كتب السنة ، وذكرنا أقوال العلماء فيها كلما اقتضى البحث ذلك ، وترجمت لمختلف الأعلام والقبائل والأماكن بما يزيل اللبس ويدفع الغموض مستعينين في ذلك بكتب التراجم والمعاجم المعتمدة .

خطة البحث : لقد اقتضى منا المنهج العلمي تقسيم هذا البحث إلى مقدمة وبابين وخاتمة .
الباب الأول ويشتمل على ترجمة مسهبة لحياة الثعالبي ، إلى جانب إطلالة تاريخية على ظروف عصره وبيئته ، وقد كتبنا في ذلك أربعة فصول :
الفصل الأول : وتناولت فيه المؤثرات السياسية والاجتماعية التي تميز بها عصر الثعالبي .
الفصل الثاني : وفصلت فيه القول في الحركة الثقافية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين بما يتناسب وحجم هذا البحث .
الفصل الثالث : وهو عبارة عن ترجمة مستفيضة لحياة الثعالبي في مختلف جوانبها الروحية والثقافية والاجتماعية وركزنا على الجانب العلمي لما له من صلة وثيقة بصلب البحث
الفصل الرابع : وتحدثت فيه عن آثار الثعالبي العلمية ، تلاميذه ومؤلفاته .

أما الباب الثاني فيتناول الشطر الثاني والمهم من البحث ، وهو الحديث عن منهج الثعالبي في التفسير ولذلك أخذ ثلثي البحث في شكله ومضمونه ، فاقترضت طبيعة هذا الباب أن يقسم إلى سبعة فصول هي :

الفصل الأول : وضمنته الحديث عن موقف الثعالبي من التفسير المأثور

الفصل الثاني : وتكلمت فيه عن موقفه من المدارس الأخرى ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : موقف الثعالبي من التفسير بالرأي

المبحث الثاني : موقفه من التفسير الإشاري .

الفصل الثالث : وبينت فيه طريقة الثعالبي في إفادته من كتب السنة وموقفه من القصص

والأخبار الضعيفة والواهية .

الفصل الرابع : وحاولت أن أبين فيه منهج الثعالبي في تفسير آيات الأحكام ، وقد عرجت

في هذا الفصل على موقفه من النسخ في القرآن الكريم ، والقراءات القرآنية لما لهما من علاقة قوية في تقرير الأحكام الشرعية .

الفصل الخامس : وتكلمت فيه عن موقف الثعالبي من المتشابه في القرآن الكريم .

الفصل السادس : وتحدثت فيه عن مدى تأثير الثعالبي بمن تقدمه من المفسرين .

الفصل السابع : وأفردته للحديث عن مصادر الثعالبي في التفسير .

منهج البحث : أما المنهج الذي سلكته في هذا البحث فهو منهج وصفي استقرائي قام على

تتبع الأمثلة ذات السمات المشتركة في الموضوع الواحد للوصول إلى حكم عام في المسألة الواحدة ، وقد تدرجت دراستنا حسب الخطوات التالية :

الخطوة الأولى : قراءة تفسير الثعالبي مرتين قراءة متأنية لتكوين فكرة إجمالية عن مادته

العلمية .

الخطوة الثانية : إعادة قراءة الكتاب مرة ثالثة ، مع تدوين الأمثلة والشواهد المختلفة التي

تصلح للتمثيل بها في تبين المعالم الأساسية لمنهج الثعالبي في التفسير

الخطوة الثالثة : تصنيف هذه الأمثلة ، وتوزيعها على فصول البحث .

الخطوة الرابعة : ترتيب كل مجموعة من هذه الأمثلة داخل الفصل الواحد وفق ما تقتضيه

منهجية البحث العلمي ومبادئه .

الخطوة الخامسة : دراسة هذه الأمثلة والتنسيق بينها والتعليق عليها .

الخطوة السادسة : تسجيل خلاصات قصيرة في ثنايا الفصل أو نهايته هي بمثابة النتيجة

المحصلة من تلك الأمثلة مع إعطاء خلاصة عامة تربط الفصل السابق بلاحقه .

وانتهيت من البحث كله إلى خاتمة سجلت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها ، وفي

اعتقادي أنها تمثل الميزات الأساسية لمنهج الثعالبي في تفسيره .

ولم تعترضنا في إنجاز هذا البحث صعوبات كثيرة ، اللهم إلا من حيث تتبع آثار الثعالبي العلمية فقد تطلب منا ذلك تتبع الكثير من فهارس المخطوطات لأكثر من دولة بحثا عن كل أثر - لا يزال مخطوطا - منسوب للثعالبي ، وكذا كثرة اقتباس الثعالبي من كتب الأقدمين التي لا يزال أغلبها مفقودا أو مخطوطا .

وأما ما يرجع إلى الحديث عن منهجه في التفسير فلم يحل دون بلوغنا الهدف صعوبات ذات اعتبار لأنه اعتمد العبارة السهلة والموجزة وقد توخى التبسيط والإختصار والأسلوب المباشر في الكتابة فجاء منهجه واضح المعالم يسهل على الباحث الإلمام به دون كبير جهد . هذا وإن هذا البحث المتواضع هو أول خطوة أخطوها على طريق البحث العلمي أسأل الله أن تكون صائبة ، وأن تتلوها خطوات ، فإن كانت موفقة فذلك ما أردت وإن كانت الثانية فحسبي أنني اجتهدت وأملني أن أوفق بعدها .

كما أنني لا أحسب أن ما فيها من حسنات هو من خالص جهدي بل كثيرا ما كانت تدفعني الحاجة للرجوع إلى أهل العلم نستهدي بنصائحهم وأرائهم حتى استكملته وأخرجته كما هو عليه الآن . فمن الإعتراف بالفضل لأهله أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل من مد لي يد العون في القيام بهذا العمل من حين كان مشروعا في الذهن إلى أن استوى مكتملا على هذه الصورة سواء بالتوجيه والإرشاد أو بالتنبيه إلى المصادر والمراجع ، أو بالمساعدة في الإخراج المادي لهذه الرسالة .

وأخص بالشكر والتقدير أستاذي الدكتور مساعد مسلم الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل ، وأبدى من النصح والتوجيه ما كان خير معين على الإنجاز ، وأنفق من جهده ووقته شيئا كثيرا في سبيل التنبيه إلى مواطن الخطأ والإرشاد إلى كيفية تداركها وتلافيتها .

كما أتوجه بالشكر إلى إدارة الجامعة وعمال المكتبة الذين صبروا معي طيلة فترة البحث ولم يقصروا في إمدادي بكل المساعدات اللازمة فلمني جميعا جميل الثناء وخالص الدعاء على كل ما قدموه لي .

ثم إنني أحمد الله تعالى أولا وأخيرا على إتمامه هذه النعمة وهو القائل في كتابه الكريم : « وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون » النحل : 53
وصلى الله على سيدنا محمد وسلم - وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

جامعة الأمير

الباب الأول

الثعالبي وعصره

العلوم الإسلامية

الفصل الثالث

نشأة الثعالبي

نسبه : هو أبو زيد ، عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف ، بن طلحة ، بن عمر ، بن نوفل ، بن عامر ، بن منصور ، بن محمد ، بن سباع ، بن مكّي ، بن ثعلب ، بن موسى ، بن سعيد ، بن مفضل ، بن عبد البر ، بن قيس ، بن هلال ، بن عامر ، بن حسان ، بن محمد ، بن جعفر ، بن أبي طالب عم الرسول - صلى الله عليه وسلم - (1)

مولده ونشأته : ولد الثعالبي سنة 785 هـ بوادي يسر على بعد 86 كلم بالجنوب الشرقي من عاصمة الجزائر ، ونشأ هناك نشأة علم وصلاح بين أحضان أبويه ، وقد تلقى مبادئ قراءته وتعلمه بمدينة الجزائر وضواحيها ، وقد كان حاضرا يوم غزا الأسبان تدّس في دولة بني عبد الواد ، وإخوته من بني مرين ودخلها بعسكره سنة 800 هـ وكان عمره يومئذ حوالي خمسة عشر سنة (2) .

ولم تكن مدينة الجزائر يومئذ بدار علم ولا مرجعا للتحصيل ، وقد حل بها الرحالة العبدري قبل ذلك وذكر من حالها فقال : «وقد دخلتها سائلا عن عالم يكشف الكربة ، وأديب يؤنس الغربة فكأنني أسأل عن الأبلق العقوق أو أحاول تحصيل بيض النوق» (3) .

ولم نجد سببا نفسره به هذا التخلف الثقافي في مدينة الجزائر يومئذ غير السبب السياسي ، فقد عرفنا فيما سبق أن عصر الثعالبي كان عصر اضطراب سياسي واجتماعي ، فكان القطر الجزائري المعروف اليوم مقسما بين بني حفص في الشرق (قسنطينة ، بجاية ، عنابة) وبني زيان في الغرب (تلمسان ، وهران ، مليانة) وكانت مدينة الجزائر وماجاورها من مناطق الوسط ميدان نزاع بين الدولتين المذكورتين ، وكانت الإمارات المحلية في هذه المناطق توالي القوة الراجحة من السلطتين ، ومن بين هذه الإمارات إمارة الثعالبة بسهل متيجة وماجاورها إلى وادي يسر حيث ولد الثعالبي .

فلهذا السبب كانت مدينة الثعالبي - الجزائر - لا تتوفر إلا على كتيبات لتعليم القرآن ، وبعض المتون ، وتحفيظ القليل من الأحاديث النبوية ، وبذلك كانت فقيرة من الناحية الثقافية

(1) نقل هذا النسب أحمد أبو راس في عجائب الأسفار ولطائف الأخبار . مخطوط : 1220 . المكتبة الوطنية .

الجزائر . ورقة 25 . وقد وجد هذا النسب بخط الشيخ نفسه . انظر التحفة المرضية لابن ميمون الجزائري . ص : 58

(2) تاريخ الجزائر العام . ج 2 . ص : 272

(3) عبد الرحمان الثعالبي والتصوف . ص : 31

إلى حد بعيد .

ونضيف إلى هذا السبب أن الحركة الإقتصادية هي الأخرى لم تنتعش و تزدهر فيها إلا إبان القرن العاشر الهجري حين بدأت تستقبل العديد من النازحين الأندلسيين الذين جلبوا - إلى جانب الروح الحضارية - كتباً وحرفاً وصناعات مختلفة مما غير وجه المدينة تغييراً كاملاً (4) .

لذا وجدنا عبد الرحمان الثعالبي لما بلغ الخامسة عشر من عمره وجد أمامه ثلاثة مدن شهيرة بالعلم ، وهي : بجاية وتلمسان وقسنطينة ، فدفعته رغبته في تحصيل العلم إلى شد الرحال إلى هذه العواصم الثقافية .

ولما تركته هذه الرحلات من أثر كبير في نفس الثعالبي فقد دونها في أكثر من موضع من مؤلفاته .

قال الثعالبي : (لقد رحلت في طلب العلم من ناحية الجزائر من موضع يقال له «يسر» ، وهو واد مشهور هناك ، وذلك في أواخر القرن الثامن ، وتناهت رحلتي إلى بجاية .

في بجاية : دخلت بجاية عام 802 هـ / 1399 م ولقيت الأئمة المقتدى بهم (5) في العلم والدين والورع ، أصحاب الشيخ الفقيه الزاهد ، أبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي (ت 786هـ) وأصحاب الشيخ أبي العباس أحمد بن إدريس (ت 760 هـ) وهم يومئذ متوافرون ، وأهل علم ، وورع ، ووقافون عند الحدود لا يعرفون الأمراء ولا يخاطبونهم ، وسلك أتباعهم وطلبتهم مسلكهم ، رضي الله عن جميعهم ، منهم شيخنا الحافظ أبو الحسن علي بن عثمان المنجلاني ، وعليه كانت عمدة قراعتي ، ومنهم شيخنا الولي ، المحقق ، الفقيه أبو الربيع سليمان بن الحسن وعليه كنت عمدة تجويدي للقرآن ، ومنهم شيخنا أبو الحسن علي بن محمد اليليتني ، وشيخنا علي بن موسى ، وشيخنا الجامع بين علم المنقول والمعقول أبو مهدي عيسى الغبريني ، وشيخنا أبو القاسم المشدالي وشيخنا الجامع بين علمي المنقول والمعقول ، ذو الأخلاق المرضية والأحوال الصالحة أبو العباس أحمد النقاوسي .

حضرت مجالس هؤلاء ، وعمدتي على الأولين - رحمهم الله - ورضي عنهم أجمعين .
الثعالبي في تونس : ثم يتحدث عن حياته العلمية في عاصمة الحفصيين

(4) نور الدين عبد القادر . صفحات في تاريخ مدينة الجزائر . البعث قسنطينة . 1965 . ص : 67

(5) ستاتي ترجمة من أخذ عنهم العلم عند الحديث عن شيوخه

فيقول :

ثم رحلت إلى تونس وبخلتها في أواخر 809 هـ / 1406 وأوائل عام 810 هـ / 1407

فوجدت أصحاب الشيخ ابن عرفة متوافرين فأخذت عنهم وحضرت مجالسهم ، منهم أبو مهدي عيسى الغبريني واحد زمانه علما ، ودينا وورعا ، وإليه كانت الرحلة في زمانه ، وشيخنا الجامع بين علمي المنقول والمعقول أبو عبد الله محمد بن خلف الأبى المتقدم ذكره ، وشيخنا أبو القاسم البرزلي ، وشيخنا أبو يوسف يعقوب الزغبى ، وغيرهم ، وأكثر عمدتي على الأبى : في مصر : قال الثعالبي : ثم رحلت إلى المشرق ودخلت مصر فلقيت بها الشيخ أبا عبد الله محمد البلالي ، فسمعت عليه البخاري ، وقرأت عليه الكثير من اختصاره لإحياء علوم الدين ، ثم حضرت قراءة شيء من الموطأ .

ثم رجعت إلى مصر ، فحضرت مجلس أبي عبد الله البساطي شيخ المالكية ، وأكثر الحضور والقراءة على الشيخ ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم العراقي شيخ الحديثين ، فأخذت عليه علوما شتى معظمها في علم الحديث . وفتح الله سبحانه لي فتحا عظيما وكتب لي بخط يده ، وأجازني رحمه الله تعالى .

الرجوع إلى تونس :

ثم رجعت إلى تونس ، فوجدت شيختنا أبا مهدي عيسى الغبريني قد مات وخلفه في موضعه الشيخ أبو عبيد الله محمد القلشلي ، فالتذنت عنه ولازمته عدة ، وأخذت عن البرزلي في المذاهب الأخيرة البخاري . لم يقتني من سماعه عليه إلا يسير . ولم يكن يومئذ بتونس من أعلمه يقوتني في علم الحديث منه من الله تعالى . إننا تكلمت آنصتورا ، وبلغوا ما أرويه بالقبول ففضلا من الله بسببائه . ثم تقوا تضطرا وانعزلنا ، للحق والاعترا فظا به .

وكلان بعض فضلاء المغاربة هنا يقول لي : لما قدمت علينا من المشرق رأيناك آية السالكين ، ففي علوم الحديث ، وذلك فضلا من الله تعالى وبمنة منه بسببائه . وبمع ذلك لا أسمع بمجلس روي فيه الحديث إلا حضرت . جعل الله ذلك خالصا ، وبلغنا إلى مرضاة ، ونفوذ بالله أن يكون ذلك فخرا أو سمعة .

هذا هو ملخص رحلته العلمية التي قيدها في تفسيره الجوهري الحاصل (٢٥) وفي كتابه

الجامع (7) . غير أن بعض الباحثين ذكروا أن رحلته كانت أبعد من ذلك بكثير فروي أنه رحل أول ما رحل إلى تلمسان حيث اجتمع ببعض علمائه الفطاحل ، وأخذ عنهم ما تيسر له أخذه . وقد روى وسمع هناك عن عالم الدنيا محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني المعروف بالحفيذ ، وكان الثعالبي إذ ذاك يناهز البلوغ . ثم يمم وجهه شطر بجاية فدخلها صحبة والده أيضا سنة ، 802 هـ / 1393 م

فمكث بها زهاء سنة ثم توفي والده ، ودفن هناك ، وعلى إثر وفاة والده عاد إلى مدينة الجزائر قصد الزيارة لأقاربه ثم رجع إلى بجاية ، حيث قضى ما يقرب من سبع سنوات . (8) كما يروى أنه عندما كان راحلا إلى المشرق قد مر بقسنطينة وأخذ عن بعض علمائها بعض العلوم ، وأنه عندما دخل المشرق لم تنته رحلته عند مكة ، بل إنه ذهب من القاهرة إلى تركيا مباشرة ، فدخل مدينة "بورصة" حيث استقبل استقبالاً كريماً "وهناك أقيمت له زاوية هي موقوفة عليه حتى الآن ، ثم رجع قافلاً بعدئذ إلى الحجاز فحج وأخذ عن علمائه ثم عاد إلى مصر ثم إلى تونس سنة 819 هـ / 1416 م فوافى بها العلامة ابن مرزوق الحفيذ التلمساني بعد طول فراق فلزمه ثانية هناك وأخذ عنه علوماً شتى وأجازه بثلاث إجازات أثنى عليه فيها شيخه وحلاه بقوله "سيدي وبركتي الشيخ الإمام الفقيه المصنف العالم المشارك الخير الدين الأكمل أبي زيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي" (9)

ومن خلال النظر في رحلة الثعالبي العلمية يستطيع الباحث أن يكون صورة عن سعة ثقافة الثعالبي ومبلغه من العلم .

ويكفي الثعالبي فخراً أنه أجازه علماء أعلام كالأبي وابن مرزوق وأحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الدين العراقي والغبريني ، أجازه في شتى أنواع العلوم لتدريسها . " فقد أجازه الأبي في الفقه والتفسير ، وأجازه ابن مرزوق في الحديث كالموطأ ، والبخاري ، ومسلم وأبي داود ، وابن ماجه ، وصحيح بن حبان ، وسنن الدارقطني ، ومسنند الشافعي ، ومسنند الدارمي ، والشفاء للقاضي عياض ، وجميع مصنفات النووي ، إلى جانب الكتب

(7) هو مخطوط ضخم يقع في أكثر من خمسمائة ورقة ، يحتوي على ترجمة وافية لحياة الثعالبي وإجازاته العلمية ، وبعض الرسائل المتبادلة بينه وبين أساتذته ، وهو بالخرزانة الملكية بالمغرب الأقصى تحت رقم 3155

(8) الجيلاني . تاريخ الجزائر العام : 273

(9) تاريخ الجزائر العام . ج 2 . ص : 273

الأخرى الفقهية واللغوية ، كالألفية وقصيدة البوصيري والمفردات في القراءات الثمان لأبي داود والتيسير في القراءات لأبي عمرو (10) ولو ذهبنا نستقصي إجازات العلماء له لسودنا في ذلك صفحات كثيرة لتصبح كتابا مستقلا بذاته .

ويكفي أن نورد هنا إجازة ابن مرزوق للثعالبي عند رجوعه من مصر زيادة على ما أجازاه قبل رحلته للمشرق فيقول الثعالبي : " وقد أجازني جميعها شيخنا ابن مرزوق ، وأنا ذاكر كتبنا منها هنا ما لم يتقدم ذكره . فمنها : حلية الأولياء لابن نعيم (11) وموطأ سويل الحدناني (12) ، وموطأ الإمام محمد بن الحسن الشيباني . (13) ، وكتاب الآداب المفردة للبخاري (14) وبر الوالدين وشمائل النبي - صلى الله عليه وسلم - تأليف الترمذي (15) وكتاب الجمعة للنسائي (16) ، وكتاب دلائل النبوة للبيهقي (17) ، وكتاب الآداب له . ومسند الحميدي (18)

(10) عبد الرحمان الثعالبي والتصوف . ص : 37

(11) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني الشافعي ، أبو نعيم ، محدث ، مؤرخ ، صوفي ، ت : 430 هـ . تذكرة الحفاظ . ج 3 . ص : 275 .

(12) موسوي بن سعيد الهروي . من الحفا على المعشرين . ت : 245 هـ .

(13) محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني ، الحنفي ، فقيه مجتهد محدث . البغدادي . تاريخ بغداد . دار الكتاب العربي . بيروت . ج 2 . ص : 172 .

(14) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري ، أبو عبد الله ، محدث ، حافظ ، فقيه ، مؤرخ . ت : 256 هـ . ابن حجر . تهذيب التهذيب . دار صادر . بيروت .

ط 1 . 1947 . ج 9 . ص : 41

(15) محمد بن عيسى بن موسى الترمذي ، أبو عيسى ، محدث ، حافظ ، فقيه ، ت : 279 هـ . تهذيب التهذيب . ج 9 . ص : 344

(16) هو أحمد بن شعيب بن سنان ، النسائي ، أبو عبد الرحمان ، محدث ، حافظ ، من تصانيفه السنن الكبرى ت : 303 هـ . تهذيب التهذيب . ج 1 . ص : 36

(17) أحمد بن الحسين بن عبد الله البيهقي ، الشافعي ، محدث ، فقيه . له السنن الكبرى في الحديث . ت : 458 هـ . عمر رضى كحالة . معجم المؤلفين . دار إحياء التراث العربي . بيروت . ج 1 . ص : 206

(18) محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي الأندلسي ، محدث ، حافظ ، أصولي ، مؤرخ . ت : 488 هـ . ابن خلكان . وفيات الأعيان . دار الثقافة . بيروت . ج 1 . ص : 614

ومسند الطيالسي (19) ومسند أبي يعلى الموصلي (20) ومعجمه ، ومسند ابن أبي جميع (21) وكتاب السنن للشافعي (22) رواية ، والمدني (23) وكتاب اختلاف الحديث له ، وكتاب الرسالة للشافعي ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل (24) ، وكتاب الورع له ، وكتاب الأشعرية له ، ومعجم ابن أبي نافع (25) ، والمعجم الكبير للطبراني (26) ، والمعجم الأوسط له ، والمعجم الصغير له ، وشرح السنة للبغوي (27) ، والمصابيح له ، ومشارق الأنوار للصاغاني (28) ، وشرح معاني الآثار للصحولي (29) ، وكتاب الأذكار للنووي (30) ، وكتاب رياض الصالحين له ، وفضل قيام الليل ، وسلاح المؤمن للعلامة إمام جامع الصالح ،

(19) سليمان بن داود الجارود الطيالسي ، محدث ، حافظ ، من تصانيفه : المسند .

ت : 203 هـ . الأعلام . ج 3 . ص : 125

(20) أحمد بن علي بن المثنى ، أبو يعلى الموصلي ، محدث ، من تصانيفه : المسند . ت : 308

الذهبي . تذكرة الحفاظ . دار إحياء التراث العربي . بيروت . ج 2 . ص : 248

(21) هو محمد بن أحمد بن محمد بن جميع ، محدث ، مسند ، رحالة . ت : 403 هـ

شذرات الذهب . ج 3 . ص : 164

(22) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان الشافعي القرشي ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ت : 204 هـ .

معجم المفسرين . ج 1 . ص : 57

(23) الجراح بن عبد الله المدني محدث ، كان حيا قبل 148 هـ . معجم المؤلفين .

ج 3 . ص : 116

(24) أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيباني ، مجتهد ، أحد الأئمة الأربعة ، ت : 240 هـ . تذكرة الحفاظ ج 2 . ص :

431

(25) عبد الباقي بن القانع بن مرزوق ، البغدادي ، أبو الحسين ، محدث ، حافظ له معجم الصحابة ت : 351 هـ . تذكرة الحفاظ .

93 : 3

(26) سليمان بن أحمد بن أيوب ، الطبراني ، محدث ، مفسر . ت : 360 هـ . عادل نويهض

معجم المفسرين . مؤسسة نويهض الثقافية . بيروت . ج 1 . ص : 214

(27) حسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء ، حافظ ، محدث ، مفسر ، من فقهاء الشافعية . السيوطي . طبقات

المفسرين . دار الكتب العلمية . بيروت . ط 1 . 1981 .

ص : 12

(28) الفضل بن العباس بن يحيى بن الحسين الصاغاني ، محدث ، كان حيا سنة : 420 هـ . معجم المؤلفين . ج 8 .

ص : 70

(29) أحمد بن محمد بن سلامة الحجري ، الطحاوي ، المصري ، الحنفي ، فقيه ، محدث ، ت : 321 هـ . تذكرة الحفاظ ج 3 : 28

(30) يحيى بن شرف بن حسن النووي الدمشقي ، الشافعي ، محي الدين بن زكريا ، فقيه ، محدث ، حافظ . ت :

677 هـ . شذرات الذهب . ج 5 . ص : 354

وكتاب التمني للصابوني (31) ، وكتاب المجالسة للدينوري (32) ، وكتاب صفوة التصوف للمقدسي (33) ، ورسالة القشيري (34) ، وعوارف المعارف للسهروردي (35) ، وكتاب الغيلانيات ، وكتاب أحاديث الخلع ، وكتاب فوائد أبي تمام ، ومسند الشهاب (36) ، وأحاديث الشهاب في المواعظ ، وكتاب مسند أبي أمامة والمستخرج على صحيح مسلم لأبي نعيم الحافظ والمسوغ من المستخرج لأبن عرفة الأسفراني (37) ، ومسند عمر بن عبد العزيز (38) ، وأحاديث أبي الجهم (39) ، وكتاب نظم السيرة لأبن الشهير (40) أربعة أسفار ، سمعتها على مؤلفيها ، وكتاب عيون الأثر في المغازي والسير للعلامة الحافظ ابن سيد الناس (41) ،

- (31) عبد الوهاب بن محمد المالكي ، أبو الفتح ، محدث ، مقرأء . ت : 556 . معجم المؤلفين . ج 6 . ص : 230
- (32) علي بن عبد الواحد الدينوري ، أبو الحسن ، مقرأء ، أخذ عنه ابن الجوزي . ت : 521 . شذرات الذهب . ج 4 . ص : 64
- (33) أحمد بن سلمة المقدسي ، صوفي ، من تصانيفه : اختيار الرفيق لطلاب الطريق . ت : 769 . معجم المؤلفين . ج 1 . ص : 236
- (34) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري الشافعي ، صوفي ، مفسر ، فقيه ، أصولي ، محدث ، متكلم . ت : 465 هـ . طبقات المفسرين ص : 21
- (35) هو عمر بن محمد بن عبد الله القرشي السهرودي الشافعي ، شهاب الدين أبو حفص ، صوفي ، فقيه ، ت : 632 هـ . وفيات الأعيان ج 1 . ص : 480
- (36) هو شهاب بن علي المحسني ذكره الذهبي في الطبقة العشرين من آخر المسنين ت : 708 هـ . تذكرة الحفاظ . ج 2 . ص : 270
- (37) هو محمد بن محمد بن عرفة التونسي المالكي ، مقرأء ، فقيه ، أصولي ت : 803 هـ . الأعلام ج 7 . ص : 43
- (38) عمر بن عبد العزيز ، أحد خلفاء بني أمية ، وخامس الخلفاء الراشدين ، تولى الخلافة سنة 99 هـ ، وت : 101 هـ . ابن الأثير الكامل في التاريخ . ج 4 . ص : 161
- (39) هو محمد بن الجهم عالم بالمنطق ، من آثاره كتاب في الإختيارات ألفه للمؤمن ، فقيه مالكي ، ت : 277 هـ . معجم المؤلفين . ج 9 . ص : 162
- (40) محمد بن إبراهيم بن محمد النابلسي الشافعي ، المعروف بابن الشهير له نظم السيرة بعنوان الفتح القريب في سيرة الحبيب ت : 793 هـ . معجم المؤلفين ج 8 . ص : 218
- (41) محمد بن محمد ، فتح الدين ، المعروف بابن سيد الناس الأندلسي ، المصري ، الشافعي ، محدث ، حافظ ، مؤرخ ، فقيه ، أديب . ت : 734 هـ . شذرات الذهب . ج 6 . ص : 108

وسيرة الإمام الحافظ الدمياطي (42) ، وسيرة الإمام الحافظ تقي الدين المقدسي (43) ، صاحب العمدة وسيرة شيخنا عبد العزيز بن جماعة (44) ، ونظم السيرة لشيخنا زين الدين العراقي (45) ، وكتاب النبي -صلى الله عليه وسلم- لشيخنا عبد الله بن حديدة (46) سمعته عليه ، وشرح الأربعين لابن الفاكهاني المالكي (47) ، وكتاب الأحكام الصغرى لعبد الحق الإشبيلي (48) ، وكتاب المنتقى لابن تيمية (49) ، وكتاب الأحكام لابن دقيق العيد (50) ، وكتاب العمدة في الأحكام والأربعين للنووي ، وكتاب كرامات الأولياء ، ومختصر الموطأ للقابوسي (51) ، وعلوم الحديث لابن الصلاح (52) ، وكتاب سيبويه (53) ،

- (42) هو أحمد بن أبيك بن عبد الله الدمياطي ، شهاب الدين ، محدث ، مؤرخ ، ت : 749 هـ . معجم المؤلفين ج 1 . ص : 171 .
- (43) عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ، الدمشقي ، الحنبلي ، محدث ، حافظ ، ت : 600 هـ . الدهبي . سير أعلام النبلاء ج 13 . ص : 101 .
- (44) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الحموي الشافعي ، فقيه ، أصولي ، متكلم ، محدث ، مؤرخ ، ت : 733 هـ . ابن كثير ، البداية والنهاية ج 14 . ص : 163 .
- (45) عبد الرحيم بن حسين بن عبد الرحمان بن أبي بكر الشافعي العراقي ، محدث ، حافظ ، فقيه ، أصولي ، ت : 806 هـ . الضوء اللامع ج 4 . ص : 171 .
- (46) هو عبد الله بن محمد بن حديدة الأنصاري ، صوفي ، ت : 783 هـ . معجم المؤلفين ج 6 . ص : 115 .
- (47) عمر بن علي بن سالم ، تاج الدين أبوحفص ، ابن الفاكهاني ، فقيه ، مشارك في الحديث ، ت : 731 هـ . البداية والنهاية ج 14 . ص : 167 .
- (48) هو عبد الحق بن عبد الرحمان بن عبد الله بن حسين الأزدي الإشبيلي ، محدث ، حافظ ، فقيه ، ت : 581 هـ . الغديري ، : عنوان الدراية . منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر . بيروت ط 1 سنة 1969 م . ص : 41 .
- (49) هو عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن علي بن تيمية الحراني ، فقيه ، محدث ، من تصانيفه المنتقى من أحاديث الأحكام ، ت : 653 هـ . البداية والنهاية . 13 : 185 .
- (50) موسى بن علي بن وهب بن مطيع القشيري ابن دقيق العيد ، فقيه ، ناظم ، أصولي ، ت : 685 هـ . معجم المؤلفين ج 13 . ص : 43 .
- (51) إبراهيم بن محمد بن خلف القابسي ، المالكي ، محدث ، ت : 403 هـ . معجم المؤلفين ج 1 . ص : 92 .
- (52) هو عثمان بن عبد الرحمان بن عثمان بن موسى الكردي ، الشافعي ، المعروف بان الصلاح ، محدث ، مفسر ، فقيه ، أصولي ، ت : 643 هـ . معجم المؤلفين ج 6 . ص : 257 .
- (53) عمرو بن عثمان بن قنبر سبويه أديب نحوي ت : 180 هـ . معجم المؤلفين ج 8 . ص : 10 .

والمغرب لابن عصفور (54) ، والفصول لابن معطي (55) ، وألفية العمدة لابن مالك (56) ومن كتب فقه الحنفية للقروي ، ومختار الفتوى ، وشرحه لمؤلفه ، والمنظومة ، والهداية .
ومن كتب المالكية الرسالة لأبي زيد (57) والتلقين لابن الحاجب الفرعي (58) ومن كتب الشافعية التثنية ، والمناهج ، والحاوي . ومن كتب الحنبلية الروضة لابن قرافة (59)

قال الثعالبي : وتركت أسماء كتب لم أذكرها خشية الإطالة وهي في فهرستي لمن أرادها ، وقد أجازني شيخنا أبو عبد الله محمد بن مرزوق هذه المصنفات وغيرها مما لم أذكره ، وكتب لي بخطه على ظهر المكتوب ما نصه
" الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . أجزت سيدي ، وبركتي الشيخ الإمام المصنف الصالح المبارك ، الخير الدين الأكمل أبا زيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، وفقه الله ورضي عنه .

أن يروي غير ما تضمنه هذا الدفتر المكتتب هذا على ظهر أوله من المسانيد العديدة .
قال ذلك رحمه الله تعالى محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني ، غفر الله له ولطف به في أواخر رجب عام 820 هـ . والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى " (60)

بعد هذه الرحلة الطويلة التي دامت حوالي عشرين سنة قضاهما الثعالبي في تحصيل العلم

(54) علي بن موسى بن محمد الحضرمي الإشبيلي ، فقيه ، نحوي ، لغوي ، مؤرخ ، شاعر ، ت : 663 هـ . بغية الوعاة ص : 357 .

(55) يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي ، الحنفي ، فقيه ، أديب ، نحوي ، ناظم ، ت : 628 هـ . سير أعلام النبلاء ج 13 . ص : 200 .

(56) محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي ، نحوي ، لغوي ، مقريء ، ت : 672 هـ . معجم المؤلفين ج 10 . ص : 234 .

(57) هو عبد الله بن أبي زيد بن عبد الرحمان القيرواني المالكي ، فقيه ، مفسر ، ت : 386 هـ . ابن فرحون . الديباج المذهب . دار الكتب العلمية . بيروت . ص : 136 .

(58) عثمان بن عمر بن أبي بكر الكردي المالكي ، المعروف بان الحاجب ، فقيه ، مقريء أصولي ، لغوي ، ت : 646 هـ . شذرات الذهب . ج 5 . ص : 234 .

(59) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، الحنبلي ، فقيه ، أصولي ، له الروضة في الأصول . ت : 620 هـ . البداية والنهاية 13 : 99 .

(60) هو أحمد بن محمد بن أحمد ، البغدادي ، فقيه حنفي ت : 428 هـ . تاريخ بغداد . 4 : 377 .

عاد إلى وطنه ومدينته الجزائر وقد ملأت شهرته الآفاق حتى غدا دائما سيد عشيرته وزعيم قومه ، وملاذهم الذي يلجأون إليه في المهلمات .

وقد ولي القضاء على غير رضى منه ثم خلع نفسه ، فعكف على العبادة وبحث العلوم الشرعية بين الناس و بين أبناء ملته وتحبير المؤلفات المفيدة ، والمصنفات العديدة في شتى الفنون إلى أن وافته المنية سنة 876 وعمره تسعون سنة (61)

ولعل الباحث يعجب حينما يجد شخصية رحالة مثل الثعالبي بعد تلك الرحلة الطويلة في أرجاء العالم الإسلامي كيف يفضل بعد ذلك حياة الخلوة والتصوف .

لقد كان من أسباب انعزال بعض العلماء والتجائهم إلى التصوف ونبذ الدنيا ضغط السلاطين عليهم ، مع جهرهم بالظلم والطغيان ، وسكوتهم عن المنكر والفساد

« فقد وجدنا عالما مثل شيخنا عبد الرحمان الثعالبي درس أحوال عصره وتنقل بين عواصم العالم الإسلامي ونهل من علوم وقته ، ومع ذلك كان بين عدة حلول :

أن يعلن الثورة على الأوضاع كما فعل المغيلي ، أو أن يهاجر من بلاده كما فعل المشدالي والونشريسي ، أو أن يصبح مداحا للأمراء كما فعل الحوضي (62) والتنسي (63) وابن قنفذ ، أو أن يعتزل الناس بما فيهم الأمراء والسوقة .

ونحن نجده قد اختار الحل الأخير، وقد أشاد هو نفسه بالذين " لا يعرفون الأمراء ولا يخالطونهم « (64)

غير أن اعتزال الثعالبي للسلاطين وعدم الدخول عليهم لا يعني أنه لم يواكب حركة العصر السياسة ولم يكثرث بما يجري حوله من أحداث

وهنا تجدر الملاحظة أنه قد ظلت شخصية الثعالبي رديحا من الزمن معروفة بدورها البارز في باب التصوف والاعتناء بأمور الآخرة غير أن دورها السياسي في التحريض على الجهاد

(61) إختلف أهل التراجم في تاريخ وفاته ، ففي الضوء اللامع وهو أقدم مرجع ترجم له ، ت : 876 هـ ، وفي نيل

الإبتهاج وشجرة النور الزكية ت : 875 هـ . أما في القاموس الإسلامي لأحمد عطية الله ت : 873 هـ .

(62) هو محمد بن عبد الرحمان الحوضي التلمساني ، ناظم ، أصولي ، من كبار فقهاء المالكية . ت : 910 هـ .

البستان . ص : 252

(63) هو محمد بن عبد الله بن عبد الجليل ، أبو عبد الله التنسي ، مؤرخ ، أديب ، شاعر ، من أكابر علماء تلمسان . ت :

899 هـ . البستان . ص : 248

(64) تاريخ الجزائر الثقافي ج 1 ، ص : 151

والوقوف ضد الأعداء المغيرين ، ودعوة الناس للتسلح ضدهم بكل أنواع الأسلحة ، والاستعانة على ذلك بمختلف الوسائل الشرعية ، هذا الدور غير معروف ، إلى أن كشف أحد الباحثين حول هذه الشخصية عن رسالة ضمن مخطوط جزائري (65) يعود تاريخ نسخه إلى القرن الثامن عشر الميلادي مكتوب عليها اسم الثعالبي ، والرسالة موجهة منه إلى محمد بن أحمد بن يوسف الكفيف ، الذي كان حسب سياق النص بمكان قريب من بجاية ، ردا على رسالة وصلتته من الشخص المذكور الذي استشار الثعالبي في نقل كتبه إلى " زاوية " - دون أن يقول من أين - فوافقه بشرط ألا تحمل بعيدا عن المكان المنقولة منه معللا ذلك بكون الأعداء يقصدون المدن . ثم اغتنم الثعالبي الفرصة ، وأضاف إلى الرسالة حديثا مطولا عن الجهاد .

والرسالة - بهذا المضمون - قد كشفت عن نظرة عبد الرحمان الثعالبي الدولية واطلاعه الواسع على أحوال العالم يومئذ . بالإضافة إلى معرفته الدقيقة بأحوال بلده ، وخبرته الكبيرة بشؤون الأسلحة الموجودة في عصره وطرق الدفاع الحكيمة

والرسالة طويلة لا نستطيع إثباتها في هذه المقام ، ولذا نكتفي بهذه القطوف لتكون شاهدا على ما نقول :

" من عبد الرحمان بن محمد الثعالبي لطف الله به إلى مقام الولد الفقيه الخير أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سيدي يوسف الكفيف سلام عليكم ورحمته وبركاته :

" ... وفرحت بحمد الله باشتغالكم بدرق العود فما يوجد أنفع منه للنشاب ولا لدفع مضرتة من درق العود ، فمن كانت عنده درقة عند لقاء العدو يشفي ويستشفى وينفع غرضه بحول الله وقوته وأما درق الجلد من لبط أو غيره فلا يغتر بها لأن السهام تنفذها (كذا) وتجاوزها إلى ممسكها ، هذا مع القرب جربناه مرارا ، ودرق العود لا تنفذ (كذا) فيها مع القرب فأحرى مع البعد فاعتبروا ما ذكرناه لكم يتبين لكم الصواب .

إلى أن يقول :

واعلم يا أخي أن قلبي متآلم من أهل بجاية وخفت عليهم كثيرا من جهة أمسيون ، وقد بعثت إلى بعض الفقهاء منهم بالتحريض فمارأيت لكلامي عندهم تأثيرا كما أثر هنا

(65) أبو القاسم سعد الله . أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر . المؤسسة الوطنية للكتاب ط2 سنة 1981 م ج 1 . ص : 204 وما بعده .

إلى أن يقول أيضا :

فاكتب رحمك الله لإخواننا ببجاية وحذرهم ليتيقظوا ، ويعملوا بما أشرنا إليه
إلى أن يختم رسالته بقوله :

ولو أطلعتكم على ما اطلعت عليه من التحريض (66) لما وسعكم أن تنشغلوا بشيء من أمور
مهماتكم بعد الصلاة إلا بألة الجهاد . والله والله لو لم يكونوا (كذا) بنوا لأصفر على وجه
الأرض لخلت أن ينبعوا من تحت الأرض لما رأيت من التحريض والتحذير من قبل الرسول -
صلى الله عليه وسلم - (67)

إن الباحث إذا اطلع على مثل هذه الرسالة ستكشف له دون شك عن جانب مهم من
شخصية عبد الرحمان الثعالبي في الدعوة والجهاد .

ولو لم يكن الثعالبي رجل جهاد ما كانت له دراية ومعرفة بأنواع الأسلحة وفعاليتها ، وما كان
يحق له أن يوجه اللوم والعتاب للفقهاء والعلماء ببجاية ، وغيرها من مناطق نفوذ بني الأصفر .
وإذا رجعنا إلى تفسيره الجواهر الحسان وجدناه يقف عند آيات الجهاد فيستطرد كثيرا
واعظا أهل زمانه ومحرضا لهم على إحياء هذه الفريضة .

ففي تفسير قوله تعالى : « وكأين من نبيء قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في
سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » (68) قال : «وعلم رحمك الله أن
أصل الوهن والضعف عن الجهاد ومكافحة العدو هو حب الدنيا ، وكراهية بذل النفوس لله ،
وبذل مهجها للقتل في سبيل الله ، ألا ترى إلى حال الصحابة - رضي الله عنهم - وقتلهم في
صدر الإسلام ، وكيف فتح الله بهم البلاد ، ودان لدينهم العباد لما بذلوا لله أنفسهم في
الجهاد ، وحالنا اليوم كما ترى ، عدد أهل الإسلام كثير ، ونكايتهم في الكفار نزر يسير ، وقد
روى أبو داود في سننه عن ثوبان قال : «قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - توشك الأمم
أن تتداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول ،
قال : بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن
في قلوبكم الوهن فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت»

(66) يقصد بذلك رؤية للنبي - صلى الله عليه وسلم - في المنام وهو يحرضه على الجهاد .

(67) المرجع السابق ص : 211 .

(68) آل عمران : 146

(69) . فانظر رحمك الله فهل هذا الزمان إلا زماننا بعينه ، وتأمل حال ملوكنا ، إنما همتهم جمع المال من حلال وحرام ، وإعراضهم عن أمر الجهاد ، فإننا لله وإنا إليه راجعون على مصاب الإسلام» (70) .

وفي تفسير قوله تعالى : «حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر . . .» الآية (71) . قال : «وتأمل رحمك الله ما يجلبه الركون إلى الدنيا وما ينشأ عنها من الضرر، وإذا كان مثل هؤلاء السادة على رفعتهم ، وعظيم منزلتهم ، حصل لهم بسببها ما حصل لهم من الفشل والهزيمة فكيف بأمثالنا ، وقد حذر الله عزوجل نبيه - عليه السلام - من الدنيا وأفاتها بما لا يخفى على كل ذي لب ، وقد ذكرنا في هذا المختصر جملة كافية لمن وفقه الله وشرح صدره» (72) .

وقد كانت أقل مراتب الجهاد في حياة الثعالبي هي تفرغه لنشر العلم عن طريق التأليف أو التدريس ، وقد ترك لنا مؤلفات عديدة في مختلف العلوم ، كما تخرج على يده مجموعة من التلاميذ كانوا موضع تقدير وإجلال بين علماء عصرهم .

فلم تكن عزلته إذا غاية في حد ذاتها ، بل كانت وسيلة لنشر العلم الذي طالما رحل من أجل جمعه من مختلف عواصم البلاد الإسلامية ، فكان لزاما عليه أن يتفرغ لهذه المهمة الجليلة إكمالا لرسالته ، وبذلك كان الثعالبي من العلماء الذين أزالوا الجفوة بين الفقهاء والصوفية ، إذ زواج بين حياة الفقه والتصوف وقدمهما كوجهين لحقيقة واحدة ، فكان تصوفه إمتدادا لمدرسة أبي حامد الغزالي ، وقد تجلى ذلك في التطابق الواضح بين مؤلفات الثعالبي والغزالي في مضامينها ، بل حتى في عناوينها .

صفاته وأخلاقه : كان رحمه الله رأسا في العبادة وغرة لامعة في الزهد والعلم ، وكانت الديانة أغلب عليه من علمه كما ذكره تلميذه الشيخ أحمد زروق .

وقد ذكر الإمام محمد بن يوسف السنوسي شيخه الثعالبي فقال : «كنا يوما مع سيدي عبد الرحمان الثعالبي - رحمه الله - وعليه ثوب أبيض وعلى رأسه عمامة عريضة مسدولة على ظهره، قال فوقف على مكان مرتفع ونحن أسفل منه ، فنظرت إلى ساقيه فرأيت طرف ثوب من شعر ملاصق لجسده ، فتعجبت من زهده - رضي الله عنه - حيث جعل الثوب الأبيض من فوق

(69) سنن أبي داود . كتاب الملاحم . باب في تداعي الأمم على الإسلام . 4 : 111

(70) الجواهر الحسان . 1 : 379 .

(71) آل عمران : 152

(72) الجواهر الحسان . 1 : 382 .

ذلك ، فمن رآه بذلك الثوب الأبيض ظن أنه من أهل الدنيا ، وهو في باطن الأمور خلاف ذلك (73) .

وذكره الإمام عيسى بن سلامة البسكري - وهو من تلاميذه - في كتابه لوامع الأسرار في منافع القرآن والأخبار فقال : لقيته وناولني كتاب الجواهر الحسان كاملا من عنده من أوله إلى آخره ، أعطاني نسخة من عنده لا بشراء ولا بعوض عوضه الله في الجنة (74) .
ولم يزل رحمه الله عاكفا على الطاعات ونشر العلم إلى أن وافاه أجله ضحوة يوم الجمعة 23 رمضان سنة 875 هـ ودفن بجبانة الطلبة حيث ضريحه الشهير به اليوم من عاصمة الجزائر .

الرؤى والأحلام في حياة الثعالبي :

نشأ الثعالبي في بيت عريق في التصوف ، وقد تلقى مبادئه عن طريق جده ، وإذا كان للرؤى والأحلام أهمية خاصة عند الصوفية فقد كان للثعالبي هو الآخر إهتمام فائق بها منذ صغره ، وبذلك صارت تنسب إليه رؤى وأحلام وكرامات كثيرة ، بعضها مكنوب وبعضها صحيح ، إلا أن شهرة الرجل في عصر ساد فيه الجهل والفقير والإضطراب الإجتماعي والعجز عن دفع الظلم ... كل ذلك جعل الناس ينسبون إليه أحيانا ما لم يقله ، أو قاله ولكنه لم يقصد به ما قصدوا إليه .

ونجد نماذج من هذه الرؤى والأحلام ماثورة في كتب الثعالبي وفي غيرها من كتب الآخرين ، منها ما نقله صاحب الديباج المذهب يرفعها إلى الثعالبي أنه قال : حدثني والدي وعمي عن عمر بن مخلوف قالا : بشرنا بك والدنا مخلوف وقال : يولد لولدي محمد ولد يكون من شأنه كذا وكذا من أوصاف الخير ، وكان جدي المذكور من أفراد الأولياء الراسخين وعباده المتقين ، بلغ في سلوك الطريق الغاية والنهاية ، وظهرت له كرامات من أهل الرسوخ والتمكين ، ما يخبرني بشيء إلا كان كذلك كأنه ينظر إلى اللوح المحفوظ ، وتأولت ذلك ما يسر الله لي من التصانيف لاسيما تفسير القرآن لانتفاع المسلمين به . كما يذكر من مرآئيه للرسول - صلى الله عليه وسلم - فيقول : ورأيت - صلى الله عليه وسلم - مرارا على نحو صفاته المذكورة في

(73) نيل الإبتهاج ص : 173 .

(74) المرجع السابق ص : 174 .

الكتب ، لم يختلف حاله علي قط في خلق ولا خلق ، ومارأيته إلا رأيت منه بشاشة وخلقاً كريماً إلا مرة واحدة ، فرأيته وأنا في تأليف هذا التفسير وقراءة البخاري ، وأنا في موضع عال مع أناس كثيرين وهو يفرق طعاماً في يده الكريمة ، وطمعت في نيل شيء منه وخشيت نفاذه قبل وصوله إلي لكثرة الناس ، فما كمل خاطر إلا وهو - صلى الله عليه وسلم - واقف مقبل علي مسرور فسألته أن يطعمني من ذلك الطعام ، فناولني من يده فأكلت منه ونظر إلي قائلاً : إذا أطعم النبي أحداً شيئاً يتقيؤه ، فقلت له أفأتقيؤه - وتهيات للقيء - فقال لي ليس هذا أريد ، ففهمت أنه لم يرد القيء بظاهره وأولته على نشر العلم وبثه وفرحت ، ورأيته مرة أيضاً عام ثلاثة وثلاثين وهو يحض - صلى الله عليه وسلم - على علم الطب واعداداً من اشتغل بتحصيله أن يسأل الله تعالى أن يجعله في جواره ، أو قال في درجته - صلى الله عليه وسلم - . (75)

وذكر الفقيه الصالح سعيد الهواري عن إنسان رأى رؤيا في فضل كتابي الجواهر الحسان كأن منادياً ينادي أن الله قضى أنه لا يأتي بعده مثله ، وأنه تعالى جعل عليه القبول ، أو نحو ذلك ، ثم ذكر سعيد الهواري أنه رأى لهذا التفسير ثلاثة آلاف رؤيا تقتضي خيراً . (76)

شيوخه:

وقبل أن نتعرض لإنتاج الثعالبي وعطائه العلمي يجدر بنا أن نقف عند ترجمة بعض شيوخه لنعرف مستوى الثعالبي ومبلغه من العلم ونوعية الثقافة التي تلقاها في مختلف حواضر العالم الإسلامي بالشرق والمغرب .

فقد تلقى العلم في أول رحلته حسب ما ذكر الثعالبي نفسه في بجاية عن مجموعة من

العلماء هم :

1 - أبو الحسن علي بن عثمان المنجلاتي : قال عنه صاحب : تعريف الخلف : هو من علماء بجاية وفقهائها الجلة ، وهو والد العلامة أبي علي منصور مفتي بجاية . له فتاوى نقل بعضها في « المازونية » ، و« المعيار » . ولم يذكر تاريخ وفاته (77)

2 - أبو الربيع سليمان بن الحسن الشريف التلمساني ، قال عنه الشيخ أبو البركات

(75) المرجع السابق ص : 174 .

(76) المرجع السابق ص : 175 .

(77) الحفاري تعريف الخلف . الجزائر ط 1 سنة 1906 م . ج 1 . ص : 77 .

التالي : شيخنا الفقيه المحقق كان قائما على المدونة وابن الحاجب ، مستحضرا لفقهِ أبي عبد السلام وأبحاثه نصب عينيه . ت 845 هـ (78)

3 - أبو الحسن علي بن محمد اليليتاني ، قال تلميذه الامام ابن مرزوق الحفيد : شيخنا العلامة الفقيه ، دخل فاس عام 791 هـ وتوفي بها (79)

4 - أبو مهدي عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني ، قاض محدث ، حافظ من أكبر السادة المالكية ، نشأ بتونس وأخذ عن ابن عرفة وغيره ، وهو أكبر أصحابه وأجلهم ، ولي قضاء تونس ، وإمامة جامع الزيتونة ، قال عنه الثعالبي : شيخنا أوحد زمانه علما ودينا. توفي سنة 813 هـ . (80)

5 - أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المشدالي البجائي علامتها وفقهها وخطيبها ومفتيها المحقق النظار ، الشيخ الصالح البركة ، أخذ عن أبيه وشاركه في شيوخه ، له فتاوى نقلت في المازونية والمعيار ، وله مؤلفات مذكورة عند ترجمته في شجرة النور الزكية (ت 866 هـ) (81)

6 - أحمد بن عبد الرحمان بن أبي زيد النقاوسي : من كبار فقهاء المالكية له مشاركة في علمي المنقول والمعقول : من مؤلفاته : الأنوار المنبلجة في بسط المنفرجة (ت 810 هـ) (82)

شيوخه بتونس :

1 - أبو مهدي أحمد بن محمد بن أحمد عيسى الغبريني ، عالم بجاية في وقته
توفي : 814 هـ (83)

2 - وأبو عبد الله محمد بن خلف الأبوي : الوشتاني المالكي ، عالم بالحديث . من أهل تونس ، له شرح على صحيح مسلم في سبعة أجزاء ، وشرح على المدونة (ت 827 هـ) (84)

(78) المرجع السابق ج 2 . ص : 177 .

(79) المرجع السابق ص : 260 .

(80) نيل الإبتهاج . ص : 103 .

(81) شجرة النور الزكية . ص : 263 .

(82) المرجع السابق . ص : 332 .

(83) هو عيسى بن أحمد بن محمد أبو مهدي ، الغبريني ، قاض ، محدث ، حافظ ، فقيه مالكي ، ت : 813 هـ . نيل

الإبتهاج . ص : 193 .

- 3 - أبو القاسم البرزلي : أحمد بن محمد بن المعتلي البلوي ، القيرواني (85)
- 4 - أبو يوسف يعقوب الزغبى وهو أحد العلماء البارزين الذين عاصروا ابن عرفة وأخنوا عنه ، ذكره صاحب نيل الابتهاج دون ذكر وفاته (86) .
- شيوخه بمصر والحجاز
- 1 - أبو عبد الله محمد البلالي : نسبة إلى بلالة بسوريا وهو محدث صوفي وكاتب الإحياء للغزالي (87) ت : 820 هـ
- 2 - أبو عبد الله البساطي : وهو شيخ المالكية بمصر في عصره ، اشتهر بالعلم الأصلي والفرعي ، له أشعار صوفية كثيرة (ت 882 هـ) (88)
- 3 - أحمد بن عبد الرحيم ولي الدين العراقي ، وهو ابن الحافظ العراقي ، له مؤلفات كثيرة معظمها في علوم الحديث ، منها رواية المراسيل ، وأخبار المدلسين (ت : 826 هـ) (89)

القادر للعلوم الإسلامية

(85) البستان 150

(86) نيل الإبتهاج : 45

(87) معجم المؤلفين : 10 : 13

(88) نيل الإبتهاج : 53

(89) الأعلام . 1 : 148

الفصل الرابع

آثار الثعالبي العلمية

أ - تلاميذه :

لما رجع الثعالبي من رحلته التي استغرقت عشرين سنة في طلب العلم أقام بمدينة الجزائر "وفي تلك الفترة ضعف بنوزيان عن حماية ممالكهم النائية فنصبت كل ثورة جماعة لتقوم بمهامها ، فكانت جماعة الجزائر تحت رئاسة الولي الصالح عبد الرحمان الثعالبي " (1) ونظرا لما كان يتمتع به الثعالبي من سمعة حسنة فإنه استطاع أن يقيم زاوية لطلبة العلم ، فلم تلبث أن اكتسبت شهرة واسعة في أوساط المسلمين ليس في الجزائر فقط بل خارجها ، فكانت جميع الطبقات الإجتماعية توقف من ممتلكاتها على زاوية الثعالبي ، بل إن بعض البلدان مثل تونس كانت ترسل إليها حمولة زيت كبيرة سنويا " (2)

وقد كانت هذه الزاوية مرتعا لطلاب العلم ومحبي الثقافة ، فتخرج على يد عبد الرحمان الثعالبي مجموعة من التلاميذ المخلصين الذين أصبحوا علماء أجلاء ، ونذكر منهم :

1- أحمد بن محمد بن يعقوب العجيسي الشهير بالعبادي ، نعتة صاحب البستان عند ترجمته بالشيخ الإمام العالم الفقيه المحدث المشهور شرقا وغربا نبي التصانيف العديدة (3) وقد أرخ السخاوي لوفاته سنة 868 هـ (4) .

2 - أحمد بن عبد الله الجزائري نعتة صاحب شجرة النور الزكية بالإمام الفاضل العالم الولي الصالح الكامل أخذ عن الثعالبي وغيره ، ألف اللامية المشهورة في العقائد شرحها الشيخ السنوسي وأثنى على ناظمها ت : 884 هـ (5)

3 - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الخطيب بن مرزوق المعروف بالكفيف ، الشيخ الإمام ، علم الأعلام وفخر الخطباء وعمدة العلماء والأتقياء ، المسند الراوية المحدث أخذ عن والدي المعروف بالحفيظ ، كما أخذ عن جماعة من علماء عصره وفي مقدمتهم الثعالبي ، ولقي أعلاما منهم الحافظ ابن حجر فأجازه ، وأخذ عنه السنوسي والونشريسي ونقل عنه المازوني في نوازله (ت 901) (6)

(1) عبد الرحمان الثعالبي والتصوف . ص : 25

(2) تاريخ الجزائر الثقافي . ج 1 . ص : 241

(3) البستان . ص : 45

(4) الضوء اللامع . ج 1 . ص : 322

(5) شجرة النور الزكية . ص : 265

(6) المرجع السابق ص : 268

- 4 - أبو الحسن علي بن أبي محمد التالوتي التلمساني الفقيه ، العالم العامل ، الشيخ الصالح الولي الكامل أخذ عن عبد الرحمان الثعالبي كما أخذ عن الحسن أبركان وأبي إسحاق التازي (ت 895 هـ) (7)
- 5 - محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني : فقيه مفسر متكلم كانت له مراسلات مع جلال الدين السيوطي في علم المنطق له مؤلفات أهمها : " البدر المنير في علم التفسير " ومصباح الأرواح في أصول الفلاح (ت 909 هـ) (8)
- 6 - محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب ، أبو عبد الله الحسن بن السنوسي : كبير علماء تلمسان وزهادها عالم في التفسير والحديث وعلم التوحيد ، له ما يربو عن الثلاثين مؤلفا جلها في التوحيد ، ومعظم كتبه شروح وحواشي لكتب الأعلام المسلمين (ت 895 هـ) (9)
- 7 - عيسى بن سلامة البسكري : هو من تلاميذ الثعالبي وصف شيخه بقوله : كان شيخنا الثعالبي رجلا صالحا زاهدا ، عالما عارفا وليا من أكابر العلماء ، أعطاني نسخة من تفسيره الجواهر الحسان لا بشراء ولا عوض (10)
- 8 - علي بن عباد التستري البكري الفاسي المغربي ، سمع الحديث على عبد الرحمان الثعالبي ، من تأليفه : لطائف الإشارات في مراتب الأنبياء في السماوات ولد : 830 هـ (11)

ب- مؤلفاته :

لم تنحصر آثار الثعالبي العلمية في تلك المجموعة من التلاميذ الذين تخرجوا على يده فكانوا أئمة أعلام بعد وفاة شيخهم ، بل إن أهم الآثار التي بقيت شاهدا على فضله وجهاده هي المؤلفات التي كتب لها الإنتشار في ربوع العالم الإسلامي سواء في حياته أو بعد وفاته . وفي ذلك يقول تلميذه أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الجليل السنجاسني " وإن عادة المصنفين من أهل العلم أن تظهر مصنفاتهم بعد وفاتهم ، وإن في شيخنا هذا وتأليفه لسرا بديعا ، وأمرا رفيعا ، ولقد ظهرت تأليفه في حياته وسارت بها الركبان في الآفاق ، وربما يكون

(7) تعريف الخلف . ج 2 . ص : 276

(8) نيل الإبتهاج . ص : 330

(9) البستان . ص : 237

(10) تاريخ الجزائر العام . ج 2 . ص : 275

(11) توشيح الديباج . ص : 132

في أثناء بعض تصانيفه والناس يختطفونه من يده ويتبعونه بالنسخ ، حتى ربما أدركه الناس قبل أن يستكمل الكراس فينتظرونه ، سر إلهي لم يتسن لمن سبقه كالغزالي وغيره من أئمة الهدى على علو قدرهم " . (12)

وقد لمست أثناء البحث حقيقة هذا القول حيث وجدت عناكبيرا في تتبع آثاره وخاصة المخطوط منها ، لقد وجدت كتبه موزعة في مختلف المكتبات لدول كثيرة في العالم ، ومهما كان الجهد الذي بذلته في ذلك فإنه يغلب علي الظن أنني ما زلت لم أقف على آثاره بكاملها وتمامها .

ونظرا لغزارة إنتاج الثعالبي من جهة والإنتشار الواسع لكتبه عبر الأقطار من جهة أخرى فإن أقوال الباحثين قد تباينت في تحديد عدد مؤلفاته تباينا كبيرا ، فمنهم من قال أنها تقارب التسعين مؤلفا (13) ومنهم من قال أنها بضعة عشر كتابا (14)

ولعل الباحث قد يعجب لهذا الفرق الشاسع بين القولين وإكي نرفع هذا اللبس نقول لقد لاحظنا أثناء البحث والتحقيق في مخطوطات الثعالبي عدة ملاحظات جديرة بالتسجيل منها :

1 - أن من الباحثين من ذهب يحصي مجموعة أرقام المخطوطات من فهارس المكتبات دون ذكر عناوين هذه المخطوطات ، فلما رجعنا إليها وجدنا مجموعة من هذه المخطوطات عبارة عن كتاب واحد توجد فيه عدة نسخ في مكتبات مختلفة مثل تفسيره الجواهر الحسان الذي توجد منه أكثر من نسخة في مكتبة باريس الوطنية والمكتبة الوطنية للجزائر وكذلك خزانة الرباط الملكية

2 - أن بعض كتبه قد أخذت أكثر من عنوان واحد مثل كتاب الأربعين حديثا ، وعند التحقيق تبين لنا أنه هو نفسه كتاب : الأنوار المضيئة ، وكذلك كتاب الفهرسة الذي أحصى فيه شيوخه وأساتذته ومؤلفاته فهو نفسه الكتاب المسمى غنية الواجد وبغية الطالب

3 - أن بعض هذه المخطوطات عبارة عن أبواب أو فصول مبتورة من كتب أصلية فوضعت لها أرقام في المكتبات وعناوين واعتبرت مؤلفات مستقلة

4 - أن هناك إشارة من بعض الباحثين إلى مكان تواجد بعض مؤلفات الثعالبي ولكن جهودنا قصرت دون الوصول إليها ، فقد ذكر عبد الرحمان الجيلالي في كتابه تاريخ الجزائر العام أن عددا من مؤلفات الثعالبي توجد بالسودان .

ونجد في التاريخ ما يؤيد هذا القول ويقويه فقد كان للجزائر يومئذ علاقة تجارية قوية مع

(12) تاريخ الجزائر العام ، ص : 275

(13) نفس المرجع ، ج 2 ، ص : 274

(14) تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، ص : 75

للسودان " حيث كانت تستورد العاج والذهب من السودان ، وتصدر الأصواف والأسلحة والكتب
 "وكانت مدينة تيزيل الواقعة جنوب طمسطن هي التي تنطلق منها القوافل إلى ستجماسة وورقلة
 ومنها إلى السودان (15). وقد أشرنا منذ قليل أن مؤلفات الثعالبي قد كتبت لها الذبوع
 وإلتنشيلر وهو على قيد الحياة ، وربما كان يكتب مؤلفا معيناً والكتاب يتسخون معه فلا يكاد
 ينتهي منه حتى ينتشر الكتاب وتسير به الركبان ، ولذا وجدنا مؤرخا مثل أحمد باب التنبكي
 وهو من السودان - قد أفاض في ترجمة عبد الرحمن الثعالبي وخاصة في إحصاء مؤلفاته ،
 ليصبح كتابه بعدئذ المرجع الأساسي لكل دارس لهذه الشخصية .

غير أن القول الفصل في هذا الخلاف حول عدد مؤلفاته هو ما ذكره صاحب كتاب تعريف
 الخلف حيث قلل بآن الثعالبي نفسه قد قدم إحصاء للمؤلفاته في كتاب له سماه الفهرسة تذكر
 ثلثية عشر مؤلفا بأسمائهم . (16)

ونحن نطلبن لهذا القول وما زاد على ذلك لا يعدو أن يكون جزءا من كتاب أو مختصرا له أو
 غير ذلك ..

وبعد هذه المقدمة التوضيحية حول مؤلفات الثعالبي نخلص إلى ذكر أسمائها سواء ما كان
 منها مخطوطا أو مطبوعا .

المخطوطات :

1- روضة الأنوار ورتة الأخبار : في الفقه المالكي ، قال التنبكي : وهو قدر المنونة ، فيه
 لياق نحو تسعين من أمهات الدواوين المعتمدة ، وهو خزنة كتب لمن حصله . وقال الثعالبي :
 جمعه في ستمين كثيرة فيه بسماتين وروضات .

توجد منه نسختان بالمكتبة الوطنية بالجزائرية . الأولى : 4 / 536 والثانية : 884 .

2- كتاب جامع الهمم في أخبار الأمم : ذكره الثعالبي في فهرست مؤلفاته - نقلا عن كتاب
 تعريف الخلف برجال السلف - للحفناوي ولكنني لم أقف على ذكره في فهرس المخطوطات التي
 تيسر لي البحث فيها .

3- جامع الأمهات في أحكام العبادات : قال الجبالي : " وهو كتاب جليل طالعه وامتلكته ،
 وهو في سفر ضخم وتوجد منه نسخة تحت رقم : 583 بالمكتبة الوطنية بالجزائر :

(15) مختصر تاريخ الجزائر . ص : 129 . وسجلامة بكمس السن والجيم ، تقع بنحو مائة ميل جنوب شرق مدينة

فاس . إسماعيل العربي . المدن المغربية . المؤسسة الوطنية للكتاب ص : 122

(16) تعريف الخلف . ج 1 . ص : 69

- 4- رياض الصالحين وتحفة المتقين ، يوجد منه مخطوط رقم : 592 بدار الكتب الوطنية بتونس ، ومخطوط رقم : 883 بدار المكتبة الوطنية بالجزائر .
- 5- جامع الخيرات ، ولعل هو نفسه كتاب دلائل الخيرات ، توجد منه نسخة في المكتبة الوطنية بباريس : 1187 .
- 6- التقاط الدرر : يوجد منه مخطوط : 17551 بدار الكتب الوطنية بتونس ، وتوجد منه نسخة جيدة عند العلامة عبد الرحمان الجيلالي بالجزائر العاصمة .
- 7- كتاب الأربعين حديثاً في الوعظ والرقائق وتوجد منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط : د 1602 .
- 8- نور الأنوار ومصباح الظلام . توجد منه نسخة عند الشيخ الجيلالي بالجزائر العاصمة .
- 9- الأنوار المضيئة في الجمع بين الشريعة والحقيقة . توجد منه نسخة بالمكتبة الوطنية الجزائر : 5 / 876 وأخرى بالخزينة الملكية بالرباط : 7125 ، وأخرى بخزانة القرويين : 214 .
- 10- شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي . قال الجيلالي : وهو كتاب في سفرين ضخمين ، ولنا منه نسخة جيدة وقد جمع فيه نخب كلام ابن رشيد وابن عبد السلام وابن هارون وخليل وابن عرفة مع جواهر المدونة وعيون مسائلها : الخزانة الملكية الرباط : 9728 .
- 11- الدر الفائق : توجد منه نسخة عند الجيلالي .
- 12- المختار من الجوامع : المكتبة الوطنية الجزائر : 3 / 405 .
- 13- الأنوار في آيات ومعجزات النبي المختار : الخزانة الملكية . الرباط : 583 .
- 14- الجامع : الخزانة الملكية . الرباط . غ : 3155 .
- 15- الدر الفائق المشتمل على أنواع الخيرات في الأذكار والدعوات : الخزانة العامة . الرباط : 622 .
- 16- رياض الأنس في علم الرقائق وسير أهل الحقائق
مخ : 2338 الخزانة الملكية . الرباط
ومخ : 2 / 537 بالمكتبة الوطنية بالجزائر .
- 17- قصيدة غي مدح الرسول -صلى الله عليه وسلم -
المكتبة الوطنية . الجزائر : 2266 .

- 18- عمدة البيان في معرفة فرائض الأعيان (ستة أجزاء)
مخطوطات : 592 إلى 597 . المكتبة الوطنية الجزائرية :
- 19- الآداب
مكتبة المخطوطات العربية الإسلامية بالفاتكان : 1462 .
- 20- رؤية سيدي عبد الرحمان الثعالبي
مكتبة المخطوطات العربية الإسلامية بالفاتكان : 1 / 370
- 21- قصة النبي إدريس -عليه السلام-
المكتبة الوطنية الجزائرية : 5 / 408
- 22- حكاية أحلام
المكتبة الوطنية الجزائرية : 1546
- 23- مرآة الشيخ الثعالبي . خزانة القرويين : 2 / 1367 (17)
الكتب المطبوعة :
- 1- العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة :
الطبعة الحميدية المصرية . القاهرة . 1317 هـ
- 2- نبذة من الكتاب المسمى بالجامع الكبير .
المطبعة الثعالبي الجزائرية 1339 هـ
- 3- شرح المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع
المطبعة الثعالبي : 1324 هـ الجزائر .

(17) رجعتنا في إحصاء المخطوطات من آثار الثعالبي إلى الفهارس التالية :

- فهرس المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية الجزائرية .
- فهرس المخطوطات ، المكتبة الوطنية ، دار الكتب الوطنية ، تونس .
- فهرس المخطوطات ، الخزانة العامة ، الرباط .
- فهرس المخطوطات ، المكتبة الوطنية بباريس (بالفرنسية) .
- فهرس المخطوطات العربية والإسلامية بمكتبة الفاتيكان (بالإنجليزية) .

4- كتاب المرآة

المطبعة الحميدية بمصر 1317 في جزئين

5- الجواهر الحسان في تفسير القرآن : في أربعة أجزاء

ط 1 سنة 1327 د. بالمطبعة الثعالبية . الجزائر

ط 2 المؤسسة الوطنية للكتاب

وهذا الأخير من مؤلفات الثعالبي هو ما نحن بصدد دراسته في الباب اللاحق .

عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير

الباب الثاني

منهج الثعالبي في التفسير

القائمة للعلوم الإسلامية

يقصد بالتفسير بالمأثور ما نقل عن الأقدمين ، " ويشمل ذلك تفسير القرآن بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين " (١) .

فأما تفسير القرآن بالقرآن فهو أفضل أنواع التفسير (٢) فما جاء مجملا في موضع فصله في مواضع أخرى ، وما جاء عاما أو مطلقا في آية خصصته أو قيدته آية أخرى .

وأما اعتماد السنة في فهم القرآن ، فلأنها الشارحة له ، المبينة لما فيه : قال الإمام الشافعي (٣) كل ما حكم به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو مما فهمه من القرآن . قال الله

تعالى : " إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما " (٤) كما قال الشاطبي (٥) أيضا : " السنة راجعة في معناها إلى الكتاب فهي تفصيل مجمله

ويسط مختصره " (٦) .

وأما تفسير الصحابة فلأنهم كانوا يسألون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن كثير مما خفي عليهم معناه في القرآن ، قال ابن مسعود : « كنا إذا تعلمنا من النبي - صلى الله عليه وسلم -

عشر آيات لم نجاوزها حتى نتعلم ما فيها من العلم والعمل » (٧)

فإذا لم نجد للآية تفسيرا في القرآن ولا في السنة رجعنا إلى أقوال الصحابة لصحبتهم للرسول - صلى الله عليه وسلم - . ولما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختلفوا بها ، ولما

لهم من الفهم التام والعلم الصحيح ، ولأن معرفة أسباب النزول والملابسات المحيطة بتعيين على فهمه وإدراك المراد منه (٨) .

ومر التفسير المأثور عبر مراحل متصلة الحلقات « إلى أن جاء قوم حذفوا الأسانيد ونقلوا الأقوال غير معزوة لقائلها ، ولم يتحروا الصحة فيما يروون ، فدخل من هنا الدخيل ، والتبس الصحيح بالعليل ، وبذلك اعتري التفسير المأثور من الضعف مثل ما اعتري السنة ، فشاعت

(١) د . محمد حسين الذهبي . التفسير والمفسرون . دار إحياء التراث العربي . بيروت . ج ١ . ص : 152

(٢) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . ج ١ . ص : 3

(٣) ابن تيمية . مقدمة في أصول التفسير . منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت . ص : 40

(٤) النساء : 104

(٥) هو إبراهيم بن موسى الغرناطي المالكي الشهير بالشاطبي ، محدث ، فقيه ، أصولي ، مفسر . ت : 790 . نيل الإبتهاج . ص : 46

(٦) الشاطبي . الموافقات في أصول الأحكام . دار الفكر . ج 4 . ص : 6

(٧) الطبري . جامع البيان . دار المعرفة . بيروت . ط 4 . 1980 . ج 1 . ص : 28

(٨) مقدمة في أصول التفسير . ص : 41

الإسرائيليات في كتب التفسير ، وظهر في التفسير المأثور الصحيح والضعيف والموضوع ، مما جعله محاطا بسياج من الشك « (9)

إلا أن هذه العيوب التي علقت بالتفسير المأثور لا تعفي المفسر من الرجوع إليه على أن يكون قادرا على تمييز الغث من السمين والصحيح من السقيم ، بل لا يصح - كما يرى العلماء - للمفسر أن يتكلم في تفسير شيء من القرآن برأيه قبل أن يعلم ما ورد فيه من مأثور، وإلا كان من القائلين في القرآن بغير علم ودخل في الوعيد المشار إليه بالحديث : « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » (10)

ولما للتفسير المأثور من أهمية فإن الثعالبي قد أخذ به ، فجعله الصبغة الغالبة في تفسيره ، ونلمس هذا سواء في نوعية المصادر التي رجع إليها مثل المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية وجامع البيان للطبري . كما نلمس هذا أيضا من خلال مقدمة تفسيره التي عقد فيها فصلا تحت عنوان « فصل فيما قيل في الكلام في تفسير القرآن بغير علم والجرأة عليه ومراتب المفسرين » وفي هذا الفصل يورد عدة أحاديث للترمذي في ذم التفسير بالرأي ، والقول في القرآن بغير علم . منها قوله : « وخرج أبو عيسى الترمذي في جامعه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ من النار ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .»

قال أبو عيسى الترمذي (1 أ) هكذا روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وغيرهم أنهم شددوا في أن يفسر القرآن بغير علم . وأما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم ، أو من قبل أنفسهم . وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم . قال قتادة : ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها بشيء . وقال مجاهد : لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم أحتج إلى أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت .» (12)

ونستطيع أن نتتبع السمات البارزة لمنهج الثعالبي في أخذه بالتفسير المأثور فيما يأتي

(9) التفسير والمفسرون . ج 1 . ص : 129

(10) سيأتي تخريجه

(11) الجواهر الحسان . 1 : 21 . وفي سنن الترمذي باب التفسير . 4 : 269

(12) الجواهر الحسان . 1 : 40 .

أ- تفسير القرآن بالقرآن

اعتمد الثعالبي تفسير القرآن بالقرآن وقدمه على غيره ، ومن الأمثلة على ذلك :

- في تفسير قوله تعالى (13) « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » (4) نقل عن ابن عباس وابن مسعود : أن المغضوب عليهم اليهود ، والضالون النصارى ، ثم قال : وذلك بين من كتاب الله تعالى لأن ذكر غضب الله على اليهود متكرر فيه كقوله تعالى : " وباعوا بغضب من الله " (15) وقوله : " قل هل انبئكم بشر من ذلكم مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه " (16) والنصارى كان محققوهم على شرعة قبل ورود شرعة محمد - صلى الله عليه وسلم - فلما ورد ضلوا ، وقد قال تعالى فيهم : " ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل " (17)

- وفي تفسير قوله تعالى (18) : " يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين " (19) أورد في تفضيل بني إسرائيل عدة أقوال ثم رجح الرأي القائل بتفضيلهم على عالم زمانهم مستدلا بقوله تعالى : " كنتم خير أمة أخرجت للناس " (20) - وفي قوله تعالى (21) : " أحلت لكم بهيمة الانعام إلا ما يتلى عليكم " (22) قال الثعالبي : وقوله : " إلا ما يتلى عليكم " إستثناء " ما " تلي في قوله تعالى : " حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير .. الآية " (23) .

أي أن هذه الآية الأخيرة جاءت مفصلة وموضحة للآية السابقة التي تضمنت حكما مجملا

(13) الجواهر الحسان : 1 : 40

(14) الفاتحة : 7

(15) آل عمران : 112

(16) المائدة : 62

(17) المائدة : 79

(18) الجواهر الحسان . 1 : 78

(19) البقرة : 47

(20) آل عمران : 110

(21) الجواهر الحسان . 1 : 522

(22) المائد : 2

(23) المائدة : 4

- وفي تفسير قوله تعالى (24) : " وقالت اليهود يد الله مغلولة " (25) قال : قالوا هذه المقالة يعنون بها أن الله بخل عليهم بالرزق والتوسعة -تعالى الله عن قولهم - وهذا القول يشبه ما في قوله تعالى : " ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك " (26) فإن المراد : لا تبخل .
إلا أن تفسير القرآن بالقرآن قليل عند الثعالبي إذا قيس بغيره من كتب التفسير بالمأثور .

ب- تفسير القرآن بالسنة

اعتمد الثعالبي السنة النبوية كمصدر في تفسير القرآن وقد ساعده على ذلك سعة إلمامه وطول باعه في علوم الحديث ، ويستطيع الباحث أن يعرف مدى تمكن الثعالبي من السنة من خلال تلك المادة الغزيرة من الأحاديث النبوية التي ضمنها تفسيره . وقد أشار إلى هذا في مقدمة تفسيره فقال : « وما نقلته من الأحاديث الصحاح والحسان عن غير البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي في باب الأذكار والدعوات فمعظمه من التذكرة للقرطبي ، والعاقبة لعبد الحق الإشبيلي ، وربما زدت زيادات كثيرة من مصابيح البغوي وغيره ، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى كل ذلك معزوا لمحاله . وبالجملة فكتابي هذا محشو بنفائس الحكم ، وجواهر السنن الصحيحة ، والحسان الماثورة عن سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - (27)

وهذا لا اعتقاد الثعالبي أن السنة هي خير بيان لكتاب الله تعالى فقال : - نقلا عن ابن عبد البر - : « وأولى الأمور لمن نصح نفسه ، وألهم رشده ، معرفة السنن التي هي البيان لمجمل القرآن ، بها يوصل إلى مراد الله تعالى من عباده فيما تعبدهم به من شرائع دينه الذي به الابتلاء وعليه الجزاء في دار الخلود والبقاء . » (28)

ولذا كان الثعالبي وقافا عند نصوص السنة التي تفصل مجمل القرآن ، ولا يتعداها إلى غيرها إلا إذا كانت موافقة لها ، فإن خالفت السنة طرحها ولم يلتفت إليها . وهذا واضح في النماذج التالية :

- في تفسير قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم

(24) الجواهر الحسان . 1 : 565

(25) المائة : 66

(26) الإسراء : 29

(27) الجواهر الحسان . ج 1 . ص : 9

(28) الجواهر الحسان . 1 : 9

" (29) قال الثعالبي : قال أبو ثعلبة الخشني : سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن هذه الآية فقال : « ائتمروا بالمعروف ، وانهاؤا عن المنكر فإذا رأيت دنيا مؤثرة وشحا مطاعا ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك ، وذر عوامهم فإن وراكم أياما أجر العامل فيها كأجر خمسين منكم » (30)

ثم يقول الثعالبي إثر هذا الحديث : وهذا هو التأويل الذي لا نظر لأحد معه ، لأنه مستوف للصلاح ، صادر عن النبي عليه السلام (31) .

وعليه فمعنى الآية : الزموا أنفسكم بالإصلاح لتكونوا قدوة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلى هذا المعنى أشار الحديث .

فإذا فسد المجتمع فإن من واجب المسلم أن يجتهد في إصلاح نفسه وإلزامها بالتكاليف الشرعية لأن في ذلك دعوة عملية إلى الإلتزام بالدين .

وفي تفسير قوله تعالى : " والذين يوتون ما أتوا وقلوبهم وجلة " (32)

قال الثعالبي (33) : وأسند الطبري عن عائشة أنها قالت : « قلت يارسول الله قوله تعالى : يوتون ما أتوا وقلوبهم وجلة ، أهي في الذي يزني ويسرق . قال : لا بنت أبي بكر ، بل هي في الرجل يصوم ويتصدق وقلبه وجل يخاف ألا يقبل منه » (34)

- وفي تفسير قوله تعالى : " اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أربابا من دون الله " (35) يقول الثعالبي (36) : هذه الآية يفسرها ما حكاه الطبري أن عدي بن حاتم قال : جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وفي عنقي صليب ذهب فقال : يا عدي اطرح هذا الصليب من عنقك ، فسمعتة يقرأ : « اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أربابا من دون الله " فقلت يارسول الله ، وكيف ذلك ، ونحن لم نعبدهم ، فقال : أليس تستحلون ما أحلوا وتحرمون ما حرموا ؟ فقلت : بلى ، قال

(29) المائدة : 107

(30) رواه الترمذي في باب التفسير . 4 : 323 . ولم يعقب عليه

(31) الجواهر الحسان . 1 : 589

(32) المؤمنون : 61

(33) الجواهر الحسان . 3 : 153

(34) رواه الترمذي . باب التفسير . 4 : 98

(35) التوبة : 31

(36) الجواهر الحسان . 2 : 167

: فذلك « (37)

وهذا اعتماد منه على أن السنة تشرح القرآن وتبينه .

- وفي تفسير قوله تعالى (1) : " وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم " (38) يقول هذا الخطاب لجميع المسلمين والمشركين والعرب ، والقوم «الغير» هم فارس ، ثم يسوق حديث أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سئل عن هذا ، وكان سلمان إلى جنبه ، فوضع يده على فخذه وقال : قوم هذا ، لو كان الدين في الثريا لناله رجال من أهل فارس « (39) ثم قال الثعالبي : وليس لأحد مع الحديث إذا صح نظر ، ولولا الحديث لاحتمل أن يكون الغير ما يأتي من الخلف بعد ذهاب السلف على ما ذكر في غير هذا الموضع « (40) فالآية جاءت عامة - كما يرى الثعالبي - والسنة أدخلت عليها التخصيص .
كما أن الثعالبي يحتكم إلى الثابت من السنة في رفع الخلاف الذي يتوقف فيه بعض من سبقه من المفسرين .

من ذلك أن ابن عطية يقف أمام بعض الآيات التي تتعدد فيها أوجه التأويل فيبقى مترددا في ترجيح واحد منها ، فنجد الثعالبي يدفع هذا التردد ويرى أنه لا مسوغ له إذا كان في السنة ما يحسم ذلك الخلاف .

ففي تفسير قوله تعالى : " يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم " (41) ينقل عن ابن عطية أنه ذكر في الآية ثلاثة أوجه لتعيين المراد بـ « المرسلين » ويبقى ابن عطية مترددا دون أن يرجح واحدا منها فيعقب الثعالبي بقوله : والصحيح في تأويل الآية أنه أمر للمرسلين كما هو نص صريح في الحديث الصحيح ، فلا معنى للتردد في ذلك ، وقد روى مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال : قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : " يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا " وقال : " يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم .. " الحديث .

(37) رواه الترمذي في أبواب التفسير . سورة التوبة . 4 : 342

(38) محمد : 39

(39) راه مسلم في كتاب فضائل الصحابة . باب فضل فارس . 7 : 191 . بلفظ « لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس أو قال من زبناء فارس حتى تناوله .

(40) الجواهر الحسان . 4 :

(41) المؤمنون : 52 أنظر المحرر الوجيز . 11 : 235

كما تردد ابن عطية في الترجيح بين القول بالحقيقة أو المجاز في تفسير قوله تعالى : " ومن يغلل ياتي بما غل يوم القيامة " (43) فلا يجد الثعالبي مبررا لهذا التردد وقد بينت السنة القول الفصل في ذلك ، فقال : إن ذلك على الحقيقة كما بينه - صلى الله عليه وسلم - أي يأتي به حاملا له على ظهره ورقبته معذبا بحمله وثقله ، ومروعا بصوته وموبخا بإظهار خيانتة ، ثم استدل بالحديث : « أدوا الخائط والمخييط فإن الغلول عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة . رواه مالك في الموطأ (44)

وإذا كانت السنة شارحة للقرآن الكريم ، فإن هذا يقضي بعدم وجود أي تعارض بين الكتاب والسنة ، ولذا كان الثعالبي يؤول بعض الآيات بصرفها عن ظاهرها إلى معنى الحديث الذي يوضح مضمونها ، من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : " الذين تتوفاهم الملائكة طيبين سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون " (45) حيث يقول : وقوله سبحانه : " بما كنتم تعملون " علق سبحانه دخولهم الجنة بأعمالهم من حيث جعل الأعمال أمانة لإدخال العبد الجنة ، ولا معارضة بين الآية وقوله - صلى الله عليه وسلم - لا يدخل الجنة أحد بعمله ، قالوا : ولا أنت يارسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضله منه ورحمة « (46) .

ثم يقول الثعالبي : فإن الآية ترد بالتأويل إلى معنى الحديث (47)

ج- موقف الثعالبي من التفسير المروي عن الصحابة والتابعين :

كان الثعالبي كثير النقل عن الصحابة والتابعين في التفسير ، وقد صرح في أكثر من موضع بأن تفسير الصحابة مقدم على غيره إذا صح سنده ، من ذلك ما جاء في قوله تعالى « لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون » (48) حيث ينقل عن ابن عطية آراء المفسرين في الآية ثم يقول " وما ذكره الجمهور أحسن لأن الخطاب خطاب مواجهة ، ولأنه تفسير صحابي وهو مقدم على

(43) آل عمران : 161

(44) الجواهر الحسان . 1 : 391 . وفي الموطأ : كتاب الجهاد . باب ما جاء في الغلول . ص : 373

(45) النحل : 33

(46) رواه مسلم عن أبي هريرة . كتاب صفة الجنة والنار . باب لن يدخل أحد الجنة بعمله . 8 . 139

(47) الجواهر الحسان . 2 : 424

(48) الحجر : 72

غيره " (49)

وكان الثعالبي يميل إلى فهم الصحابة للقرآن لما خصهم الله به من معاينة ظروف التنزيل ، والقرائن والأحوال التي احتفت بها المناسبات فكان يرتضي أحيانا فهم الصحابة لبعض الآيات وإن كان لا يحتمله لفظها ، وهذا واضح فيما نقله عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في تفسير قوله تعالى « ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها » (50) فظاهر الآية يوحي بأن الآية نزلت في الكفار أما عمر - رضي الله عنه - فيرى أنها شاملة للمؤمن والكافر وذكر ذلك في أكثر من مناسبة . فنقل ذلك الثعالبي وإرضاه وعضده بشواهد من السنة .

قال الثعالبي : وهذه الآية وإن كانت في الكفار فهي رادعة لأولي النهى من المؤمنين عن الشهوات واستعمال الطيبات ، ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه أتظنون أنا لا نعرف طيب الطعام ؟ ذلك لباب البر بصغار المعزي ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم أنهم أذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا . ذكر هذا في كلامه مع الربيع بن زياد (51) وقال أيضا نحو هذا لخالد بن الوليد (52) حين دخل الشام فقدم إليه طعام طيب ، فقال عمر : هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز الشعير ، فقال خالد لهم الجنة فبكى عمر وقال : إن كان حظنا في الحطام وذهبوا بالجنة فقد بانوا بونا بعيدا ، وقال جابر بن عبد الله (53) اشتريت لحما بدرهم فرآني عمر فقال : أوكلما اشتهى أحدكم شيئا اشتراه فأكله ، أما تخشى أن تكون من هذه الآية «أذهبتم طيباتكم»

ثم ينقل الثعالبي مجموعة من الأحاديث من سنن أبي داود ، ووقائق ابن المبارك ليؤيد فهم عمر بن الخطاب فقال : والآثار في هذا المعنى كثيرة جدا .

روى ابن المبارك في رقائقه من طريق الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم "أنه خرج في

(49) الجواهر الحسان . 2 : 408

(50) الأحقاف : 20

(51) هو الربيع بن زياد بن أنس الحارثي ، أدرك أيام النبوة ولم يقدم المدينة إلا في خلافة عمر ، مات في عهد عمر . ابن حجر ، الإصابة . دار الكتاب العربي . بيروت 1 : 491 .

(52) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي ، أبوسليمان ، أحد أشراف قريش في الجاهلية ، وقائد في الفتوحات الإسلامية ت : 21 هـ . الإصابة 1 : 415 .

(53) هو جابر بن عبد الله بن رثاب بن نعمان الأنصاري ، أحد الستة الذين شهدوا العقبة الأولى ت : 74 هـ . الإصابة 1 : 351 .

أصحابه إلى بقيع الغرقد فقال السلام عليكم يا أهل القبور لو تعلمون ما نجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم ، ثم أقبل على أصحابه فقال : هؤلاء خير منكم ، قالوا : يارسول الله ، إخواننا أسلمنا كما أسلموا وهاجرنا كما هاجروا وجاهدنا كما جاهدوا ، وأتوا على آجالهم فمضوا فيها وبقينا في آجالنا فما يجعلهم خيرا منا ، قال : هؤلاء خرجوا من الدنيا ولم يأكلوا من أجورهم شيئا ، وخرجوا وأنا الشهيد عليهم ، وأنكم قد أكلتم من أجوركم ، ولا أدري ما تحدثون من بعدي ، قال الحسن ، فلما سمعها القوم عقلوها وانتفعوا بها ، وقالوا : إنا لمحاسبون بما أصبنا من الدنيا وإنه لمنتقص من أجورنا . (54)

فإذا تعارض مآثور الصحابة والتابعين مع صحيح السنة النبوية قدم السنة وقد تجلى هذا أثناء تفسيره لقوله تعالى : «لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه» * حيث قال : وذهب ابن عباس وفرقة من الصحابة والتابعين إلى أن المراد بمسجد أسس على التقوى مسجد قباء ، وروي عن ابن عمر وأبي سعيد وزيد بن ثابت أنه مسجد النبي -صلى الله عليه وسلم - ويليق القول الأول بالقصة إلا أن القول الثاني مروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا نظر مع الحديث .

ثم يسوق حديثا للترمذي عن أبي سعيد الخدري أنه قال : تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على تقوى من أول يوم فقال رجل : هو مسجد قباء ، وقال الآخر هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو مسجدي هذا . قال أبو عيسى هذا حديث صحيح . وأخرجه مسلم . (55)

وقد استطاع الثعالبي ، وهو ينقل مآثور السنة والصحابة والتابعين أن يتجنب كثيرا من العيوب التي علقت به ، وذلك راجع إلى المنهج العلمي الذي اعتمده ، وقد تجلت سمات هذا المنهج فيما يلي :

أ - تخريج الأحاديث التي أوردها في تفسير السنة للقرآن . ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » (56) قال الثعالبي : « وقد أكثر الناس في الفرق بين الفقير والمسكين ، وأولى ما يعول عليه ما ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد روى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ليس

(54) الجواهر الحسان . 4 : 211 .

(55) سنن الترمذي . باب التفسير 4 : 344 .

(56) التوبة : 60 .

(*) التوبة : 109

المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان ، والتمر والتمرتان ، وإنما المسكين الذي ليس له غنى يغنيه ، ولا يتفطن له فيتصدق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس . « (57)

2- جمعه للروايات المختلفة في الآية الواحدة ومقابلة بعضها ببعض ، ثم تلخيص ماصح منها والإقتصار عليه ، وقد نص على هذا في كثير من المواضع منها ما جاء في تفسير قوله تعالى « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله . . » *

حيث قال : فالذي تظاهرت به الروايات ، ويتخلص من مجموع ما ذكره الناس أن العرب كانت لا عيش لأكثرها إلا من الغارات وأعمال سلاحها ، فكانوا إذا توالى عليهم حرمة الأشهر الحرم صعب عليهم وأملقوا ، وكان بنو فقيم من كنانة أهل دين في العرب وتمسك بشرع إبراهيم عليه السلام ، فانتدب منهم القلمس - وهو حذيفة بن عبد فقيم (58) فنسأ الشهور للعرب ثم خلفه على ذلك أبوه « (59)

كما أن إمام الثعالبي بأخبار السيرة النبوية مكنته من معرفة كثير من الأخبار الضعيفة التي تداولها من سبقه من المفسرين . ففي تفسير قوله تعالى : حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي . . « (60)

قال الثعالبي : « وهذه الآية معناها أن هكذا ينبغي للإنسان أن يكون ، فهي وصية للإنسان في كل الشرائع ، وقول من قال : إنها في أبي بكر وأبويه ضعيف لأن هذه الآية نزلت بمكة بلا خلاف ، وأبو قحافة أسلم عام الفتح « (61)

3- وكان الثعالبي شديد الحذر من الأخبار الواهية في سندها أو متنها . فكان لذلك يشترط السند القاطع في كل الأخبار الماثورة التي ليس للرأي فيها مجال ، مثال ذلك ما جاء في

(57) الجواهر الحسان . 2 : 181 . والحديث رواه مالك في الموطأ ، كتاب صفة النبي . باب ما جاء في المساكين . ص : 771 .

(58) قال ابن إسحاق : « وكان النسبي في بني فقيم ابن عدي بن عامر بن ثعلبة ، من مضر . وكان أول من نسأ الشهور على العرب القلمس - بفتح القاف واللام - وهو حذيفة بن عبد فقيم بن عدي ، ثم قام بعده ابنه عباد ، إلى أن كان آخرهم ثامة ، وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه فحرم الأشهر الحرم ، فإذا أراد أن يحل منها شيئاً أحل المحرم وجعل مكانه صفراً ليواطئوا عدة ما حرم الله فتبعه العرب في ذلك . ابن كثير . السيرة النبوية دار إحياء التراث العربي بيروت . ج 1 . ص : 96 .

(59) الجواهر الحسان . 2 : 170 .

(60) الأحقاف : 14 .

(61) الجواهر الحسان . 4 : 208 .

(* التوبة : 36)

تفسير قوله تعالى : « خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها » (62) حيث ينقل خبرا عن ابن عطية مفاده أن قوله تعالى : « خلقكم من نفس واحدة » هو أخذ الذرية من ظهر آدم وذلك شيء كان قبل خلق حواء ، ثم عقب عليه بقوله : وهذا يحتاج إلى سند قاطع « (67) وقد حمل هذا الحذر على اعتماد تفسير البخاري وتقديمه على ما سواه ، وخاصة فيما ينقل عن ابن عباس لما اشتهر بين الناس من كثرة التفسير الموضوع والمنسوب إليه .

ففي تفسيره قوله تعالى : « إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد » (68) يقول الثعالبي : وفي البخاري بسنده عن ابن عباس : لرادك إلى معاد ، إلى مكة (69) وفي تفسير قوله تعالى : « خافضة رافعة » (70) يقول : قال قتادة وغيره : يعني القيامة تخفض أقواما إلى النار ، وترفع أقواما إلى الجنة ، وقيل بانفطار السماوات والأرض والجبال وانهدام هذه البنية ترفع طائفة من الأجرام وتخفض أخرى فكانها عبارة عن سكرة هول القيامة، ثم يقول الثعالبي : والأول أبين ، وهو تفسير البخاري (71)

– وكانت من بين التفسيرات المأثورة التي ينقل عنها الثعالبي تفسير الثعالبي (72) المسمى : « الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، وقد قال فيه ابن تيمية : « كان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع » (73)

فكان ينقل كل ما نسب لكبار الصحابة والتابعين أمثال ابن عباس وعلي بن أبي طالب ومحمد بن كعب القرظي ، قتصدى الثعالبي لما نسب لهؤلاء الأعلام من غرائب في التفسير فأبطله ورده ، ولكنه أحيانا يكتفي بتفويض العلم بصحته لله تعالى . والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

في تفسير قوله تعالى : « إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم » (74) يفسر الآية بما يقتضيه ظاهر النص وعموم اللفظ ثم يقول : وأما ما روي عن محمد بن

(62) الزمر : 6 .

(67) الجواهر الحسان . 4 : 69 . أنظر المحرر الوجيز . 4 : 7

(68) القصص : 85 .

(69) الجواهر الحسان . 3 : 200 .

(70) الواقعة : 3 .

(71) الجواهر الحسان . 4 : 343 .

(72) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي ، مفسر ، محدث ، ت : 427 هـ . وفيات الأعيان . ج 1 . ص : 95 .

(73) مقدمة في أصول التفسير : 31 .

(74) البقرة : 118

كعب القرظي ، ومن وافقه من أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سأل ما فعل أبواي ؟ فنزلت الآية في ذلك فهو بعيد ولا يتصل أيضا بمعنى ما قبله « (75)

- وفي تفسير قوله تعالى : «كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه » (76) فهو كذلك يفسر الآية في إطار قانون اللغة ، ثم يورد ما حكاه النقاش (77) عن ابن عباس أنه قال : الزرع النبي - صلى الله عليه وسلم - فأزره علي بن أبي طالب فاستغلظ بأبي بكر فاستوى على سوقه بعمر بن الخطاب . ثم رد هذا التفسير بقوله : وهذا لين الإسناد والمتن كما ترى ، والله أعلم بصحته (78)

وكذا في تفسير قوله تعالى : « يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا » (79) فهو ينقل مجموعة من الأخبار في صفة ورود عباد الرحمان على ربهم ثم يحكم عليها بالضعف من جهة إسنادها فيقول : روى عن علي أنهم يجيئون ركباناً على النوق المحلاة بحلية الجنة خطمها من ياقوت وزبرجد ، وروى أنه يركب كل واحد منهم ما أحب ، فمنهم من يركب الإبل ومنهم من يركب الخيل ومنهم من يركب السفن فتجيء عائمة بهم ، وقد روي في الصحايات أنها مطاياكم إلى الجنة ، وأكثر هذه الروايات فيها ضعف من جهة الإسناد (80)

موقف الثعالبي من الإسرائيليات :

ويجدد بنا ونحن نتحدث عن موقف الثعالبي من التفسير بالمأثور- أن نبين موقفه من الإسرائيليات التي راجت في كتب التفسير السابقة له ، ويقصد بالإسرائيليات ذلك اللون اليهودي النصراني الذي تلونت به معظم كتب التفسير المأثور ، وإنما سميت بالإسرائيليات من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني لما اشتهر أمره وكثر النقل عنه .

وقد اشتمل التوراة والإنجيل على كثير مما جاء في القرآن من قصص الأنبياء والأمم مع فارق واحد هو الإيجاز في القرآن والبسط والإطناب في التوراة والإنجيل ، ولذا كان الصحابي

(75) الجواهر الحسان . 1 : 128

(76) الفتح : 29 .

(77) هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد ، أبوبكر النقاش ، عالم بالقراءات والتفسير . ت : 351 هـ . البداية والنهاية . 11 : 242 .

(78) الجواهر الحسان . 4 : 53 .

(79) مريم : 85 .

(80) الجواهر الحسان . 3 : 31 .

إذا مر على قصة من قصص القرآن يجد في نفسه ميلا إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن منها ولم يتعرض له ، فلا يجد من يجيبه عن سؤاله سوى هؤلاء النفر الذين دخلوا الإسلام وحملوا إلى أهله ما معهم من ثقافة دينية

وقد نهى الرسول -صلى الله عليه وسلم- في بداية الأمر عن الأخذ عنهم لما رواه أحمد : "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا وإنكم إما إن تكذبوا بحق ، وإما أن تصدقوا بباطل ، والله لو كان موسى بين أظهركم ما حل له إلا اتباعي " (81)

قال الحافظ ابن حجر في الفتح "وكان النهي قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة ، ولما زال الحذر وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار" (82)

فالسحابة بعملهم هذا لم يخرجوا عن دائرة الجواز التي حدها لهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- بقوله : «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» (83) إلا أن الأمر في عصر التابعين اختلف ، فتوسعوا في الأخذ عن أهل الكتاب ، وظهر جماعة من المفسرين أرادوا أن يسدوا الثغرات القائمة في التفسير بما هو موجود عند اليهود والنصارى فحشوا التفسير بكثير من القصص المتناقضة والتفصيلات التي لا يحتاج إليها القصص وخاصة ما يصادم العقل ويجافي المنطق (84)

وكان أقطاب الرواية الإسرائيلية أربعة رهط وهم : (85)

- عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي الأنصاري (ت : 43 هـ)

- كعب بن ماتع الحميري المعروف بكعب الأحبار (ت : 32 هـ)

- أبو عبد الله وهب بن منبه اليماني الصنعاني (ت : 110 هـ)

- عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج النصراني (ت : 150 هـ)

وبالرغم من كثرة انتشار الإسرائيليات في معظم تفاسير السابقين فإن الثعالبي قد شذ عن ذلك ، وهذا راجع لميله للإيجاز والإختصار في تفسيره من جهة ، واعتماده المنقولات

(81) أخرجه البخاري . كتاب الإعتصام باب لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء . أنظر فتح الباري . 13 : 284 .

(82) فتح الباري . 6 : 388 .

(83) أخرجه البخاري عن ابن عمر . كتاب الأنبياء . باب ما ذكر عن بني إسرائيل . فتح الباري . 6 : 388 .

(84) التفسير والمفسرون . 1 : 171 .

(85) المرجع السابق . 184 وما بعدها .

الصحيحة واكتفائه بها من جهة أخرى .

وقد أشار لموقفه هذا في كثير من المواضع ، منها ما جاء في سورة الكهف حيث قال :
 "واختلف الرواة في قصصهم ، ونذكر من الخلاف عيونه ، وما لا تستغني الآية عنه " (86)
 ويؤكد هذا الموقف في موضع آخر من نفس السورة فيقول في معرض الكلام عن فتية
 الكهف : "وفي هذا القصص من الإختلاف ما تضيق به الصحف فاختصرته وذكرت المهم الذي
 به تتفسر ألفاظ الآية ، واعتمدت الأصح (87)

وقد تصدى الثعالبي لكثير من الإسرائيليات فأبطلها وكشف زيفها ، واستعان على ذلك بأقوال
 الأئمة الأعلام .

من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : «وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا» (88)
 الآية . حيث نقل الثعالبي عن القاضي عياض قوله : «وأما ما ذكره أهل الأخبار ونقله المفسرون
 في قصة هاروت وماروت وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما في خبرهما وابتلائهما
 فاعلم أكرمك الله أن هذه الأخبار لم يرو منها سقيم ولا صحيح عن رسول الله -صلى الله عليه
 وسلم- وليس هو شيء يؤخذ بالقياس ، والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه ، وأنكر
 ما قال بعضهم فيه كثير من السلف ، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله أول
 الآيات" (89)

وفي تفسير قوله تعالى : «وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب» (90) ينقل عن أهل
 العلم ما جاء في الآية ثم يعرج على الإسرائيليات التي أوردها القصاص في هذه النازلة فيقول :
 "وأما نازلته التي وقع فيها ففيها للقصاص تطويل ، فلم نر سوق ذلك لعدم صحته ، روي في ذلك
 عن ابن عباس ما معناه أن داود عليه السلام كان في محرابه يتعبد إذ دخل عليه طائر حسن
 الهيئة فمد يده إليه ليأخذه ، فزال مطمعا له من موضع إلى موضع حتى اطلع على امرأة لها
 منظروجمال ، فخطر في نفسه أن لو كانت من نسائه وسأل عنها فأخبر أنها امرأة "أوريا" وكان
 في الجهاد فبلغه أنه استشهد فخطب المرأة وتزوجها ، فكانت أم سليمان فيما روي عن قتادة ،

(86) الجواهر الحسان . 2 : 54 .

(87) الجواهر الحسان . 2 : 517 .

(88) البقرة : 101 .

(89) القاضي عياض . الشفا بتعريف حقوق المصطفى . دار الكتب العلمية . بيروت . 2 : 175 .

(90) ص : 21

فبعث الله الخصم ليفتي .." (91)

إلى أن قال الثعالبي: "وفي كتب بني إسرائيل في هذه القصة صور لا تليق ، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه من حدث بما قال هؤلاء القصاص في أمر داود جلده حدين لما ارتكب من حرمة من رفع الله قدره ." (92)

وكان رفض الثعالبي لمعظم الإسرائيليات قائما على عدم اطمئنانه إلى أسانيدھا ، فعندما عرض لتفسير قوله تعالى: «واتل عليهم نبأ الذي أتيناہ آیاتنا فانسلخ منها ..» (93) ينقل أخبارا كثيرة في قصة بلعم بن باعوراء ثم يعلق عليها جميعا بقوله: "وفي هذه القصة روايات كثيرة تحتاج إلى صحة إسناد" (94)

ويبدو الثعالبي واسع الإطلاع بالإسرائيليات صحيحها وسقيمها ملما بما اعتراها من نقص وزيادة، وكان يشير إلى ذلك في معظم ما ينقل من الإسرائيليات ولكنها إشارات مجملة لا تفيدنا في تحديد مواضع النقص والزيادة في هذه القصص .

ففي تفسير قوله تعالى: «وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علوا كبيرا» (95) ينقل الثعالبي أخبارا متفرقة عن بني إسرائيل في إفسادهم ، وقصة الملك الذي أراد أن يتزوج إبنته ، فنهاه يحي بن زكرياء عليهما السلام عن ذلك ... إلى أن تنتهي القصة بقتل يحي عليه السلام ، وبعد إيراده الروايات المختلفة لهذه القصة علق عليها بقوله : "وفي بعض الروايات زيادة ونقص" (96)

والذي عليه أهل العلم أن الإسرائيليات ليست كلها في مرتبة واحدة بل هي ثلاثة أقسام (97)

قسم يعلم صحته بأن نقل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مثله ، أو كان له من الشرع شاهد يؤيده ، فهذا صحيح معقول .

وقسم يعلم كذبه بأن يناقض ما عرفناه من شرعنا ، فهذا قسم لا يصح قبوله ولا روايته .

(91) الجواهر الحسان . 4 : 51 .

(92) الجواهر الحسان . 4 : 51 .

(93) الأعراف : 176 .

(94) الجواهر الحسان . 2 : 86 .

(95) الإسراء : 4 .

(96) الجواهر الحسان . 2 : 459 .

(97) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . ج 1 . ص : 8 .

وقسم مسكوت عنه ، لا هو من قبيل الأول ، ولا هو من قبيل الثاني ، هذا القسم نتوقف فيه ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، وتجوز حكايته للإستشهاد لا للإعتقاد ، لما تقدم من قوله -صلى الله عليه وسلم- لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا «أمننا بالله وما أنزل إلينا وأنزل إليكم» (98) وقد روى الثعالبي من الإسرائيليات ما كان من هذا النوع الثالث ، واقتصر في ذلك على ما رواه أقطاب الروايات الإسرائيلية

فروى عن وهب بن منبه في مواضع قليلة ، منها ما جاء في قوله تعالى :

«أذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون» (99) قال وهب بن منبه : أمره بالتولي حسن أدب لئلا يتنحى حسب ما يتأدب به مع الملوك ، وكن قريبا حتى ترى مراجعاتهم ، وروى وهب بن منبه في قصص هذه الآية أن الهدد وصل فوجد دون هذه الملكة حجب جدران ، فعمد إلى كوة كائت بلقيس صنعتها لتدخل منها الشمس عند طلوعها لمعنى عبادتها إياها ، فدخل منها ورمى بالكتاب إليها فقرأته وجمعت ملكها فخاطبتهم بما فيه» (100)

ونقل عن عبد الله بن سلام في أكثر من موضع ، من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : «وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدد» (101) قال عبد الله بن سلام : إنما طلب الهدد لأنه احتاج إلى معرفة الماء على كم هو من وجه الأرض ، لأنه كان في مفازة عدم فيها الماء وأن الهدد كان يرى باطن الأرض وظاهرها فكان يخبر سليمان بموضع الماء ثم كانت الجن تخرجه في ساعة ، وقيل غير هذا ، والله أعلم بما صح من ذلك (102)

ونقل عن كعب الأحبار في تفسير قوله تعالى «فأنجاه الله من النار..» (103) قوله : ولم تحرق النار إلا الحبل الذي أوثقوه به ، وجعل سبحانه ذلك آية وعبرة لتوحيده لمن شرح صدره ويسره للإيمان (104)

(98) سبق الإشارة إليه في فتح الباري .

(99) النمل : 28 .

(100) الجواهر الحسان . 3 : 252 .

(101) النمل : 20 .

(102) الجواهر الحسان . 3 : 250 .

(103) العنكبوت : 24 .

(104) الجواهر الحسان . 2 : 295 .

كما نقل عن عبد الملك بن جريج في تفسير قوله تعالى «فانهار به في نار جهنم» (105) أن هذا الإنهيار كان حقيقة وليس مجازا (106)

وقد كان هؤلاء النفر على مبلغ كبير من الفقه في الدين والورع كما شهد لهم بذلك كثير من أهل العلم (107)

ويتبين من كل هذا أن كتاب الجواهر الحسان كان من أسلم كتب التفسير وأصحها فيما تضمنه من تفسير بالمؤثر.

اللغة في تفسير الثعالبي:

ولما كانت اللغة مما يتلقى، وينقل خلفا عن سلف، فقد رأيت أن ألحق التفسير باللغة بالتفسير المأثور لأنه منه وإليه، فأبين وأقول:

أبدى الثعالبي اهتماما متميزا بالجانب اللغوي في تفسيره (108)، ولعل مما انفرد به عن غيره من المفسرين ذلك المعجم في شرح غريب الألفاظ الذي جعله ملحقا لتفسيره (109) ومن هذا الملحق علمنا أن عددا من المعاجم اللغوية كانت بين يدي الثعالبي وهو يؤلف كتابه الجواهر الحسان حيث قال: "واعتمدت في بيان ذلك وإيضاحه على صحاح أبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (110) المسمى "تاج اللغة العربية"، و"مختصر العين" لأبي بكر محمد بن حسين الزبيدي (111)، و"شرح الغريبين"، غريب القرآن وغريب الحديث لأبي عبد الله أحمد بن

(105) التوبة: 109

(106) الجواهر الحسان . 2 : 206 .

(107) أنظر أقوال العلماء فيهم : التفسير والمفسرون 1 : 184 وما بعدها .

(108) وقد طبع هذا المعجم في مجلد مستقل مع تفسيره الجواهر الحسان .

(109) (هذا الرقم ملغى) .

(110) هو إسماعيل بن حماد الجوهري ، الفارابي ، قال فيه أبو منصور الثعالبي : من أعاجيب الدنيا وذلك أنه من الفاراب -بلاد الترك- وهو إمام في لغة العرب . أبو منصور الثعالبي يتيمة الدهر . مطبعة السعادة . القاهرة . ط 2 . 1986 . 4 : 406 .

(111) هو محمد بن الحسن بن عبد الله بن مدحج الزبيدي الإشبيلي ، أديب ، شاعر ، فقيه ، محدث ، ت : 379 هـ . بغية الوعاة : 34 .

محمد الهروي (112) و"مشارك الأنوار" لأبي الفضل عياض اليعصبي (113) وإن نقلت شيئاً من غيرهم عزوته لم لمن نقلت عنه (114)

ونستطيع أن نستجلي الجانب اللغوي من تفسير الثعالبي فيما يلي :

أولاً : المفردات اللغوية : استعان الثعالبي على تفسير غريب القرآن بأقوال أئمة اللغة فنقل عنهم في كثير من المواضع نذكر منها :

- في تفسير قوله تعالى (115) «ومهيمننا عليه» (116) قال : مهيمنا بمعنى شاهد ومصدق ومؤتمن ، قال المبرد (117) مهيمن أصله مؤتمن بني من أمين أبدلت همزته هاء ، كما قالوا أُرقت الماء وهرقته ، واستحسنه الزجاج (118)

وفي قوله تعالى : «حقيق علي ألا أقول على الله إلا الحق» (119)

قال : قال الفارسي (120) : معنى هذه القراءة أن (علي) وضعت موضع الباء كأنه قال : حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق.

وفي تفسير قوله تعالى «خاوية على عروشها» ينقل عن الزبيدي والجوهرى فيقول : قال الزبيدي في مختصر العين «خوت الدار» باد أهلها ، وخوت تهدمت ، وقال الجوهرى في كتابه المسمى تاج اللغة وصحاح العربية : خوت النجوم خيا إمحت وذلك إذا أسقطت ولم تمطر في نوئها ، وأخوت مثله ، وخوت الدار خواء ممدوداً أقوت وكذلك إذا سقطت ، ومنه قوله تعالى :

(112) هو أحمد بن محمد الهروي ، أبو عبيد ، محدث ، مفسر ، فقيه ، أديب ، ت : 355 هـ . معجم المؤلفين 2 : 110 .

(113) هو عياض بن موسى بن عياض اليعصبي السبتي ، إمام في الحديث والتفسير والفقه واللغة . القفطي إنباه الرواة : دار الفكر العربي . القاهرة ط 1 . 1986 . ج 2 . ص : 363 .

(114) أنظر معجم غريب الألفاظ الملحق بالجواهر الحسان ص : 5 .

(115) الجواهر الحسان . 1 : 464 .

(116) المائة : 50

(117) هو بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير الأزدي ، أبو العباس ، أديب ، نحوي ، لغوي ، ت : 285 هـ . تاريخ بغداد . 3 : 380 .

(118) هو إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج ، أبو إسحاق ، نحوي ، لغوي ، مفسر ، ت : 311 هـ . إنباه الرواة . 1 : 159 .

(119) الأعراف : 104 .

(120) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل ، أبو علي ، من أئمة النحاة ت : 377 هـ . تاريخ بغداد . 275 : 7 .

فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا " (121) ويقال ساقطة كما قال : " فهي خاوية على عروشها " (122) أي ساقطة على سقوفها. انتهى ، وهو تفسير بارع ، وبه أقول « (123)

- وفي تفسير قوله تعالى : " سلام على آل ياسين " ينقل عن ابن جني (124) فيقول : « قال ابن جني : العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعبا ، فياسين وإلياس ، وإلياسين شيء واحد » (125)

- وفي تفسير قوله تعالى : " فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم " ينقل معنى كلمة « الويل » عن الخليل (126) فيقول : « قال الخليل : الويل شدة الحر ، وهو مصدر لا فعل له ، ويجمع على ويلات ، والأحسن فيه إذا انفصل الرفع ، لأنه يقتضي الوقوع ، ويصح النصب على معنى الدعاء أي ألزمه ويلا ، وويل ، وويح وويس تتقارب بينها في المعنى » (127)

ثانيا : استشهاده بالشعر :

أما استشهاد الثعالبي بأشعار العرب على معاني الألفاظ فهو قليل ، بل نادر مع أن الشعر العربي القديم كان أساسا اعتمد عليه الصحابة والتابعون رضي الله عنهم في تفسير القرآن ، وذكر القرطبي أن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن سألتهموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب (128) .

واستشهاده على اللفظة الواحدة من غريب القرآن لا يتجاوز البيت الواحد من الشعر مما يجعله قاصرا دون المعاني المختلفة التي قد يحتملها اللفظ ، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

- في تفسير قوله تعالى : " أنه من عمل منكم سوءا بجهالة " الأنعام (129) يقول

(121) النمل : 54 .

(122) البقرة : 258 .

(123) الجواهر الحسان . 1 : 529 .

(124) هو عثمان بن جني الموصلي ، أبو الفتح ، أديب ، نحوي ، لغوي ، ت : 392 هـ ، إنباه الوراثة . 2 : 335 .

(125) الجواهر الحسان . 4 : 37 .

(126) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ، الأزدي البصري ، نحوي ، لغوي ، رائد علم العروض والمعاجم ، ت : 170 هـ . معجم المؤلفين . 4 : 112 .

(127) الجواهر الحسان . 1 : 103 .

(128) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن . دار الشعب القاهرة . 1 : 24 .

(129) الأنعام : 55 .

والجهالة في هذا الموضوع تعم التي تضاد العلم ، والتي تشبه بها ، وذلك أن المعتمد لفعل الشيء الذي قد نهى عنه ، تسمى معصيته تلك جهالة ومنها قول الشاعر :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا (130)

وأكثر ما يستشهد به من شعر في شرح غريب ألفاظ القرآن إنما هو ناقل له عن ابن عطية أو من شواهد الصفاقسي وابن هشام وابن مالك ، من ذلك نقله عن ابن عطية في شرحه معنى الحواري في قوله تعالى : " قال الحواريون نحن أنصار الله " فقال : الحور هو البياض ، حورت النور بيضته ، ومنه الحواري ، وقد تسمى العرب النساء الساكنات في الأمصار الحوريات لغلبة البياض عليهن ، ومنه قول أبي حلزة اليشكري (131) :

فقل للحوريات يبكين غيرنا ولا تبكنا إلا الكلاب النواج

ومنه ما جاء في تفسير قوله تعالى : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " الأحزاب " : 33 حيث نقل الصفاقسي قوله : وأهل البيت منصوب على النداء أو على المدح أو على الاختصاص ، وهو قليل في المخاطب ، وأكثر ما يكون في المتكلم كقوله : نحن بنات طارق نمشي على النمارق (132)

ثالثا : النحو

ومتلما اهتم الثعالبي بشرح المفردات اللغوية العربية ، فإنه أولى اهتماما أكثر للجانب النحوي ، فكان ينقل عن ابن عطية بعض المسائل النحوية ، بإيجاز لا يخرجها عن الغرض الأساسي وهو إيضاح تركيب الكلام ليصل إلى المراد من النص القرآني ، غير أن مصدره الأساسي في هذا الجانب هو تفسير البحر المحيط لأبي حيان ، إستقى منه أغلب مادته النحوية بواسطة الصفاقسي ، إلى جانب بعض أئمة النحو الآخرين ، كما نص على ذلك في مقدمة تفسيره .

« وما نقلته من الإعراب عن غير ابن عطية فمن الصفاقسي مختصر أبي حيان غالبا ، وجعلت

(130) الجواهر الحسان . 1 : 626 . والبيت من معلقة عمرو بن كلثوم .

(131) هو الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري ، شاعر جاهلي ، من أهل بادية العراق ، أحد أصحاب المعلقات السبع . معجم المؤلفين . 3 : 175 .

(132) الجواهر الحسان . 3 : 354 .

"الصاد" علامة عليه ، وربما نقلت عن غيره معزوا لمن نقلت عنه « (133) ونستطيع أن نقف على أهم مصادر الثعالبي النحوية من خلال هذه النماذج التي نجتزئها من تفسيره :

- فعندما عرض لقوله تعالى : " إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى ، من آمن بالله واليوم الآخر .." (134)

قال : ومما قرأ الجمهور (الصابئين) وقرئ خارج السبعة (والصابين) وهي بيئة الإعراب ، وأما على قراءة الجمهور فاختلف في إعرابها . ومذهب سيبويه والخليل ونحاة البصرة من المقدم الذي معناه التأخير ، كأنه قال : إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والصابئون والنصارى كذلك .

قال الصفاقسي : ووجه ثان أن خبر «إن» محذوف أي إن الذين آمنوا لهم أجرهم ، وخبر الصابئين : من آمن وما بعده ، قال ابن عصفور : وهو حسن جدا ، انتهى . وقال ابن مالك : وهو أسهل من التقديم والتأخير ، وقيل إن (الصابئين) في موضع نصب ، ولكنه جاء على لغة بالحارث الذين يجمعون التثنية بالألف على كل حال ، والجمع بالواو على كل حال (135)

- وفي تفسير قولوله تعالى : " حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر .." (136)

يقول : يحتمل أن تكون «حتى» غاية ، كأنه قال : إلى أن فشلتم ، والأظهر الأقوى أن (إذا) على بابها تحتاج الجواب ، ومذهب الخليل وسيبويه وفرسان الصناعة أن الجواب محذوف يدل عليه المعنى تقديره انهزمتم (137)

- وفي تفسير قوله تعالى : " فأماته الله مائة عام " ينقل عن كتاب المعنى لابن هشام (138) فيقول : قال ابن هشام : لا يصح انتصاب مائة بأماته لأن الإماتة سلب الحياة ، وهي

(133) الجواهر الحسان . 1 : 8

(134) البقرة 61

(135) الجواهر الحسان . 1 : 92

(136) آل عمران : 152

(137) الجواهر الحسان . 1 : 182

(138) سبق التعريف به .

لا تمتد ، وإنما الوجه أن يضمن أماته « معنى ألبثه » فكأنه قيل : فألبثه الله بالموت مائة عام ، حينئذ يتعلق به الظرف . انتهى من المغني (139)

- وفي تفسير قوله تعالى : " لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني " (140) يناقش الثعالبي ابن عطية والزمخشري (141) فيما تدل عليه « لن » فيرد عليهم بأقوال أئمة النحو مثل ابن مالك وابن هشام . فيقول : وقول ابن عطية : ولو بقينا مع هذا النفي بمجرد لقضينا أنه لا يراه موسى أبدا ، ولا في الآخرة ، قول مرجوح لم يتفطن له رحمه الله ، والحق الذي لا شك فيه أن (لن) لا تقتضي النفي المؤبد (142)

قال بدر الدين أبو عبد الله بن مالك في شرح التسهيل : و"لن" كغيرها من حروف النفي في جواز كون استقبال المنفي بها منقطعا عند حد وغير منقطع ، وذكر الزمخشري في أنموذجه أن لن لتأييد النفي ، وحامله على ذلك ، اعتقاده أن الله لا يرى ، وهو اعتقاد باطل لصحة ثبوت الرؤية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واستدل على عدم اختصاصها بالتأييد بمجيء استقبال المنفي بها مغيبا إلى غاية ينتهي بانتهائها كما في قوله تعالى : " قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى " (143) وهو واضح ، انتهى (144) .

ونحوه لابن هشام ، ولفظه : ولا تفيد « لن » توكيد المنفي خلافا للزمخشري في كشافه ، ولا تأييده خلافا له في « أنموذجه » وكلاهما دعوى بلا دليل ، قيل ولو كانت للتأييد لم يقيد منفيها باليوم في " فلن اكلم اليوم إنسيا " (145) وكان ذكر الأبد في " ولن يتمنوه أبدا " (146) تكرارا والأصل عدمه ، انتهى من المغني . (147)

(139) الجواهر الحسان . 1 : 250 . أنظر ابن هشام . مغني اللبيب . 2 : 585

(140) الأعراف : 143

(141) هو صاحب تفسير الكشاف . ت : 538

(142) طه : 90

(143) الجواهر الحسان . 2 : 65

(144) ابن هشام . أوضح المسالك . 4 : 148

(145) مريم : 25

(146) البقرة : 146

(147) الجواهر الحسان . 2 : 69

رابعا : إعجاز القرآن في تفسير الثعالبي :

لم يعتن الثعالبي في تفسيره بإبراز مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم إلا في مواضع قليلة، فنراه يجتهد في بيان ما في ألفاظ القرآن من دقة واختيار للتعبير الدال على إعجاز القرآن اللفظي . كما أنه لم يعتمد في ذلك من المصادر إلا ابن عطية حيث كان ينقل عنه بعض الآراء والأخبار في الكشف عن وجوه الإعجاز في كتاب الله تعالى .

منها ما جاء في تفسير قوله تعالى : " أحلت لكم بهيمة الانعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد " : (148)

قال الثعالبي : قال ابن عطية : وهذه الآية مما تلوح فصاحتها ، وكثرة معانيها على قلة ألفاظها لكل ذي بصر بالكلام ، ولن عنده أدنى إِبصار ، وقد حكى النقاش أن أصحاب الكندي (149) قالوا للكندي : أيها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن ، فقال نعم أعمل لكم مثل بعضه ، فاحتجب أياما كثيرة ثم خرج فقال: والله ما أقدر عليه ، ولا يطيق هذا أحد ، إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة فنظرت فإذا هو قد أمر بالوفاء ، ونهى عن النكث وحل تحليلها عاما ، ثم استثنى استثناء ، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين ، ولا يستطيع أحد أن يأتي بمثل هذا إلا في أجلا د « (150)

- وفي تفسير قوله تعالى : " أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات " (151)

يقول الثعالبي : والتحدي في هذه الآية عند الجمهور وقع بجهتي الاعجاز التي في القرآن : إحداهما النظم والرصف والإيجاز وجزالة الأسلوب ، والأخرى المعاني من الغيب لما مضى وما يستقبل

قال ابن عطية : هذا قول جماعة المتكلمين ، ثم اختار أن الإعجاز في الآيتين إنما وقع في النظم لا في الأخبار بالغيوب .

ثم قال الثعالبي : والصواب ما تقدم للجمهور وإليه رجع في سورة هود، وأوجه إعجاز القرآن أكثر من هذا (152)

(148) المائدة : 2

(149) هو عبد الله بن سعيد بن حصين الكندي ، الكوفي محدث ، حافظ ، ت : 257 هـ . تذكرة الحفاظ

: 77 ، 2

(150) الجواهر الحسان . 1 : 522

(151) يونس : 38

وإلى جانب ما نقله الثعالبي عن ابن عطية فيما يتعلق بالإعجاز القرآني فإننا نجد إشارات قليلة اعتمد الثعالبي في الكشف عنها على نوقه وحسه البلاغي .

منها ما جاء في تفسير قوله تعالى : " ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله ... " (153)

قال الثعالبي : من أساليب فصاحة القرآن أنه يأتي فيه ذكر نقيض ما يتقدم ذكره ليتبين حال التضاد ، بعرضها على الذهن ، ولما ذكر الله صدقات القوم الذين لا خلاق لهم ، ونهى المومنين عن موافقة ما يشبه ذلك بوجه ما ، عقب في هذه الآية بذكر نفقات القوم الذين بذلوا صدقاتهم على وجهها في الشرع ، فضرب لها مثلا .» (154)

- وفي تفسير قوله تعالى : " ثم تاب عليهم ليتوبوا " (155)

قال الثعالبي : لما كان هذا القول في تعديد النعم بدأ في ترتيبه بالجهة التي هي عن الله تعالى ليكون ذلك منه على تلقي النعمة من عنده لا من رب غيره ، ولو كان هذا القول في تعديد ذنب لكان الإبتداء بالجهة التي هي على المذنب كما قال عزوجل " فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم " (156) ليكون ذلك أشد تقريرا للذنب عليهم ، وهذا من فصاحة القرآن وبديع نظمه ومعجز اتساقه .» (157)

ومهما يكن من شيء فالثعالبي مقلد من التعرض إلى جانب الإعجاز في القرآن مع ميله إلى الرأي القائل : إن القرآن كله معجز ، وإنما دفعه إلى الإقلال توخيه الإيجاز والاختصار ، ويؤكد هذا ما ذهب إليه في تفسير قوله تعالى : " وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه ... " (158)

حيث قال : " وهذه الآية بارعة الفصاحة ، جمعت المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة ، وكل كتاب الله كذلك إلا أننا بقصور أفهامنا يبين لنا في بعض أكثر مما يبين لنا في بعض " (159)

(152) الجواهر الحسان . 2 : 238

(153) البقرة : 264

(154) الجواهر الحسان . 1 : 257

(155) التوبة : 119

(156) الصف : 5

(157) الجواهر الحسان . 2 : 215

(158) المائدة : 50

(159) الجواهر الحسان . 1 : 557

جامعة الأمير
الفصل الثاني

موقف الثعالبي
من الأحاديث الواردة في تفسيره

موقف الثعالبي
من الأحاديث الواردة في تفسيره
الإسلامية

أولع الثعالبي بعلم الحديث متأثراً بمن لقي في المشرق من شيوخه ، وقد ذكر نعمة الله عليه في ذلك فقال : " وكان بعض فضلاء المغاربة يقول لي : لما قدمت علينا من المشرق رأيناك آية للسائلين في علم الحديث " ومع ذلك لا أسمع بمجلس يروى فيه الحديث إلا حضرته . ولم يكن يوماً بتونس من أعلمه يفوتني في علم الحديث ، منة من الله ، إذا تكلمت فيه أنصتوا ، وتلقوا ما أرويه بالقبول فضلاً من الله سبحانه ، ثم تواضعا منهم وإذعانا للحق واعترافاً به " (1)

وقد ضمن تفسيره الكثير من ذلك ، وصرح في مقدمته بهذا فقال : " فكتابي هذا محشو بنفائس الحكم ، وجواهر السنن الصحيحة ، والحسان الماثورة عن سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - (2) . وقد دفعنا هذا إلى البحث عن منهج الثعالبي في توظيف هذه السنن في تفسيره . ومن تتبعنا لما رواه الثعالبي من سنن في تفسيره تجلى لنا أن السمات البارزة لمنهجه تتمثل فيما يلي :

أ - حرصه على تخريج الأحاديث (3) ، سواء في ذلك الأحاديث التي نقلها عن مصادرها الأصلية ، أو نقلها عن مراجع أخرى محذوفة الأسانيد ، مع إشارته إلى درجتها من الصحة ، ومن الأمثلة على ذلك :

- في مطلع تفسير سورة البقرة يورد ابن عطية حديثاً في فضلها فيقول : روي أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال : « أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول ، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة من تحت العرش » ثم يقول الثعالبي : وما أنا ذا إن شاء الله أنكر أصل الحديث بكماله لما اشتمل عليه من الفوائد العظيمة ، خرج الحاكم أبو عبد الله في المستدرک على الصحيحين عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « اعملوا بالقرآن ، أحلوا حلاله وحرّموا حرامه » وذكر في الحديث كله (4)

- وفي فضل سورة الكهف (5) يذكر الثعالبي عدة أحاديث مسندة مخرجة منها قوله : وعن

(1) أنظر عبد الرزاق قسوم ، عبد الرحمان الثعالبي و التصوف : 36

(2) الجواهر الحسان . 1 : 9

(3) التخريج : « هو الدلالة على وضع الحديث في مصادره الأصلية التي أخرجته بسنده ثم بيان مرتبته عند الحاجة » .

أصول التخريج ودراسة الأسانيد . د . محمود الطحان . مكتبة المعارف . الرياض ص 10

(4) الجواهر الحسان . 1 : 43

(5) الجواهر الحسان . 2 : 507

البراد بن عازب قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه فرس مربوط بشطنين ، فغشيته سحابة فجعلت تدنو وتدنوا ، وجعل فرسه ينفر ، فلما أصبح أتى النبي - صلى الله عليه وسلم- فذكر ذلك له ، فقال : « تلك السكينة نزلت بالقرآن » رواه البخاري (6) واللفظ له ، ومسلم والترمذي والنسائي ، والرجل المبهم هو أسيد بن حضير

وللترمذي : " من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين ، وقال صحيح الإسناد ، وأخرجه الدارمي في مسنده موقوفا ، ورواه متفق على الإحتجاج بهم إلا أبا هاشم يحيى بن دينار الرماني (7) ، وقد وثقه أحمد ، ويحيى بن معين (8) وأبو زرعة (9) وأبو أويحاتم (10)

- وفي تفسير قوله تعالى (11) : «سماهم في وجوههم من أثر السجود» (12) قال الثعالبي : "ففي صحيح البخاري ومسلم عن أنس قال: مروا بجنابة فأتوا عليها خيرا فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : وجبت ثم مروا بأخرى فأتوا عليها شرا فقال وجبت فقال عمر : "وما وجبت فقال : هذا أثنتيم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أثنتيم عليه شرا فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض" (13)

إلا أن ما نلاحظه عليه أنه يعتمد أحيانا على واسطة في تخريجه للأحاديث، ولم يرجع إلى مظانها الأصلية ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

- (6) كتاب فضائل القرآن . فضل سورة الكهف . فتح الباري 9 : 47
- (7) هو يحيى بن أبي الأسود ، أبو هاشم الرماني الواسطي ، روى عن أبي العالية ومجاهد وغيرهما ، وروى عنه الثوري وشريك وغيرهما ، قال عنه يحيى بن معين : أبو هاشم الرماني ثقة ، وكذا قال عنه أبو زرعة . أنظر أبو حاتم . الجرح والتعديل . دار المعارف العثمانية . الهند . ط 1 . 1953 ج 9 : 140
- (8) يحيى بن معين بن عون بن زياد الغطفاني ، إمام الجرح والتعديل . توفي بالمدينة : 233 هـ . تهذيب التهذيب 11 : 281
- (9) عبيد الله بن عبد الكريم بن بريد ، أبو زرعة الرازي ، من أئمة الحديث والتفسير ت : 264 هـ . تذكرة الحفاظ 2 : 557
- (10) محمد بن إدريس بن المنذر أبو حاتم الرازي أحد الأئمة الحفاظ الأثبات 27 هـ . تاريخ بغداد 2 : 73
- (11) الجواهر الحسان . 4 : 249
- (12) الفتح 29
- (13) رواه البخاري في كتاب الجنائز . باب ثناء الناس على الميت . الفتح : 3 : 77

- في تفسير قوله تعالى : (14) « وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم » (15) قال : وروى أسامة بن زيد عن النبي - صلى الله عليه وسلم- أنه قال : "من صنع إيه معروف فقال لصاحبه جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء " ، رواه الترمذي والنسائي (16) بهذا اللفظ ، إنتهى من سلاح المؤمن

- وفي تفسير قوله تعالى : (17) « فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة » قال وأخرج الترمذي (18) عن بريدة بن حصيب قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- " أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها في هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم " قال أبو عيسى : هذا حديث حسن ، انتهى من التذکر للقرطبي " (19)

- وفي تفسير قوله تعالى : (20) « الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون » قال : قال النووي في الحلية : وروينا في سنن ابن ماجه (21) عن عمر بن حزم عن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال : "ما من مؤمن يعزي أخاه في مصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة " (22)

وقد أوقعه هذا في ذكر بعض الأحاديث الضعيفة والواهية ، مما أخذ عليه ، وعيب على كتابه اشتماله عليها .

ومع ذلك لم يكن للثعالبي حاطب ليل ، بل كان ينقد الأسانيد أحيانا وينقد المتون تارة أخرى ، والأمثلة على ذلك في تفسيره لا حصر لها :

- ففي تفسير قوله تعالى : «ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » (23) يورد جملة من الأحاديث في فضل الشهادة ثم يقول : وفي حديث " إنما نسمة

(14) الجواهر الحسان . 1 : 56

(15) البقرة 213

(16) سنن الترمذي . أبواب البر . باب ما جاء في الثناء بالمعروف . 3 : 256 .

(17) البقرة 39

(18) سنن الترمذي . أبواب صفة أهل الجنة . باب ما جاء في كم صف أهل الجنة ج4 ص 89

(19) الجواهر الحسان . 1 : 56

(20) البقرة 156

(21) كتاب الجنائز . باب ما جاء في ثواب من عزى مصابا ج 1 ص 511

(22) الجواهر الحسان . 1 : 152

(23) البقرة 153

المؤمن طائر " (24) أخرجه مالك في الموطأ قال الداودي : وحديث مالك هذا أصح ما جاء في الأرواح ، والذي روي أنها تجعل في حواصل طير لا يصح في النقل " انتهى . (25) وقال ابن عبد البر في التمهيد : والأشبه قول من قال : كطير أو كصور طير لموافقته لحديث الموطأ هذا ، وأسند أبو عمر هذه الأحاديث ، و لم يذكر مطعنا في إسنادها^١ وفي تفسير قوله تعالى (26) : « ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين » قال: قال ابن العربي في أحكامه : روى الترمذي وغيره في أسباب نزول هذه الآية عن ابن عباس أنه قال : كانت امرأة تصلي خلف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال ابن عباس - والله ما رأيت مثلها قط ، قال : فكان بعض المسلمين إذا صلوا تقدموا ، وبعضهم يستأخر فإذا سجدوا نظروا إليها من تحت أيديهم فأنزل الله الآية (27)

فقال الثعالبي : والحديث المتقدم إن صح فلا بد من تأويله ، فإن الصحابة ينتزهون عن فعل ما ذكر فيه ، فيؤول بأن ذلك صدر من بعض المنافقين ، أو بعض الأعراب الذين قرب عهدهم من الإسلام ولم يرسخ الإيمان في قلوبهم ، وأما ابن عباس فكان يومئذ صغيرا بلا شك ، هذا إن كانت الآية مدنية ، فإذا كانت مكية فهو يومئذ في سن الطفولة ، وبالجملة فالظاهر ضعف هذا الحديث من وجوه " (28)

- وفي كلامه عن البسملة -نقلا عن ابن عطية- قال : " والبسملة تسعة عشر حرفا ، قال بعض الناس أن رواية بلغتهم أن ملائكة النار الذين قال الله فيهم عليها تسعة عشر ، إنما رتب عددهم على حروف باسم الله الرحمان الرحيم ، لكل حرف ملك ، وهم يقولون في كل أفعالهم باسم الله الرحمان الرحيم ، فمن هنالك قوتهم ، وباسم الله استضلعوا .

قال الثعالبي : " ولا يخفى عليك لين ما بلغ هؤلاء ، ولقد أغنى الله تعالى بصحيح الأحاديث وحسنها عن موضوعات الوراقين فجزي الله نقاد الأمة خيرا " (29)

(24) أخرجه مالك في الموطأ . كتاب الجنائز . باب جامع الجنائز ص 198 بلفظ : إنما نسمة المؤمن طير يعلق في

شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم القيامة

(25) الجواهر الحسان . 1 : 151

(26) الحجر 24

(27) سنن الترمذي . أبواب التفسير . سورة الحجر .

(28) الجواهر الحسان . 2 : 401

(29) الجواهر الحسان . 1 : 33

- وفي تفسير قوله تعالى : (30) «فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا فيما آتاهما» (31) ذكر الثعالبي جملة من الأخبار والروايات تناقلها بعض المفسرين والمحدثين منهم الترمذي ، ثم كر عليها فأبطلها .

قال : وينزه آدم وحواء عن طاعتهما لإبليس ، ولم أقف بعد على صحة ما روى في هذا القصص ، ولو صح لوجب تأويله ، نعم روى الترمذي عن سمرة بن جندب عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : «لما حملت حواء طاف بها إبليس ، وكان لا يعيش لها ولد فقال لها سمه عبد الحارث فسمته عبد الحارث فعاش ذلك ، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره » قال الترمذي هذا حديث حسن غريب ، انفرد به عمر بن ابراهيم (32) عن قتادة وعمر شيخ بصري (33) وهذا الحديث ليس فيه أنهما أطاعاه ، وعلى كل حال الواجب التوقف والتنزيه لمن اجتباه الله ، وحسن التأويل ما أمكن ، وقد قال ابن العربي في توهين هذا القول وتزييفه "ومثل هذا القول ونحوه مذكور في ضعيف الأحاديث في الترمذي وغيره وفي الإسرائيليات التي ليس لها ثبات ، ولا يعول عليها من له قلب ، فإن آدم وحواء وإن كانا غرهما بالله الغرور فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، وما كانا بعد ذلك ليقبلا له نصحا ، ولا يسمعا له قولا . انتهى من الأحكام (34) وإذا كان الثعالبي قد ضعف الأحاديث الضعيفة فإنه كان يصحح الصحيح منها بدليله مشيرا إلى المصادر الأصلية .

ففي تفسير قوله تعالى : «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ...» (35) الآية نقل الثعالبي حديثين عن ابن عطية في سبب نزول الآية :

الأول : أن النبي -صلى الله عليه وسلم- جاء إلى بيت حفصة فوجدها قد مرت إلى بيت أبيها ، فدعا جاريتها مارية فقال معها ، فجاعت حفصة وقالت : يا نبي الله أفي بيتي وعلى فراشي ، فقال مترضيا لها : أيرضيك أن أحرمها ، قالت نعم ، فقال : إني قد حرمتها " والثاني عن عائشة أن هذا التحريم المذكور في الآية إنما هو بسبب العسل الذي شربه -صلى

(30) الجواهر الحسان . 2 : 96

(31) الأعراف : 190

(32) أخرجه الترمذي أبواب تفسير القرآن ، سورة الأعراف . 4 : 330 . من طريق عمر بن ابراهيم عن قتادة عن

الحسن عن سمرة بن جندب مرفوعا

(33) أي أن الحديث فيه انقطاع في السند لأن قتادة من مكة وعمر بن ابراهيم من البصرة سنن الترمذي . 4 : 334

(34) الجواهر الحسان . 2 : 96 .

(35) التحريم : 1

الله عليه وسلم- عند زينب بنت جحش (36) فتمالأت عائشة (37) وحفصة (38) وسودت بنت زمعة (39) على أن تقول له من دنا منها إنا نجد منك ريح مغاير يارسول الله .."
قال ابن عطية بعد إيراد الحديثين : والقول الأول أن الآية نزلت بسبب مارية أصح وأوضح ،
وعليه تفقه الناس في الآية .

فرد الثعالبي ما ذهب إليه ابن عطية وقال : والحديث الثاني هو الصحيح خرج به البخاري
ومسلم وغيرهما (40)

وإذا كان الثعالبي تحرى الصحيح من الأحاديث فيما ينقل في تفسير آيات الأحكام والعقيدة،
فإنه كان له موقف آخر من ضعيف الحديث في فضائل الأعمال والترغيب والترهيب، فقد تابع من
تساهل من العلماء في العمل بالحديث الضعيف ونقل أقوالهم في ذلك .

قال الثعالبي : قال ابن عبد البر (41) : أهل العلم بجماعتهم يتساهلون في الفضائل
فيروونها عن كل ، وإنما يتشددون في أحاديث الأحكام (42)

وقال النووي : قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم : يجوز ويستحب العمل في الفضائل
والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعا ، وأما الأحكام كالحلال والحرام والبيع
والنكاح والطلاق وغير ذلك فلا يعمل فيها إلا بالحديث الصحيح (43)
ولذلك لم ير الثعالبي حرجا في نقل الأحاديث الضعيفة مع تخريجها وبيان درجتها ، ومن
الأمثلة على ذلك ما يلي :

(36) هي زينب بنت جحش أم المؤمنين . زوجها الوحي في قوله تعالى : « فلما قضى منها زيد وطرا . . . » ت : 20 هـ .
ابن عبد البر . الإستيعاب . 4 : 306

(37) عائشة أم المؤمنين ثاني زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - . الإصابة 4 : 360

(38) حفصة بنت عمر بن الخطاب ، أم المؤمنين تزوجها بعد عائشة ت 45 هـ . الإصابة 4 : 264

(39) هي سودة بنت زمعة بن قيس العامرية ، أم المؤمنين ت 54 هـ . الإصابة 4 : 331

(40) الجواهر الحسان . 4 : 433

(41) ابن عبد البر . جامع بيان العلم وفضله . دار الكتب العلمية . بيروت 1 : 22

(42) عقدة الخطيب البغدادي بابا في كتابه الكفاية تحت عنوان : التشدد في أحاديث الأحكام والتجوز في فضائل

الأعمال ، وذكر من يقولون بذلك منهم سفيان الثوري وسفيان بن عيينة وأحمد بن حنبل . أنظر الكفاية في علم الرواية . ط

1 . دار السعادة ص 212

(43) الجواهر الحسان . 1 : 293

- في تفسير قوله تعالى (44) : «ويشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة ..» (45) ينقل الثعالبي مجموعة أحاديث ضعيفة في فضل الإسترجاع والتعزية منها قوله :

وروينا في كتاب الترمذي عن ابن مسعود عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : " من عزى مصابا فله مثل أجره . إسناده ضعيف (46)

وروينا في كتاب الترمذي أيضا عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « من عزى ثكلى كسي بردا في الجنة » قال الترمذي ليس إسناده بالقوي (47)

- وفي تفسير قوله تعالى : (48) « وما يعلم تأويله إلا الله » (49) قال الثعالبي : وقد جاء في فضل العلم آثار كثيرة فمن أحسنها ما رواه أبو عمر وابن عبد البر بسنده عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- « تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة » الحديث (50) قال أبو عمرو ليس له إسناده قوي ورويناه من طرق شتى موقوفا على معاذ . بيد أن الثعالبي لم يلتزم بإخراج جميع الأحاديث الضعيفة الواردة في تفسيره فقد ذكر بعضا منها وسكت عن تضعيفها ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

- في تفسير قوله تعالى (51) : «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ..» (52) قال : وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : "المستمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد" (53)

(44) الجواهر الحسان . 1 : 168

(45) البقرة : 155

(46) رواه الترمذي في أبواب الجنائز . باب ما جاء في أجر من عزى مصابا رقم : 2 : 268 وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث علي بن عاصم ، ويقال أكثر ما ابتلي به علي بن عاصم هذا الحديث ، نعموا عليه .

(47) رواه الترمذي في أبواب الجنائز ، باب آخر في فضل التعزية عن أبي برزة وليس عن أبي هريرة ، وقال : ليس إسناده بالقوية : 74

(48) الجواهر الحسان . 1 : 293

(49) آل عمران : 7

(50) الحديث بتمامه في الجواهر الحسان . 1 : 295 . وفي جامع بيان العلم وفضله . 1 : 54

(51) الجواهر الحسان . 1 : 309

(52) آل عمران : 31

(53) أخرجه أبو نعيم في الحلية . 8 : 200 من طريق الطبراني عن أبي هريرة مرفوعا وقال : غريب من حديث عبد

العزیز بن عطاء

- وفي تفسير قوله تعالى (54) : « فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا » (55) قال : وروى ابن عباس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : " من لزم الإستغفار جعل الله له من ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب " رواه أبو داود واللفظ لهو النسائي وابن ماجه (56)

وفي تفسير قوله تعالى (57) : « يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكرا كثيرا » (58) قال : وروى أبوسعيد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- " أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون " (59) ثم إن تساهل الثعالبي في الأخذ بضعيف الحديث أوقعه في نقل بعض الأحاديث الواهية أو الهالكة والمتروكة نذكر منها :

- في تفسير قوله تعالى (60) : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بأياتنا فقل سلام عليكم ... » (61) يورد حديثا في فضل المصافحة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- « إذا التقى المسلمان فتصافحا أنزل الله عليهما مائة رحمة تسعون منها للذي يبدأ بالمصافحة وعشرة للذي صوفح ، وكان أحبهما إلى الله أحسنهما بشرا " (62)

(54) الجواهر الحسان . 4 : 482

(55) نوح : 10

(56) رواه أبو داود رقم 1518 وابن ماجه رقم 3819 وفي إسناده الحكم بن مصعب ، قال أبوحاتم الحكم بن مصعب مجهول ، وقال الذهبي ذكره ابن حبان في الثقة وفي الضعفاء وقال : يخطئ . ميزان الاعتدال 1 : 580 وقد ذكره الذهبي في الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة فسكت عنها ولم يجرحه . الكاشف . 1 : 247

(57) الجواهر الحسان . 3 : 358

(58) الاحزاب : 45

(59) أخرجه أحمد . 3 : 68 عن دراج أبي السمع وقد ضعفه جماعة وبقية رجال أحد إسنادي أحمد ثقة . أنظر

مجمع الزوائد 10 : 75 . وفي الكاشف 1 : 293 قال أبو داود حديثه مستقيم إلا ما كان عن أبي الهيثم . وهذا

الحديث مروى من طريق ابن الهيثم ففي مسند أحمد حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا سريج حدثنا ابن وهب عن عمر ابن

الحارث أن دراجا أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخهري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : «

أكثرؤ ذكر الله حتى يقولوا مجنون » مسند الإمام أحمد 3 : 68 طبعة دار الفكر . وفي التهذيب لابن حجر 3 : 205

قال أبو داود لما سئل سمعت أحمد يقول الشأن في الدراج . وقال الدارقطني ضعيف وقال في موضع آخر متروك .

(60) الجواهر الحسان : 1 : 625 .

(61) الانعام 54 .

(62) قال الشوكاني : في إسناده محمد بن عبد الله الأشناني ، وهو وضاع . الفوائد المجموعة : 227 .

وفي مطلع تفسير سورة الواقعة قال الثعالبي (63) روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : " من داوم على قراءة سورة الواقعة لم يفتقر ، أو قال : لم تصبه فاقة أبدا " (64) - وفي فضل سورة الكهف (65) يورد الثعالبي حديثا عن أبي سعيد الخدري أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نورا من مقامه إلى مكة ، وفي رواية : من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة ... " (66) - وفي تفسير قوله تعالى : (67) «وما ننزل إلا بأمر ربك ...» (68) أورد الثعالبي مجموعة من الأحاديث في فضل السواك منها قوله عن ابن أبي شيبه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : صلاة على إثر سواك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك (69) فعلامات الوضع عليه بادية وهي ترتيب الأجر العظيم على عمل يسير.

- وفي تفسير قوله تعالى (70) : « لا تأخذ سنة ولا نوم .. » (71) قال الثعالبي وروى أبو هريرة قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يحكى عن موسى على المنبر قال : وقع في نفس موسى هل ينام الله جل ثناءه فأرسل الله إليه ملكا فأرقه ثلاثا ، ثم أعطاه قارورتين ، في كل يد قارورة ، فحبس إحداهما عن الأخرى حتى نام نومة فاصطفقت يداه فانكسرت

(63) الجواهر الحسان : ج 4 . ص : 343

(64) قال الشوكاني : في إسناده كذاب . الفوائد المجموعة : 311 .

(65) الجواهر الحسان : 2 . 508 .

(66) ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة بلفظ من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أعطي نورا من حيث قرأها إلى مكة

وغفر له إلى الجمعة الأخرى . ثم قال : وهو حديث طويل موضوع . الفوائد المجموعة : 311 .

(67) الجواهر الحسان : 3 . 23 .

(68) مريم : 64 .

(69) نقل الشوكاني عن يحيى بن معين أنه حديث باطل . الفوائد المجموعة : 11 .

(70) الجواهر الحسان . 1 : 243

(71) البقرة : 254 .

القارورتان ، قال : ضرب الله له مثلا أن لو كان ينام لم تستمسك السماوات والأرض " (72) وفي باب الكلام على فضل قراءة القرآن قال : وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول الرب عز وجل « من شغلته القبران وذكرني عن مسألتي أعطيته، أفضل ما أعطي السائلين » قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب (73) وإلى جانب هذه الأحاديث الواهية نقل الثعالبي بعض الأخبار القبيضية الظاهرة البطلان من متنها .

منها تلقه خبر التقاء بعض الناس بالخضر عليه السلام . حيث قال : وحكايات من رأى الخضر من الأولياء لا تحصى كثرة فلا نطيل بسردها « (74) وقال في موضع آخر : وحكي الثعلبي حكاية عن رجل لقي إلياس في أيام مروان بن الحكم (75) وأخبره عن الخضر في

(72) نقل الثعالبي هذا الحديث عن تفسير ابن عطية ، وقد سكت ابن عطية عن هذا الحديث ولم يتعقبه المحرر الوجيز 2752 " كما أخرج الطبري هذا الحديث في جامع البيان عن أبي هريرة مرفوعا ولم يتعقبه أيضا " 3 : 6 " إلا أن ابن كثير أورد موقوفا عن ابن عباس ثم قال : وهو من أخبار بني إسرائيل ، وهو مما يعلم أن موسى عليه السلام لا يخفى عليه مثل هذا ، وأنه منزه عنه . ثم قال : وأغرب من هذا كله الحديث الذي رواه ابن جرير ، وهذا الحديث غريب جدا والأظهر أنه إسرائيلي لا مرفوع " 1 : 548 . أما أبوحيان في البحر المحيط " 2 : 278 " فقد تناول بأن هذا السؤال كان من قوم موسى كطلبهم الرؤية ، ثم قال : قال بعض معاصرينا هذا حديث وضعه الحشوية .

(73) قال الشوكاني : قال الصفاني موضوع . الفوائد المجموعة : 296 . كما قال ابن الجوزي قال ابن حبان هذا حديث موضوع ما رواه إلا صفوان بهذا الإسناد عن عطية عن أبي سعيد ، فأما صفوان فيروي عن الأثبات ما لا أصل له من حديث الثقة ، ولا يجوز الاحتجاج بما انفرد به ، وأما عطية فلا يحل كتابة حديثه إلا على التعجب . الموضوعات . 3 : 165 .

(74) روى ابن الجوزي في كتابه الموضوعات أحاديث أن الخضر لقي عليا وعمر بن عبد العزيز وغيرهم ثم قال : هذه أحاديث باطلة . وانتشر الأمر إلى جماعة من المتصنعين بالزهد يقولون رأيناه وكلمناه ، فواعجبا ألهم فيه علامة يعرفونه بها ؟ وهل يجوز لعامل أن يلقي شخصا فيقول له الشخص أنا الخضر فيصديقه ؟ الموضوعات . 1 : 198 . وقد ترجم ابن حجر لحياة الخضر في الإصابة ، فذكر أحاديث تفيد أن الخضر لا يزال حيا . ثم ألمح إلى ضعفها ، ثم نقل ابن حجر عن البخاري أنه سئل عن حياة الخضر فأنكر ذلك واستبدل بالحديث : أن علي رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها أحد . وهذا الحديث أخرجه في الصحيح عن ابن عمر ، وهو عمدة من تمسك بأنه مات . الإصابة . 3 : 434 .

(75) هو مروان بن الحكم بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أحد أمراء بني أمية كانت ولايته تسعة أشهر . ت :

95 هـ . ابن عبد ربه . العقد المفيد . 4 : 398 .

حكاية طويلة لا ينبغي إنكار مثلها ، فأولياء الله يكشفون بالعجائب فلا يحرم الإنسان التصديق بها جعلنا الله في زمرة أوليائه » (76)

ومنها ما رواه في تفسير قوله تعالى « فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا * » عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال : خرجت مرة فمررت بقبر من قبور الجاهلية فإذا رجل قد خرج من القبر يتأجج نارا في عنقه سلسلة ، ومعى أداة من ماء ، فلما رأيته قال : يا عبد الله اسقني ، قال : فقلت عرفني فدعاني باسمي ، أو كلمة تقولها العرب يا عبد الله ، إذ خرج رجل على إثره من القبر قال يا عبد الله لا تسقه فإنه كافر ، ثم أخذ السلسلة فاجتذبه فأدخله القبر ، قال : ثم أضافني الليل إلى بيت عجوز إلى جانبها قبر فسمعت من القبر صوتا يقول بول وما بول ، شن وما شن فقلت للعجوز ما هذا فقالت كان زوجا لي ، وكان إذا بال لم يتق البول ، وكنت أقول له ويحك إن الجمل إذا بال تفاج ، وكان يأبى ، فهو ينادي من يوم مات : بول وما بول . قلت فما الشن ؟ قالت جاء رجل عطشان فقال : اسقني ، فقال : بونك الشن ، فإذا ليس فيه شيء فخر الرجل ميتا فهو ينادي منذ أن مات شن وما شن ، فلما قدمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخبرته فنهى أن يسافر الرجل وحده » (77)

ومهما يكن من أمر فإن هذه الأحاديث الواهية تعتبر قليلة جدا إذا قيست بالكم الهائل من الأحاديث الصحيحة والحسنة عند الثعالبي . وإن مما يبرئ ذمته رحمه الله أنه أسند هذه الأحاديث ونص على ضعفها في الأغلب الأعم ، وفي القديم قيل :

كفى المرء نبلا أن تعد معاييه

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها

(76) الجواهر الحسان . 4 : 37 .

(77) قال أبو عمر بن عبد البر : هذا الحديث في إسناده مجهولون ولم نورد له للإحتجاج به ولكن للإعتبار ، ولما لم يكن

حكما فقد تسامح الناس بروايته عن الضعفاء . الجواهر الحسان . 4 : 119 .

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية
الفصل الثالث

موقف الثعالبي من المدارس الأخرى

المبحث الأول

موقفه من التفسير بالرأي

والمراد بالرأي هنا الإجتهد ، وعليه فالتفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالإجتهد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها ، واستعانته في ذلك بالشعر ووقفه على أسباب النزول ، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ ، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر (1)

وقد أبان الثعالبي عن موقفه من التفسير بالرأي حين قال : « فصل فيما قيل في الكلام في تفسير القرآن بالرأي والجرأة عليه ومراتب المفسرين »

فبدأ بذكر حديث عائشة رضي الله عنها (3) ثم اختار تأويل ابن عطية حيث يقول : « ومعنى هذا الحديث في مغيبات القرآن وتفسير مجمله ونحو هذا مما لا سبيل إليه إلا بتوقيف من الله تعالى ، ومن جملة مغيباته ما لم يعلم الله به عباده كوقت قيام الساعة ونحوها » (4)

ثم أتبعه بحديث لابن عباس تناقله العلماء ليستدلوا به على عدم جواز تفسير القرآن بالرأي المجرد دون الرجوع إلى ما قاله أهل العلم ، قال فيه : « ومعنى هذا أن يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء ، أو اقتضته قوانين العلوم كالنحو والأصول ، و ليس يدخل في هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته ، والفقهاء معانيه ، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر فإن القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه » (5)

(1) د . الذهبي . التفسير والمفسرون . 1 : 255 .

(2) الجواهر الحسان . 1 : 20 .

(3) « ما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفسر من كتاب الله إلا آيا بعدد علمهن إياه جبريل عليه السلام » . قال ابن كثير وأما الحديث الذي رواه ابن جرير عن عائشة فإنه حديث منكر غريب ، وفي سنده جعفر بن محمد ، قال البخاري لا يتابع في حديثه . ابن كثير . 1 : 6 . وكذا قال ابن تيمية . مقدمة في أصول التفسير : 32 .

أقول وحديث عائشة إن صح فإنه يؤكد جواز تفسير القرآن بالإجتهد ولا ينفيه . قال الشاطبي : إن عدم تفسير الرسول لقسم كبير من القرآن الكريم يدل قطعاً على أنه لم يكلف ببيانه أصلاً ... وهذا يستلزم بالضرورة أن يكون هذا القسم من القرآن الذي لم يبينه الرسول متروكاً قصداً من قبل المشرع للمجتهدين ليفسروه باجتهادهم . الموافقات . 3 : 421 .

(4) وكذا أوله الطبري ، وتابعه ابن كثير فقال وهذا التأويل صحيح فإن من القرآن ما استأثر الله بعلمه ومنه ما يعلمه العلماء ، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها ومنه ما لا يعذر أحد بجهله ، وهو قول مروى عن ابن عباس أيضاً . ابن كثير . 1 : 6

(5) الجواهر الحسان . 1 : 20 .

من هنا فقد استعان الثعالبي في تفسيره بالبحر المحيط لأبي حيان (6) والصفاقسي (7) في جانب اللغة والنحو ، واستعان بأحكام القرآن لابن العربي وكتب الفقه المختلفة في بيان الأحكام الفقهية .

إلا أنه من خلال تتبعنا له وجدنا أثر الإجتهد في تفسيره ضعيفا ، لأنه عاش في عصر ضعفت فيه ملكة الإجتهد ، وغلب عليه طابع النقل والتقليد .

ومن ملامح التفسير بالرأي عند الثعالبي نقله عن سبقة من المفسرين ممن اشتهروا بالإجتهد مثل الفخر الرازي وأبي حيان ، وابن العربي فكان ينقل عن هؤلاء ، وغيرهم من علماء السلف ممن اشتهروا بتفسير القرآن بالرأي . إلا أنه كان شديد الحرص على التمييز بين ما يجوز فيه الإجتهد وما لا يجوز فيه بحال من الأحوال .

فهو إذ ينقل شيئا في مغيبات القرآن أو مجمله فإنه لا يسلم بقبوله وصحته إلا إذا كان له ما يعضده من القرآن والسنة الثابتة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويتضح هذا من الشواهد التالية :

- في تفسير قوله تعالى : (8) « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها . . . » (9) قال : قال ابن عباس وغيره : خلق الله آدم وحشا (10) في الجنة وحده ، ثم نام فانتزع الله إحدى أضلاعه القصيري من شماله ، وقيل من يمينه ، فخلق منها حواء . . . » ثم قال الثعالبي : ويعضد هذا الحديث الصحيح : « إن المرأة خلقت من ضلع أعوج . . . الحديث » (11)

ورد قول ابن عطية « هو أخذ الذرية من ظهر آدم وذلك شيء كان قبل خلق حواء » فقال وهذا

(6) هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي ، أبو حيان ، صوفي ، متكلم ، أديب ، نحوي ، ت : 380 هـ . بغية الوعاة : 348

(7) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم الصفاقسي ، المالكي ، أبو إسحاق ، نحوي ، مفسر ، ت : 742 هـ . بغية الوعاة : 185

(8) الجواهر الحسان ، 1 : 411 .

(9) النساء ، 1

(10) قال الجوهري : الوحشة : الخلوة والهم ، وقد أوحشة الرجل فاستوحش ، وأرض وحشة - بتسكين الحاء - وبلد

وحش أي قفر . أنظر الجوهري . تاج اللغة ، 3 : 1025 .

(11) رواه البخاري ، كتاب الأنبياء باب بدء الخلق . فتح الباري ، 6 : 283 .

يحتاج إلى سند قاطع (12)

وكذلك توقف في قبول التفسير المنسوب لابن مسعود في قوله تعالى : « يكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا » (13) قال ابن مسعود : إن الجبل ليقول للجبل يافلن هل مر بك اليوم ذاكرا لله تعالى ، فإن قال نعم سر به ثم قرأ ابن مسعود الآية .

فعلق الثعالبي على كلام ابن مسعود بقوله : « وماذكره ابن مسعود لا يقال من جهة الرأي » (14)

وفي تفسير قوله تعالى : « ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده » (15) قال : قال مجاهد : الروح النبوة ، وقال ابن عباس الروح الوحي . وقال قتادة : بالرحمة والوحي ، وقال الربيع بن أنس : كل كلام الله روح ، ومنها قوله تعالى : أوحينا إليك روحا من أمرنا . . . » (16)

وبعد ذكره لهذه الأقوال ، وغيرها من الأقوال الأخرى عقب عليها بقوله : « والله أعلم بحقيقة ذلك ، وهذا أمر لا يقال بالرأي ، فإن صح فيه شيء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وجب الوقوف عنده (17)

وفي تفسير قوله تعالى : « يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا » (18) قال : قال أبو هريرة وعبد الله بن عمر : إن الله يحضر البهائم يوم القيامة فيقتص لبعضها من بعض ثم يقول لها بعد ذلك : كوني ترابا فيعود جميعها ترابا ، فعند ذلك يقول الكافر ياليتني كنت ترابا »

قال : وأعلم رحمك الله أنني لم أقف على حديث صحيح في عودها ترابا وقد نقل عن الشيخ أبي العباس العسقلاني* انكار هذا القول وقال : ما نفت روح الحياة في شيء ففنى بعد

(12) الجواهر الحسان 4 : 69 .

(13) مريم : 91 .

(14) الجواهر الحسان . 3 : 33 .

(15) النحل : 2 .

(16) اشورى : 49 .

(17) الجواهر الحسان . 2 : 415 .

(18) النبأ : 40 .

* هو أبو العباس أحمد بن علي القسطلاني المصري ، فقيه مالكي ، ت : 636 هـ . شذرات الذهب . 5 : 179 .

وجوده ، ونقل الفخر هنا عن قوم بقاعها ، وإن هذه الحيوانات إذا انتهت مدة أعراضها جعل الله ماكان منها حسن الصورة ثوابا لأهل الجنة ، وماكان قبيح الصورة عقابا لأهل النار (19) انتهى

ثم قال الثعالبي : والمعول عليه في هذا النقل ، فإن صح فيه شيء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وجب اعتقاده وصير إليه ، وإلا فلا مدخل للعقل هنا والله أعلم . (20)

أما النوع الآخر من الآيات الذي يفهمه العلماء بعلمهم ، أو الذي تفهمه العرب بلغتها أو مالا يعذر أحد بجهله كما قال ابن عباس فإن الثعالبي قد أدلى فيها باجتهاده ، ولكنه قليل إذا قيس بغيره .

ففي تفسير قوله تعالى : « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا . ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً » (21) قال : دخلت " من " للتبعيض إذ الصالحات على الكمال مما لا يطيقه البشر ، ففي هذا رفق بالعباد ، لكن في هذا البعض الفرائض وما أسكن من المنسوب إليه ، ثم قيد الأمر بالايمان إذ لا ينفع عمل دونه ، والتقدير النكته التي في ظهر النواة ، ومنه تنبت ثم أخبر تعالى إخباراً موفقاً على أنه لأحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله ، أي أخلص مقصده وتوجهه ، وأحسن في أعماله ، واتبع الحنفية ملة إبراهيم إمام العالم وقدوة الأديان . (22)

فالثعالبي لم يتخرج من الإدلاء ببعض اجتهاده في تفسير هاتين الآيتين معتمداً على قوانين اللغة لبيان مراد الله تعالى ، دون أن يعرج بنا على أقوال المفسرين من السلف أو الخلف ، اعتقاداً منه أن مثل هذه الآيات تدخل ضمن ما تفهمه العرب من كلامها .

ومثل هذا صنيعه في تفسير قوله تعالى : " ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون " (23)

قال : « هذه آية نهى عن الرشا وأخذ الأموال ، ثم أخبر تعالى أن ما عنده من نعيم الجنة

(19) الفخر الرازي . مفاتيح الغيب . 12 : 10

(20) الجواهر الحسان . 4 : 551 .

(21) النساء : 123 - 124 .

(22) الجواهر الحسان . 1 : 496 .

(23) النحل : 95

ومواهب الآخرة خير لمن اتقى وعلم واهتدى ، ثم بين سبحانه الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة بأن هذه تنفذ وتنقضي عن الإنسان أو ينقضي عنها ، ومن الآخرة باقية دائمة، وصبروا معناه عن الشهوات وعلى مكاره الطاعات وهذه إشارة إلى الصبر عن شهوة كسب المال بالوجوه المكروهة « (24)

فمثل هذه الآيات أيضا لم يتهيب الثعالبي من القول فيها باجتهاده لأنها تدخل في الحلال والحرام الذي لا يعذر أحد بجهالته .

وفي تفسير قوله تعالى : «إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو ...» (25) قال : هذه الآية وعظ وتبيين لأمر الدنيا وضعة منزلتها ، والحياة الدنيا في هذه الآية عبارة عن الاشتغال والتصرفات والفكر والتي هي مختصة بالحياة الدنيا ، وأما ما كان من ذلك في طاعة ، وما كان في الضرورات التي تقيم الأود وتعين على الطاعات فلا مدخل له في هذه الآية ، وتأمل حال الملوك بعد فقرهم يتبين لك أن جميع ترفهم لعب ولهو ، والزينة : التحسين الذي هو خارج عن ذات الشيء ، والتفاخر بالأموال والأنساب وغير ذلك على عادة الجاهلية ثم ضرب الله عز وجل مثل الدنيا فقال : " كمثل غيث " الآية ، وصورة هذا المثال أن الإنسان ينشأ في حجر مملكة فما دون ذلك فيشب في النعمة ويقوى ويكسب المال والولد ويغشاه الناس ثم يأخذ بعد ذلك في انحطاط ويشيب ويضعف ويسقم وتصيبه النوائب في ماله وذريته ويموت ويضمحل أمره وتصير أمواله لغيره وتتغير رسومه ، فأمره مثل مطر أصاب أرضا فنبتت عن ذلك الغيث نبات معجب أنيق ثم هاج أي يبس واصفر ثم تحطم ثم تفرق بالرياح واضمحل .» (26)

وفي تفسير قوله تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا .. » (27) الآية قال : إقامة الوجه في تقويم المقصد والقوة على الجد في أعمال الدين ، وخص الوجه لأنه جامع لحواس الإنسان ولشرفه ، وفطرة الله نصب على المصدر ، وقيل بفعل مضمر تقديره اتبع أو التزم فطرة الله ، واختلف في الفطرة ها هنا ، والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة أنها الخلقة والهيئة في نفس الطفل التي هي معدة مهيئة لأن يميز مصنوعات الله ويستدل بها على ربه ويعرف بها شرائعه ويؤمن به فكأنه تعالى قال : أقم وجهك للدين الذي هو الحنيف ، وهو فطرة الله الذي على

(24) الجواهر الحسان . 2 : 444 .

(25) الحديد . 20 .

(26) الجواهر الحسان . 4 : 377 .

(27) الروم : 30 .

الإعداد له سطر المنشير لكن -تعرضهم العوارض» (28)

وكل من تغليب التظليل اللغوي للتفسير بالتقدير على التفسير باللغوي عملاً لجمود عليه لأن الإسراف في
الاستقلال اللغوي مطلقاً والنظر في الالزام، لولا أن هذا اقتطاع من بيوت شخصيته ففي هذا الجانب من
بيوت تفوي المطابع الصوفي الكفي طبع به تفسيره وهذا مما سنعرفه في البحث اللاحق إن شاء الله
تعالى.

الجمعة الأمير عبد القادر للعوم الإسلامية

المبحث الثاني

موقف الثعالبي من التفسير الإشاري

ينبغي أن نميز بين التفسير الإشاري (29) وبين تلك الآراء الغريبة التي تفسر القرآن تفسيراً باطنياً بعيداً عن ظواهر الكتاب ودلالة السنة حتى حملوا آيات القرآن على أفكار اتسمت بالحلول تارة وبالتجسيد تارة أخرى

وللتمييز بين النوعين وضع العلماء شروطاً للتفسير الإشاري (30) هي :

1- ألا يكون التفسير متافياً لظواهر النظم القرآني

2- أن يندرج تحت أصل شرعي يؤيده

3- ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي

4- ألا يدعي أنه المراد وحده بون الظاهر (31)

ويرتكز التفسير الإشاري على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلي درجة

تتكشف له فيها من سجع العبارات هذه الإشارات القدسية

وقد كان للثعالبي منها الحظ الأوفر ، ويبرز هذا بوضوح في مؤلفاته الغزيرة في التصوف

(32)

ولذا طغى عليه أثناء تفسيره للقرآن الجانب الصوفي فطبعه بطابعه وألبسه حلتة ، وأكثر فيه

من سرد حكايات وأخبار الصوفية ، وبسط الكلام بسطاً مبالغاً فيه إلى درجة الغفلة عن معارضة

(29) التفسير الإشاري هو تأويل آيات القرآن على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك ،

ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة . د . الدهبي . علم التفسير : ص : 52

(30) محمد حسين علي الصغير . المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .

بيروت . ط 1 . 1983 . ص : 107

(31) قال الطاهر بن عاشور : « وكل ما يتكلم به أهل الإشارات من الصوفية في بعض آيات القرآن الكريم من معاني لا

تجري على ألفاظ القرآن ظاهراً ولكن بتأويل ، فينبغي أن نعلم أنهم ما كانوا يدعون أن كلامهم في ذلك تفسير للقرآن بل

يعنون أن الآية تصلح للتمثيل بها في الغرض المتكلم فيه ، وحسبنا في ذلك أنهم سمعوا إشارات ، ولم يسموها معان ،

فبذلك فارق قولهم قول الباطنية . الطاهر بن عاشور . تفسير التحرير والتنوير . 1 : 67 . والزركشي . البرهان . 2 :

بعض ما يرويه للنصوص المتواترة (33)

كما يتوسع الثعالبي في نقل كرامات الأولياء مما يخرجها عن قيد الاختصار الذي أخذ به في غير هذا الموطن ، من ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى : " أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما .. " * يفسر الآية فيذكر سبب نزولها وفضل قيام الليل بإيجاز ثم يسهب في ذكر رؤى وأحلام في منازل العارفين والصدّيقين بعد موتهم (34) فيقول : وكان شعبة بن الحجاج (35) ومسعر بن كدام (36) رجلين فاضلين ، وكانا من ثقات المحدثين وعظامهم ، وكان شعبة أكبر ، فماتا ، قال أبو أحمد اليزيدي (37) قرأتهما في النوم ، وكنت إلى شعبة أميل مني إلى مسعر فقلت يا أبا بسطام ما فعل الله بك ؟ فقال : وفقك الله يا بني احفظ ما أقول :

لها ألف باب من لجين وجوهرا	حباني إلهي في الجنان بقبة
تبحر في جمع العلوم وأكثرها	وقال لي الجبار ياشعبة الذي
وعن عبدي القوام في الليل مسعرا	تمتع بقربي إنني عندك نورضى
وأكشف عن وجهي ويدنو لينظرا	كفى مسعرا عزا بأن سيزورني

* الزمر: 10

(33) من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : " ويسألونك عن الروح ... الإسراء : 84 . قال الثعالبي : وقد أخبرني الفقيه الخطيب أبو محمد البرجيني رحمه الله عن الشيخ الصالح أبي الطاهر الوركاني رحمه الله قال : حضرت عند ولي من الأولياء حين النزاع فشاهدت نفسه قد خرجت من مواضع من جسده ، ثم تشكلت على رأسه بشكله ، ثم صعدت إلى السماء وصعدت نفسي معه ، فلما انتهينا إلى السماء الدنيا شاهدت بابا ورجل ملك معدودة عليه ، فأزال ذلك الملك رجله وقال لنفس ذلك الولي اصعدي فصعدت ، فأزادت نفسي أن تصعد معها ، فقال لها : ارجعي فقد بقي لك وقت ، قال فرجعت فشاهدت الناس دائرين على جسدي ، وقائل يقول : مات وآخر يقول : لم يمّت ، فدخلت من أنفي أو قال من عيني ... « الجواهر الحسان . 2 . 495 . فهذه القصة مردودة من وجوه منها رؤية الروح ، ومنها عودة الروح للجسد بعد الموت فكل ذلك مخالف لقوله تعالى : " قل الروح من أمر ربي .. " وقوله تعالى أيضا : " قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون . " المؤمنون : 100

(34) الجواهر الحسان 4: 71-72

(35) هو شعبة بن الحجاج ، الحجة الحافظ أبو بسطام الأزدي ، نزيل البصرة ومحدثها . قال الشافعي لولا شعبة لما عرف الحديث بالعراق . ت : 160 هـ . تذكرة الحفاظ . 1 . 193

(36) هو مسعر بن كدام الحافظ أبو سلمة الهلالي الكوفي ، محدث ناسك . ت : 155 هـ . تذكرة الحفاظ . 1 :

188

(37) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي المعروف باليزيدي ، أبو محمد ، مقريء ، نحوي ، لغوي ، محدث . ت :

202 هـ . بغية الوعاة . 414

وهذا فعالي بالذين تنسكوا ولم يآلفوا في سالف الدهر منكرا (38)
 - وفي تفسير قوله تعالى : " ولذكر الله أكبر " قال : وأسند القشيري عن المصطفى
 الجصاص قال : كنت أنا ونصر الخراط ليلة في موضع فتذاكرنا شيئا من العلم فقال الخراط ،
 الذاكِر لله تعالى فائدته في أول ذكره أن يعلم أن الله ذكره ، فبذكر الله له ذكره ، قال فخالفته ،
 فقال : لو كان الخضر هاهنا لشهد صحته ، قال : فإذا نحن بشيخ يجيء بين السماء والارض
 حتى بلغ إلينا وقال : صدق ، الذاكِر لله بفضل الله وذكره له ذكره ، فعلمنا أنه الخضر عليه
 السلام .

وقد نقل الثعالبي عن التقاء الصوفية بالخضر عليه السلام في أكثر من موضع وقال : فأولياء
 الله يكاشفون بالعجائب ، فلا يحرم الإنسان التصديق بها ، جعلنا الله من زمرة أوليائه .
 وللثعالبي نفسه كرامات نقل بعضها منها في تفسيره ، منها ما جاء في تفسير قوله تعالى :
 لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب " (39) حيث قال : كنت في وقت أنظر في السيرة
 النبوية لابن هشام في خطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي أول خطبة خطبها في المدينة ،
 فإذا هاتف يقول : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب » وقد كان حصل في القلب عبرة
 في أمره - صلى الله عليه وسلم - « (40)

والثعالبي إذ يورد مثل هذه المكاشفات المنسوبة لأولياء الله يستند إلى نص قرآني يعتبره أهل
 الحقائق حجتها القوية في كل ما يجدونه ويعايشونه وهو قوله تعالى : « وما تكون في شأن وما
 تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه » (41) ، قال :
 وهذه الآية عظيمة الموقع لأهل المراقبة تثير في قلوبهم أسراراً ، ويغترفون من بحر فيضها
 أنواراً « (42)

ثم يحدد مفهوم الولي بما نصت عليه الآية « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ،
 الذين آمنوا وكانوا يتقون . . » (43)

* العنبر : 74
 (38) انظر الثعالبي . العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة . المطبعة الحميدية . مصر . 1907 . 1 : 116

(39) يوسف : 111

(40) الجواهر الحسان . 2 : 355

(41) يونس : 61

(42) الجواهر الحسان . 2 : 245

(43) يونس : 62-63

فيقول : وهذه الآية يعطي ظاهرها أن من آمن واتقى فهو داخل في أولياء الله ، وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة (44) .

وبذلك نعلم أن الثعالبي كان سنياً في تصوفه .

وأما فيما يتعلق ببعض مفاهيم الصوفية فقد نقل منها الثعالبي الكثير مما يدلنا على معرفته الواسعة بمصطلحاتهم وأحوالهم ، ويتجلى هذا في الأمثلة الآتية :

- في تفسير قوله تعالى : « إن الله على كل شيء قدير » (45) قال : وإن من علم أن مولاه قد ير علي ما يريد ، قطع رجاءه عن الأغيار ، كما قال إبراهيم عليه السلام : « ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع » (46) قال أهل الإشارة : معناه سهلت طريقهم إليك وقطعت رجاءهم عن سواك » (47)

- وفي تفسير قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » (48) ينقل عن القشيري مفهوم الصوفية للطيبات التي تشير إليها الآية فيقول : قال القشيري : قال أهل العلم بالأصول ، نعم الله تعالى على ضربين : نعمة نفع ونعمة دفع ، فنعمة النفع ما أولاهم ، ونعمة الدفع ما زوى عنهم ، وليس كل إنعامه سبحانه انتظام أسباب الدنيا والتمكن منها بل إطفاء الله تعالى فيما زوى عنهم من الدنيا أكثر ، وإن قرب العبد من الرب تعالى على حسب ابتعاده من الدنيا « (49)

ويتحدث عن مفهوم الصوفية للذكر ومراتبه في تفسير قوله تعالى : " فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله عند المشعر الحرام " (50)

فيقول : قال الشيخ العارف بالله أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الساحلي المالقي (51) : ومنفعة الذكر أبدا إنما هي تتبع معناه بالفكر ليقتبس من ذكره أنوار المعرفة ، ويحصل

(44) الجواهر الحسان . 2 : 256

(45) البقرة : 106

(46) إبراهيم : 39

(47) الجواهر الحسان . 1 : 122

(48) البقرة : 171

(49) الجواهر الحسان . 1 : 160

(50) البقرة : 199

(51) هو محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم الأنصاري ، صوفي ، أديب ، شاعر . ت : 735 هـ .

نيل الإبتهاج : 234

على اللب المراد . وقال في موطن آخر من هذا الكتاب الذي ألفه في السلوك : ولا مطمع للذاكر في درك حقائق الذكر إلا بإعمال الفكر فيما تحت ألفاظ الذكر من المعاني وليدفع خطرات نفسه عن باطنه راجعا إلى مقتضى ذكره حتى يغلب معنى الذكر على قلبه ، وقد أن له أن يدخل في دائرة أهل المحاضرات « (52)

- وفي تفسير قوله تعالى : " ويتفكرون في خلق السماوات والارض " (53) يفيض في نقل أقوال المتصوفة في معنى التفكير وثمرته ومراتبه ومظاهره فيقول :

قال ابن بطلال (54) : إن الإنسان إذا تفكر كمل إيمانه ، وكثر تفكره ، كان الغالب عليه الإشفاق والخوف .

وقال ابن عطاء الله (55) : الفكرة سير القلب في ميادين الاعتبار ، والفكرة سراج القلب ، فإذا ذهبت فلا فائدة له ، قال بعض المحققين : وذلك أن الإنسان إذا تفكر علم ، وإذا علم عمل .

وقال الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله : التفكير نعت كل طالب ، وثمرته الوصول ، بشرط العلم ، ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا ، وقلة وفائها لطلابها ، فيزدادون بالفكر زهدا ، وفكر العابدين في الآلاء والنعماء فيزدادون محبة للحق سبحانه

وقال الغزالي ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله ، وتحصيل الأنس بذكر الله تعالى ، والأنس يحصل بدوام الذكر ، والمعرفة تحصل بدوام الفكر انتهى من الإحياء (56)

ثم ينقل الثعالبي صررة تبين لنا بعض أحوال العارفين في الذين يعبدون الله بالتفكير فيقول : قال ابن عطية : وحدثني أبي رحمه الله عن بعض علماء الشرق ، قال : كنت بائنا في مسجد بمصر فصليت العتمة فرأيت رجلا قد اضطجع في كساء له حتى أصبح ، وصلينا نحن تلك الليلة وسرنا ، فلما أقيمت صلاة الصبح قام ذلك الرجل فاستقبل القبلة وصلى مع الناس فاستعظمت جراته في الصلاة بغير وضوء ، فلما فرغت الصلاة خرج فتبعته لأعظمه فلما دنوت منه سمعته

(52) من ذلك المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة ، المحاضرة ابتداء ثم المكاشفة ثم المشاهدة ، والمحاضرة حضور القلب

باستيلاء سلطان الذكر . القشيري . الرسالة القشيرية في علم التصوف . دار الكتاب العربي . بيروت . ص : 40

(53) آل عمران : 190

(54) هو عمرو بن زكريا بن بطلال ، أبو الحكم ، قاض ، خطيب . ت : 549 . معجم المؤلفين . 8 : 9

(55) هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري ، صوفي ، مشارك في التفسير والحديث والفقه والأصول

. ت : 709 . ابن فرحون . الديباج المذهب : 70

(56) أبو حامد الغزالي . إحياء علوم الدين . عالم الكتب . 4 : 363 . وفي الجواهر الحسان . 1 : 405

وهو ينشد :

منسجن الجسم غائب حاضر منتبه القلب صامت ذاكرا
منبسط في الغيوب منقبض كذلك من كان عارفا شاكرا
يبببت في ليله أخا فكر فهو مدى الليل نائم ساهر

قال : فعلمت أنه ممن يعبد الله بالفكرة ، فانصرفت عنه (57) .

ويشرح الثعالبي معنى المراقبة في قوله تعالى : « إن الله كان عليكم رقيباً » (58)

بما نقله من كتاب القصد إلى الله تعالى « للمحاسبي .

قال المحاسبي (59) : سألت أبا جعفر محمد بن موسى (60) فقلت : أجمل حالات

العارفين ماهي ؟ فقال : إن الحال التي تجمع لك الحالات المحمودة كلها في حالة واحدة هي المراقبة . فالزم نفسك وقلبك دوام العلم بنظر الله إليك في حركتك وسكونك وجميع أحوالك ، فإنك بعين الله عزوجل في جميع تقلباتك ، وإنك في قبضته حيث كنت ، وإن عين الله على قلبك وناظر إلى سرك وعلانيتك ، فهذه الصفة يا فتى بحر ليس له شط ، بحر تجري منه السواقي والأنهار ، وتسير فيه السفن إلى معادن الغنيمة » (61)

كما ينقل من نفس الكتاب للمحاسبي شرحه للتوكل الذي تشير إليه الآية : « وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين » (62)

قال المحاسبي : قلت لأبي جعفر محمد بن موسى إن الله عزوجل يقول « فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين » فما السبيل إلى هذا التوكل الذي ندب إليه ، وكيف دخول الناس فيه ؟ قال إن الناس متفاوتون في التوكل وتوكلهم على قدر إيمانهم . وقوة إيمانهم ، قلت : فما معنى إيمانهم ؟ قال : تصديقهم بمواعيد الله عزوجل وثقتهم بضمنان الله تبارك وتعالى ، قلت فمن أين فضيلة الخاصة منهم على العامة والتوكل في عقد الإيمان مع كل من آمن بالله عزوجل ؟ قال : إن الذي فضلت به

(57) الجواهر الحسان ، 1 : 405

(58) النساء : 1

(59) هو الحارث بن أسد المحاسبي البصري ، أبو عبد الله ، صوفي ، متكلم ، فقيه ، محدث . ت : 243 . تاريخ بغداد . 8 : 211

(60) هو أحمد بن موسى بن عيسى البغدادي ، أبو جعفر ، فقيه ، عاش في القرن الثالث الهجري . معجم المؤلفين . 2 : 189

(61) الجواهر الحسان . 1 : 412

(62) يونس : 84

الخاصة على العامة هو دوام سكون القلب عن الاضطراب والهدوء عن الحركة ، فعندها يافتى استراحوا من عذاب الحرص ، وفكوا من أسر الطمع وأعتقوا من عبودية الدنيا وأبنائها « (63) ونجد الثعالبي أحيانا لا يكتفي بالمادة الصوفية التي ينقلها في تفسيره فيذهب إلى أبعد من ذلك ، فيحيل القارئ إلى كتب السلوك للإستزادة والتوسع .

– ففي تفسير قوله تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » (64)

يذكر الثعالبي أقوال أهل الإشارة في معاني الخشية ، فينقل عن الحكم لابن عطاء الله السكندري والتنوير للقشيري ، والكلم الفارقية لعبد الحق الاشبيلي وشرح الحكم لابن عباد (65) ثم يقول : وهذه المعاني كلها محصلة في كتب الغزالي (66) وغيره رضي الله عن جميعهم ، ونفعنا ببركاتهم (67)

ومتلما نقل الثعالبي عن أهل الإشارة كثيرا من المفاهيم فإنه نقل أيضا سير بعضهم وأخلاقهم مما ليس هو من التفسير في شيء ، وغرضه من ذلك هو إطلاعنا على أحوال الصالحين في تأثرهم بكتاب الله تعالى .

– ففي تفسير قوله تعالى : « وقفوهم إنهم مسؤولون » (68) ينقل عن كتاب المدارك للقاض

عياض : كان أبو إسحاق الجبنياني (69) ظاهر الحزن كثير الدمعة يسرد الصيام ، قال والده أبو الطاهر قال لي أبي : إن إنسانا بقي في أية سنة لم يتجاوزها وهي قوله تعالى : « وقفوهم إنهم مسؤولون » فقلت له أنت فسكت فعلمت أنه هو ، وكان إذا دخل في الصلاة لو سقط البيت الذي هو فيه ما التفت إقبالا على صلاته واشتغالا بمناجاة ربه ، وكان رحمه الله من أشد الناس تضيقا على نفسه ثم على أهله ، وكان يأكل البقل البري والجراد إذا وجد ، ويطحن قوته بيده شعيرا ثم يجعله بنخالته دقيقا في قدر مع ما وجد من بقل بري وغيره حتى أنه ربما رمى بشيء منه للكلب أو هر فلا يأكله ، وكان لباسه يجمعه من خرق المزابل ويرقععه ، وكان يتوطأ الرمل ،

(63) الجواهر الحسان . 2 : 253

(64) فاطر : 28

(65) هو أبو عبد الله ، ابن عباد . صوفي ، فقيه ، خطيب . ت : 792 هـ . معجم المؤلفين . 6 : 66

(66) إحياء علوم الدين . 1 : 144

(67) الجواهر الحسان . 3 : 396

(68) الصافات : 24

(69) لم أقف على ترجمة له

وفي الشتاء قفاف المعاصر الملقاة على المزابل يجعله تحته « (70)

و يستمد أهل الإشارة أحيانا تفسير النصوص القرآنية من تجليات الرؤى والأحلام ، فقد يرون الرسول - صلى الله عليه وسلم - في النوم ويسألونه عن معنى آية أو صحة نسبة حديث إليه فيجيبهم ، فيضم ذلك إلى جملة ما يعتمدونه ويتداولونه في فهم بعض ما يتشابه عليهم في القرآن ، والثعالبي ينقل ذلك ويرتضيه إذا لم يكن مخالفا لظاهر النص أو لأصل شرعي .

من ذلك ما نقله في تفسير قوله تعالى : « وثيابك فطهر » (71)

قال الثعالبي : قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي (72) رضي الله عنه رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في المنام فقال : يا علي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس فقلت : وما ثيابي يا رسول الله ، فقال : إن الله كساك حلة المعرفة ثم حلة المحبة ثم حلة التوحيد ، ثم حلة الإيمان ثم حلة الإسلام فمن عرف الله صغر لديه كل شيء ومن أحب الله هان عليه كل شيء ومن وحد الله لم يشرك به شيئا ومن آمن بالله أمن من كل شيء ومن أسلم لله قل ما يعصيه ، وإن عصاه اعتذر إليه ، وإذا اعتذر إليه قبل عذره ، قال ففهمت حينئذ معنى قوله تعالى : « وثيابك فطهر » (73)

وباستقراءنا لمادة التفسير الإشاري في تفسير الجواهر الحسان تبين لنا أن الثعالبي سني التصوف فلا ينقل إلا عن الصوفية الذين جمعوا بين أحكام الشريعة والرياضة الصوفية ، إلا أنه كان حازما مع الباطنية ينقل أقوالهم ويكر عليها بالإبطال ، ومما يشهد لذلك ما يلي :

- في قوله تعالى : « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون » (74)

يقول : قالت فرقة من العلماء : حشر البهائم بعثها ، واحتجوا بالأحاديث المضمنة أن الله يقتص للعجماء من القرناء ، ومن قال إنما هي كناية عن العدل وليست بحقيقة ، فهو قول مردود ، ينحو إلى القول بالرموز وغيرها (75).

(70) الجواهر الحسان . 4 : 24

(71) المدثر : 4

(72) أبو الحسن الشاذلي ، علي بن محمد المصري مولدا ، الشاذلي طريقة ، فقيه ، محدث ، نحوي ، عاش في القرن

التاسع الهجري ، نيل الإبتهاج : 212

(73) الجواهر الحسان . 4 : 506

(74) الأنعام : 39

(75) الجواهر الحسان 1 : 620

- وفي تفسير قوله تعالى : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » (76)

يقول الثعالبي : وحكى بعض الناس عن جعفر بن محمد قولاً أن الورقة يراد بها السقط من أولاد بني آدم ، والحبة يراد بها الذين ليس بسقط والرطب يراد به الميت ، وهذا قول جار على طريقة الرموز ولا يصح عن جعفر بن محمد ، ولا ينبغي أن يلتفت إليه (77)

- وفي تفسير قوله تعالى : « مرج البحرين يلتقيان » (78)

يقول : وذكر الثعالبي في (مرج البحرين) أجازاً وأقوالاً باطنة يجب ألا يلتفت إلى شيء منها ، ولا شك في اطراحها ، ومنها نقله عن الثوري (مرج البحرين) فاطمة (79) وعلي ، واللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين (80) ، ثم تمادى في نحو هذا مما كان الأولى به تركه . على أنه تجدر الملاحظة أن القائلين بالتفسير الإشاري أفرطوا فيه فاعتمدوا آثاراً ضعيفة وأحياناً أحاديث واهية يستأنسون بها فيما يفهمونه من النص القرآني .

من ذلك ما نقله الثعالبي من إشارات للفخر الرازي في تفسير قوله تعالى : « السائحون » (81)

فيقول : قال الفخر : وعندي فيه وجه آخر وهو أن الإنسان إذا امتنع عن الأكل والشرب والوقاع ، وسد على نفسه باب الشهوات انفتحت له أبواب الحكمة ، وتجلت له أنوار علم الجلال ، ولذلك قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » ، فيصير من السائحين في عالم جلال الله المنتقلين من مقام إلى مقام ، ومن درجة إلى درجة . فإن هذا الحديث الذي بنى عليه الفخر الرازي قوله لا يصلح أن

(76) الأنعام : 60

(77) الجواهر الحسان . 1 : 629

(78) الرحمان : 17

(79) هي فاطمة الزهراء بنت رسول الله ، توفيت بأربعة أشهر بعده - صلى الله عليه وسلم - . الإصابة 4 : 365

(80) الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب . توفي الحسن : 49 هـ ، والحسين 61 هـ . ابن الجوزي . صفة الصفوة

. 1 : 761 - 763 .

(81) التوبة 113

يكون دليلاً لشده ضعفه (82) .

ومهما يكن من شيء فإن القائمين بالتفسير الإشاري لا يزعمون بحال أنه تفسير لعين كلمات القرآن ، ولا يدعون عدم جواز الجمع بين الظاهر والإشارة ، ولكنهم يجتهدون في التمثيل معبرين عما يحسون به عند تلاوة كتاب الله وتدبر معانيه .

الجمعة الأمير عبد القادر للقانون للعلوم الإسلامية

(82) قال العجلوني في كشف الخفاء : رواه أبو نعيم بسند ضعيف . وفي اللآلئ المصنوعة : رواه أحمد وغيره عن مكحول مرسلًا ، وروي مسندًا من حديث ابن عطية عن ثابت عن أنس بسند فيه يوسف ضعيف لا يحتج به . وأورده الصغاني بلفظ من أخلص له أربعين صباحًا نور الله قلبه ، وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ، وقال : إنه موضوع العجلوني . كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط4 .

1985 . ج2 . ص : 292

الفصل الرابع

موقف الثعالبي
من آيات الأحكام

اهتم الثعالبي بأيات الأحكام ، فجلى غموضها ، ووضح مشكلها ، أهله لذلك كله سعة علمه في الفقه المالكي وغيره من المذاهب السنية ، واستعان على ذلك بتفسير أحكام القرآن للقاضي أبي بكر ابن العربي وموطأ الإمام مالك والمدونة الكبرى وغيرها ، وهي في مجموعها تمثل الكتب المعتمدة في المذهب المالكي .

وقد كان أميناً في نقله فيصرح بالمصدر الذي اعتمد عليه في أغلب الأحيان ونوضح ذلك فيما يأتي :

أ - أحكام القرآن لابن العربي (1) : يعتبر كتاب أحكام القرآن المصدر الأساسي الذي كان يرجع إليه الثعالبي في تفسير آيات الأحكام ولذلك يكاد إسمه يتردد في كل صفحة من صفحات تفسيره . فكان يقتبس منه الفقرات الطويلة أثناء استنباط الأحكام الشرعية من الآيات نذكر منها :

- في تفسير قوله تعالى : فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه « (2) يقول : قال ابن العربي : وإذا دامت المخمصة فلا خلاف في جواز شبع المضطر ، وإذا كانت نادرة ففي شبعه قولان : أحدهما لمالك : يأكل حتى يشبع ويتضلع ، وقال غيره : يأكل بمقدار سد الرمق ، وقد قال العلماء : إن من اضطر إلى أكل الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل حتى مات دخل النار « (3) وفي تفسير قوله تعالى (4) : « إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » (5) قال : قال ابن العربي : (وللآية تحقيق ، وهو أن العالم إذا قصد الكتمان عصى ، وإذا لم يقصده لم يلزمه التبليغ إذا عرف أن معه غيره وقد كان أبو بكر (6) وعمر (7) لا يحدثان بكل ماسمعا من النبي - صلى الله

(1) هو محمد بن عبد الله بن محمد ، المعافري ، الأندلسي ، الإشبيلي ، المالكي ، أبو بكر ، عالم مشارك في الحديث والفقه والأصول ، مفسر . ت : 545 هـ . طبقات المفسرين : 90

(2) البقرة : 172

(3) الجواهر الحسان . 1 : 161 أنظر أحكام القرآن . 1 : 53

(4) الجواهر الحسان . 1 : 154

(5) البقرة : 158

(6) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمر بن كعب القرشي الصميمي ، خليفة رسول الله . ت : 13 هـ . الإصابة . 2 : 336

(7) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي ، ثاني الخلفاء الراشدين . ت : 23 هـ . الإستهباب . 2 : 450

عليه وسلم - إلا عند الحاجة وكان الزبير (8) أقلهم حديثاً ، فأما من سئل فقد وجب عليه التبليغ لهذه الآية ، وأما إن لم يسأل فلا يلزم التبليغ إلا في القرآن وحده ، وقد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فضيلة التبليغ بأنه قال : (9) «نظر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها» ، انتهى من الأحكام (10)

- وفي تفسير قوله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم . . » الآية (11) قال : قال ابن العربي في أحكامه قوله تعالى : « ذلك أزكى لهم » يريد أظهر وأنمى ، يعنى إذا غض بصره كان أظهر له من الذنوب وأنمى له في الطاعة ، قال ابن العربي : ومن غض البصر كف التطلع إلى المباحات من زينة الدنيا وجمالها كما قال الله تعالى لنبيه : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » (12) يريد ما عند الله تعالى (13)

- وفي تفسير قوله تعالى : « واذكرونا ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة . . » (14) الآية قال الثعالبي : ويحتمل أن يراد بالذكر : إفشاؤه ونشره للناس والله أعلم ، وهذا الذي فهمه ابن العربي من الآية فإنه قال : أمر الله أزواج رسوله أن يخبرن بما ينزل من القرآن في بيوتهن وبما يرين من أفعال النبي - صلى الله عليه وسلم - وأقواله حتى يبلغ ذلك إلى الناس فيعملوا بما فيه ويقتدى به » (15)

- وفي تفسير قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض . . » (16) قال ابن العربي في أحكامه وحرمة النبي ميتاً كحرمة حياً ، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه ، فإذا

(8) هو الصحابي الجليل الزبير بن العوام بن خويلد ، حوارى رسول الله ، ت: 36 هـ . الإصابة 1 : 527 .

(9) رواه أبو داود في كتاب العلم ، باب فضل نشر العلم . 3 : 322 .

(10) ابن العربي ، أحكام القرآن . دار المعرفة ، بيروت . 1 : 49

(11) النور : 30

(12) طه : 129 - 130

(13) الجواهر الحسان . 3 : 180 أنظر أحكام القرآن . 3 : 1366

(14) الأحزاب : 34

(15) الجواهر الحسان . 3 : 355 أنظر أحكام القرآن . 3 : 1538

(16) الحجرات : 2

قرىء كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ، ولا يعرض عنه ، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به ، وقد نبه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله : « وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » (17) وكلام النبي - صلى الله عليه وسلم - هو من الوحي ، وله من الحرمة مثل ما للقرآن » (18)

- مصادر متنوعة يصرح بها أحيانا ، ولا يصرح بها تارة أخرى (19) ، وبتبعتها له تبين لنا أنه حين لا يصرح بمصدره يكون ناقلا عن ابن عطية مع شيء من التصرف والاختصار .
فأما المصادر التي كان يصرح بالنقل منها فهي المدونة للإمام مالك ، والعتبية لتلميذه ابن القاسم (20) ، وإليك أمثلة من ذلك

- في تفسير قوله تعالى : « فإن جاعوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم » (21) قال الثعالبي : وفقه هذه الآية أن الأمة مجمعة فيما علمت على أن حاكم المسلمين يحكم بين أهل الذمة في نظامهم ، و أما نوازل الأحكام التي لا تظالم فيها فالحاكم مخير ، وإذا رضي به الخصمان ، فلا بد من رضی أساقفتهم أو أحبارهم ، قاله ابن القاسم في العتبية » (22)

- في تفسير قوله تعالى : « فكفارته أطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم » (23) قال : واختلف في معنى قوله سبحانه « من أوسط » فرأى مالك وجماعة معه هذا الوسط في القدر ورأى ذلك جماعة من الصنف ، والوجه أن يعم بلفظ الوسط القدر والصنف ، فرأى مالك أن يطعم المسكين بالمدينة مدا بمد النبي - صلى الله عليه وسلم - وذلك رطل وثلاث ، وهذا

(17) الأعراف : 204

(18) الجواهر الحسان . 1 : 552 أنظر أحكام القرآن . 4 : 1714

(19) مثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : « والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهوات إلا أنفسهم .. » النور : 6 . قال الثعالبي : وأجمع مالك وأصحابه على وجوب اللعان بادعاء الرؤيا زنا لا وطء من الزوج بعده ، وذلك مشهور المذهب ، وقال مالك : إن اللعان يجب بتفي حمل يدعي قبله استبراء .. ومشهور المذهب أن نفس تمام اللعان بينهما فرقة ولا يحتاج معها إلى تفريق حاكم ، وتحريم اللعن أبدي باتفاق فيما أحفظ من مذهب مالك . الجواهر الحسان . 3 : 172

(20) هو أبو عبد الله عبد الرحمان بن خالد بن جنادة بن القاسم ، من تلاميذ مالك بن أنس . ت : 191 هـ بمصر .

القاضي عياض . ترتيب المدارك . منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت : 433

(21) المائدة : 44

(22) الجواهر الحسان . 1 : 552

(23) المائدة : 89

لضيقة المعيشة بالمدينة ، ورأى في غيرها أن يتوسع (24) ، ورأى من يقول إن التوسط إنما هو في الصنف أن يكون الرجل المكفر يتجنب أدنى ما يأكل الناس في البلد ، وينحط عن الأعلى ، ويكفر بالوسط من ذلك ، ومذهب المدونة أن يراعي عيش البلاد « (25)

– وفي تفسير قوله تعالى : « وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها . . . » (26)

قال الثعالبي : اختلف من المأمور بالبعثة ، فقيل الحكام ، وقيل المخاطب الزوجان . وإليهما تقديم الحكمين ، وهذا في مذهب مالك ، والأول لربيعة (27) وغيره ، ولا يبعث الحكمان إلا مع شدة الخوف والشقاق ، ومذهب مالك وجمهور العلماء أن الحكمين ينظران في كل شيء ، ويحملان على الظالم ، ويعضيان ما رأياه من بقاء أو فراق ، وهو قول على بن أبي طالب (28) في المدونة وغيرها « (29)

كما أكثر من الرجوع إلى كتب أحاديث الأحكام نذكر منها الموطأ للإمام مالك بن أنس (30) والتمهيد لأبي عمرو بن عبد البر (31) والإمام بأحاديث الأحكام (32) لابن دقيق العيد ونلاحظ على الثعالبي كثرة الإستطراد ، ولعل سببه كثرة المصادر وتنوعها ، فقد وقع فيما وقع فيه غيره من المفسرين ، وهكذا نراه يسهب في تقرير بعض المائل الفقهيّة ، ويستوعب ما قيل فيها إلى حد يخرج القارئ عن تتبع النص القرآني مثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى (33) : « والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم . . . » (34) يذكر الثعالبي سبب نزول الآية ومعناها بإيجاز ثم يستطرده قائلا :

(24) مالك بن أنس . المدونة الكبرى . دار الفكر . 2 : 39

(25) الجواهر الحسان . 1 : 578

(26) النساء : 35

(27) هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، إمام ، حافظ ، فقيه ، بصير بالرأي . ت : 36 هـ . الديباج المذهب : 29

(28) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي ، رابع الخلفاء الراشدين . ت : 40 هـ .

الإصابة . 2 : 501

(29) الجواهر الحسان . 1 : 441

(30) انظر الجواهر الحسان . 1 : 246 ، 2 : 20 ، 4 : 150 ، 4 : 380 ، 4 : 164

(31) الجواهر الحسان . 1 : 224 ، 1 : 270 ، 2 : 20 ، 4 : 165

(32) الجواهر الحسان . 1 : 270 ، 1 : 266

(33) النور : 3

وأجمع مالك وأصحابه على وجوب اللعان بادعاء الرؤية زنا لا وطء من الزوج بعده وذلك مشهور المذهب ، وقال مالك إن اللعان يجب بنفي يدعي قبله استبراء ، والمستحب من ألفاظ اللعان أن يمشي مع ترتيب القرآن ولفظة فيقول الزوج : أشهد بالله لرأيت هذه المرأة تزني وإني في ذلك لمن الصادقين ، ثم يقول في الخامسة ، ولعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، وأما في لعان نفي الحمل فيقول : ما هذا الولد مني ، وتقول المرأة أشهد بالله مازنيت وأنه في ذلك لمن الكاذبين ثم تقول غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، فإن منع جهلهما من ترتيب هذه الألفاظ وأتيا بما في معناها أجزأ ذلك ، ومشهور المذهب أن نفس تمام اللعان بينهما فرقة ولا يحتاج معها إلى تفريق حاكم ، وتحريم اللعان أبدي باتفاق فيما أحفظ من مذهب مالك « (35) ولا يكتفي الثعالبي أحيانا بالمذهب المالكي بل ينقل آراء المذاهب الأخرى فيعرضها مع أدلتها بأمانة دون أن يبدي تعصبا للمذهب أو طعنا في المخالفين له . من ذلك ما جاء في تفسيره قوله تعالى : « حرمت عليكم الميتة » إلى قوله تعالى : « إلا ما ذكيتم » (36) الآية

فيقول : واختلف العلماء في قوله تعالى : « إلا ما ذكيتم » فقال ابن عباس وجمهور العلماء : الاستثناء من هذه المذكورات ، فما أدرك منها يطرف بعين أو يحرك ذنبا ، وبالجمله ما يتحقق أنه لم تفض نفسه بل له حياة فإنه يذكى على سنة الزكاة ، ويؤكل ، ومافاضت نفسه فهو الميتة . وقال مالك مرة بهذا القول ، وقال أيضا وهو المشهور عنه وعن أصحابه من أهل المدينة إن قوله تعالى : « إلا ما ذكيتم » معناه من هذه المذكورات في وقت تصح فيه ذكاتها وهو ما لم تنفذ مقاتلها ، ويتحقق أنها لا تعيش ومتى صارت في هذا الحد فهي في حكم الميتة ، فالاستثناء عند مالك متصل لقول الجمهور لكنه يخالف في الحال التي يصح فيها زكاة هذه المذكورات واحتج مالك بأن هذه المذكورات لو كانت لا تحرم إلا بموتها لكان ذكر الميتة أولا يغني عنها .

ومن حجة المخالف أن قال : إنما ذكرت بسبب أن العرب كانت تعتقد أن هذه الحوادث كالزكاة ، فلو لم يذكر منها غير الميتة لظلت ميتة الوجع حسبما كانت عليه . والذكاة في كلام العرب الذبح « (37) »

ولا يقف الثعالبي عند ترك التعصب فقط بل ينتصر أحيانا لغير مذهبه إذا بدا له الحق في

(34) البواهر الحسان . 3 : 172

(35) انظر كذلك الجواهر الحسان . 1 : 96 ، 1 : 174

(36) المائدة : 4

(37) الجواهر الحسان . 1 : 516

غيره . من ذلك ماجاء في تفسير قوله تعالى : « ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين » (38)

لخص الثعالبي رأي المالكية فيما دلت عليه هذه الآية بقوله : أي اعطوهن شيئا يكون متاعا لهن ، وحمله مالك وغيره على النذب وحمله ابن عمر وغيره على الوجوب وقوله تعالى : « على الموسع قدره وعلى المقتر قدره . . » دليل على رفع التحديد ، وقوله : « بالمعروف » أي لا حمل فيه ولا تكلف على أحد الجانبين ، ثم أكد تعالى النذب بقوله « حقا على المحسنين بالإيمان والإسلام

ثم قال الثعالبي : وظاهر الآية عموم هذا الحكم في جميع المطلقات كما هو مذهب الشافعي وأحمد وأصحاب الرأي . والظاهر حمل المتعة على الوجوب لوجوه منها صيغة الأمر ، ومنها قوله « حقا » ومنها لفظة « على » ومنها من جهة المعنى ما يترتب على إمناعها من جبر القلوب ، وربما أدى ذلك إلى العداوة والبغضاء بين المؤمنين ، وقد مال بعض أئمتنا المتأخرين إلى الوجوب « (39)

ويلحق بهذا تعمقه في فقه المالكية ، وترجيحه لبعض الأقوال في المذهب على بعض مستعينا على ذلك بالنظر في سياق الآية ودلالة الألفاظ أحيانا ، أو بالاحتكام إلى القواعد الأصولية تارة أخرى ، وقد استقى مادته الأصولية من كتاب منتهى الوصول في علم الأصول لابن الحاجب ومفاتيح الغيب للرازي (40) ويتجلى هذا فيما يلي :

- في تفسير قوله تعالى : « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق . . » (41)

قال : واختلف العلماء : هل تدخل المرافق في الغسل أم لا ؟ وتحرير العبارة في هذا المعنى أن يقال : وإذا كان ما بعدها من جملة ما قبلها ، فالاحتياط يعطي أن الحد آخر المذكور بعدها ، ولذلك يترجح دخول المرفقين في الغسل والروايتان عن مالك (42)

- وفي تفسير قوله تعالى : « كونوا قردة خاسئين » (43) تكلم عن معنى الأمر في الآية فقال

(38) البقرة : 234

(39) الجواهر الحسان . 1 : 223

(40) هو محمد بن عمر بن الحسن الرازي ، الشافعي ، مفسر ، متكلم ، أصولي . ت ك 606 هـ . البداية والنهاية .

55 : 13

(41) المائدة : 7

(42) الجواهر الحسان . 1 : 533

(43) البقرة : 64

: « ولفظة "كونوا" أمر ، وهو أمر التكوين كقوله تعالى «كن فيكون» ، قال ابن الحاجب في مختصره الكبير المسمى «بمنتهى الوصول» صيغة أفعل وما في معناها قد صح إطلاقها بإزاء خمسة عشر محملا : الوجوب (أقم الصلاة) ، والندب (فكاتبوهم) والإرشاد (وأشهدوا) إذا تبايعتم والإباحة (فاصطابوا) والتأديب (كل مما يليك) والامتنان (كلوا مما رزقناكم) والإكرام (أدخلوها بسلام) والتهديد (اعملوا ما شئتم) والإنذار (كلوا وتمتعوا) والتسخير (كونوا قردة) والإهانة (كونوا حجارة) والتسوية (فاصبروا أو لا تصبروا) والدعاء (اغفر لنا) والتمني (ألا انجلي) وكمال القدرة (كن فيكون) . قال ابن الحاجب : وقد اتفق على أنها مجاز فيها عدا الوجوب ، والندب والإباحة ، والتهديد ، ثم الجمهور على أنها حقيقة في الوجوب » (44)

- وفي تفسير قوله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » (45) نقل الثعالبي عن ابن عطية تفسيره لمعنى « ما طاب » بما حل ، وتضعيفه لما سوى ذلك من الآراء فرد عليه بقوله : وفي تضعيفه نظر فتأمله . قال الفخر الرازي : وفي تفسير (ما طاب) بما حل نظر ، وذلك أن قوله تعالى : « فانكحوا » أمر إباحة فلو كان المراد بقوله « ما طاب لكم » أي ما حل لكم لتنزلت الآية منزلة ما يقال : أبحنا لكم نكاح من يكون نكاحها مباحا لكم ، وذلك يخرج الآية عن الفائدة ، ويصيرها مجملة لا محالة ، أما إذا حملنا ما طاب على استطابة النفس وميل القلب ، كانت الآية عامة دخلها التخصيص ، وقد ثبت في أصول الفقه أنه إذا وقع التعارض بين الاجمال والتخصيص كان رفع الاجمال أولى ، لأن العام المخصص حجة في غير محل التخصيص ، والمجمل لا يكون حجة أصلا انتهى وهو حسن (46) .

(44) الجواهر الحسان . 1 : 96

(45) النساء : 3

(46) الجواهر الحسان . 1 : 414

القراءات في تفسير الثعالبي :

وإلى جانب اعتماد الثعالبي على السياق القرآني ودلالة الألفاظ وأصول الفقه في تفسير آيات الأحكام فقد اهتم أيضا بالقراءات (47) ولكن بإيجاز يتفق مع ما توخاه في هذا الكتاب من الإختصار فلا يذكر منها إلا ماتنكف به معاني الآية . وقد ساعده على ذلك سعة معرفته بالقراءات الشاذ منها والمتواتر (48) ، وبذلك أبدى قدرته العلمية في توجيه القراءات ، وتبيين ماتدل عليه كل قرادة من معنى ، ودون أن يطعن في قراءة صحيحة أو يسقطها (49) ومن الأمثلة على ذلك مايلي :

– وفي تفسير قوله تعالى : « فإنهم لا يكذبونك . . . » (50) قال الثعالبي قرأ ابن كثير (51) وأبو عمر، (52) وابن عامر (53) وعاصم (54) وحمزة (55) : « لا يكذبونك » بتشديد الذال وفتح الكاف ، وقرأها ابن عباس وردها على قارئ قرأ عليه يكذبونك بضم الياء ، وقال له :

(47) تعرف القراءات بأنها : « علم بكيفيات أداء كلمات القرآن واختلافها معزرا لناقله » . القراءات القرآنية . د . عبد

الهادي الفضيلي . دار القلم . بيروت . ط 2 . 1982 . 55

(48) تقسم القراءات إلى قسمين أساسيين هما : القراءات المتواترة والشاذة ، وأحسن من تكلم في ضابط القراءات ،

إمام القراء في زمانه : أبو الخير بن الجزري . ت : 833 هـ . في كتابه : منجد المقرئين « المطبعة الوطنية الإسلامية . القاهرة . 1350 هـ . 1 : 17

(49) قال الزركشي : فصل في معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ ، وفائدته أن يكون دليلا على

حسب المدلول عليه ، أو مرجحا ، إلا أنه ينبغي التنبيه على شيء : وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحا يكاد يسقط القراءة الأخرى ، وهذا غير مرضي لأن كليهما متواتر . البرهان . 2 : 339

(50) الأنعام : 34

(51) عبد الله بن كثير بن عبد المطلب ، من بني عبد الدار ، إمام أهل مكة في القراءة . ت : 120 هـ . ابن الجزري .

غاية النهاية في طبقات القراء . دار الكتب العلمية . بيروت . ط 3 . 1982 . 1 : 443

(52) هو أبو عمرو بن العلاء ، إمام القراء في البصرة وأحد القراء السبع ، ت : 154 هـ . د . عبد الهادي الفضيلي . القراءات القرآنية . ص : 26

(53) عبد الله بن عامر بن عمرو بن العاص ، توفي 118 هـ . غاية النهاية . 1 : 439

(54) هو عاصم بن أبي النجود ، شيخ القراء بالكوفة ، أحد القراء السبع . ت : 120 هـ . غاية النهاية . 1 : 346

(55) حمزة بن حبيب بن عمار بن إسماعيل الكوفي ، أحد القراء السبع . ت : 156 هـ . غاية النهاية . 1 : 261

إنهم كانوا يسمونه الأمين وقرأ نافع (56) والكسائي (57) بسكون الكاف وتخفيف الذال ،
وهما قراءتان مشهورتان صحيحتان ، وهما بمعنى واحد ، فمعنى لا يكذبونك أي لا يعتقدون
كذبك ، وإنهم يعلمون صدقك ولكنهم يجحدون عنادا وظلما « (58)

— وفي تفسير قوله تعالى : «ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبأ في السماوات والارض ويعلم
ما يخفون وما يعلنون» (59) قال : وقرأ الجمهور « يخفون » و« يعلنون » بياء الغائب وهذه
القراءة تعطي أن الآية من كلام الهدهد . وقرأ الكسائي وحفص عن عاصم « تخفون » و« تعلنون
» بقاء الخطاب ، وهذه الآية تُعطي أن الآية من خطاب الله تعالى لأمة محمد - صلى الله عليه
وسلم - « (60)

— وفي قوله تعالى : « وما كان لنبيء أن يغفل . . . » (61) قال الثعالبي : قرأ ابن كثير وعاصم
أن يُغفل بفتح الياء وضم الغين ، وقرأ باقي السبعة أن يُغفل بضم الياء وفتح الغين ، واختلف على
القراءة الأولى فقال ابن عباس وغيره : نزلت بسبب قطيفة حمراء فقدت من الغنائم يوم بدر ،
فقال بعض الناس : لعل رسول الله أخذها . . .

وأما على القراءة الثانية فمعناها عند الجمهور أن ليس لأحد أن يغفل النبي أي يخونه في
الغنيمة لأن المعاصي تعظم بحضرتة لتعين توقيره (62)

وبتبعنا للقراءات في تفسير الثعالبي وجدناه يلتزم بالمتواتر مقتصرًا على القراءة السبعة ، ولا
يذكر خارجها إلا نادرا (63)

(56) نافع بن عبد الرحمان بن أبي نعيم ، أحد القراء السبع ، وإمام القراء بالمدينة ، ت : 169 هـ . غاية النهاية . 2 :
330 .

(57) علي بن حمزة الكسائي ، شيخ المقرئين بالكوفة ، وأحد القراء السبع . ت : 189 هـ . القراءات القرآنية . ص :
26

(58) الجواهر الحسان . 1 : 617 .

(59) النمل : 25

(60) الجواهر الحسان . 3 : 252 .

(61) آل عمران : 161 .

(62) الجواهر الحسان . 1 : 390 .

(63) من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : «الله لا إله إلا هو الحي القيوم» . آل عمران : 1 . قال : وقراءة الجمهور

القيوم ، وقرأ خارج السبع القيام والقيم ، وهذا كله من قام بالأمر يقوم به إذا إضطلع به وجميع ما يحتاج إليه وجوده .
الجواهر الحسان . 1 : 289 .

فإلى جانب التزامه المتواتر قد يورد الشاهد للتدليل على بعض الأحكام الفقهية أو ترجيح بعض الأقوال ، فمن اعتماده المتواتر ما سبق ذكره ، ومن اعتماده على الشاهد ما يلي (64) - في تفسير قوله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (65) قال الثعالبي : قال ابن عباس وعلي : المعنى : ما خلقت الجن والانس إلا لأمرهم بعبادتي ، وليقروا لي بالعبودية ، وقال زيد بن أسلم (66) وسفيان الثوري : هذا خاص ، والمراد ما خلقت الطائعين من الجن والإنس إلا لعبادتي .

ثم يرجح التأويل الثاني بقوله : ويؤيد هذا التأويل أن ابن عباس روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قرأ : وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون » (67) - وفي تفسير قوله تعالى : « إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي » (68) قال الثعالبي : قال بعض العلماء الخير هنا أراد به الخيل ، والعرب تسمي الخيل خيرا ، ثم قال : وفي مصحف ابن مسعود « حب الخيل » (69) - وفي تفسير قوله تعالى : « وله أخ أو أخت . . » (70) قال الاجماع على أن الاخوة في هذه الآية الأخوة لأم ، وأما حكم سائر الاخوة سواهم فهو المذكور في آخر السورة ، وقرأ سعد ابن أبي وقاص (71) « وله أخ أو أخت لأمه » (72) وقد يشير الثعالبي أحيانا إلى شنوذ بعض القراءات دون أن يعرج على الفائدة منها وهذا قليل في تفسيره ، ويغلب الظن أن سكوت الثعالبي عن ذلك يعني بعد التأويل القائم على تلك القراءة ، ومن الامثلة على ذلك :

(64) إذا كان العلماء قد قصروا التعبد بتلاوة القرآن على القراءات المتواترة فإن القراءات الشاذة قد نالت محلها من الإهتمام سواء بالنسبة للغويين الذين إحتجوا بها على مذاهبهم وأرائهم النحوية ، أو الفقهاء الذين إستأنسوا بها في ترجيح بعض الاحكام الشرعية .

(65) الذاريات : 56 .

(66) سبق التعريف به

(67) الجواهر الحسان . 4 : 288 .

(68) سورة ص : 31 .

(69) الجواهر الحسان . 4 : 55 .

(70) النساء : 12 .

(71) هو سعد بن مالك بن أبي أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري ، صحابي ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، ت : 51

هـ وقيل : 58 هـ . الإصابة : 2 ، 31 .

(72) الجواهر الحسان . 1 : 421 .

– في تفسير قوله تعالى : « قال هل انتم مطلعون » (73) قال : وقرأ أبو عمرو في رواية حسين مطلعون بسكون الطاء وفتح النون ، وقرئء شاذا مطلعون سكون الطاء وكسر النون (74)

– وفي تفسير قوله تعالى : « وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت » (75) يقول : نقلا عن القاضي عياض . والقراءة بكسر اللام من الملكين شاذة « (76) وخلاصة القول أن الثعالبي لم يكن مولعا بتتبع أوجه القراءات إلا ما كان ذا فائدة في كشف معاني النص القرآني التزاماً منه بما أراد في مقدمته كتابه من إيجاز واختصار .

موقف الثعالبي من النسخ في القرآن :

ولما كان المقصد من الأحكام التكليف ، وقد يعترىها النسخ أحيانا ، كان لزاما علينا أن نبين موقف الثعالبي من نسخ القرآن بالقرآن فنقول :

وافق الثعالبي أهل السنة على القول بالنسخ في القرآن ، فنقل رأيهم وتبناه، ودافع عنه ، إلا أنه معتدل المنهج يناقش ما ينقل فيوضح ما أشكل ويرد ما أنكر بالحجة ، وقد لخص موقفه هذا عند تفسير قوله تعالى : ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها « (77) فقال :

النسخ في كلام العرب على وجهين : أحدهما النقل ، كنقل كتاب من آخر ، وهذا ما لا دخل له في الآية ، وورد في كتاب الله تعالى في قوله « إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » والثاني : الإزالة ، وهو الذي في هذه الآية ، وهو ينقسم في اللغة إلى ضربين أحدهما يثبت الناسخ بعد المنسوخ كقولهم : نسخت الشمس الظل ، والآخر لا يثبت كقولهم نسخت الريح الأثر ، وورد النسخ في الشرع حسب هذين الضربين .

ثم عرف الثعالبي النسخ في الإصطلاح بما عرفه أهل السنة فقال : وحد الناسخ عند حذاق أهل السنة : الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم ، على وجه لولاه لكان ثابتا مع تراخيه عنه . ونقل ابن الحاجب مثله .

(73) الصافات : 54 .

(74) الجواهر الحسان . 4 : 28 .

(75) البقرة : 107 .

(76) الجواهر الحسان : 1 . 116 .

(77) البقرة : 105 .

ثم انتقل إلى بيان جواز النسخ في كتاب الله تعالى ، ورد على منكريه من اليهود وغيرهم فقال :

والنسخ جائز على الله تعالى عقلا ، لأنه لا يلزم عنه محال ، ولا تغيير صفة من صفاته ، وليست الأوامر متعلقة بالإرادة فيلزم من النسخ أن الإرادة تغيرت ، ولا النسخ لطرء علم ، بل الله يعلم إلى أي وقت ينتهي أمره بالحكم الأول ، ويعلم نسخه له بالثاني . والبداء لا يجوز على الله تعالى ، لأنه لا يكون إلا بطرء علم أو لتغير إرادة ، وذلك محال من جهة الله تعالى ، ووجعلت اليهود النسخ والبداء واحدا ، فلم يجوزوه فضلا . والمنسوخ عند أئمتنا الحكم الثابت نفسه ، لا ما ذهب إليه المعتزلة من أنه مثل الحكم الثابت فيما يستقبل ، والذي قادهم إلى ذلك مذهبهم في أن الأوامر مرادة ، وأن الحسن صفة نفسية للحسن ، ومراد الله تعالى حسن ، وقد قامت الأدلة على أن الأوامر لا ترتبط بالإرادة ، وعلى أن الحسن والقبح في الأحكام إنما هو من جهة الشرع ، لا بصفة نفسية . والتخصيص من العموم يوهم أنه نسخ وليس به ، لأن المتخصص لم يتناول العموم قط ، ولو تناول العموم لكان نسخا ، والنسخ لا يجوز في الأخبار ، وإنما هو مختص بالأوامر والنواهي ، ورد بعض المعترضين الأمر خبرا بأن قال : أليس معناه : واجب عليكم أن تفعلوا كذا فهذا خبر ، والجواب أن يقال : إن في ضمن المعنى : إلا أن أنسخه عنكم وأرفعه ، فكما تضمن لفظ الأمر ذلك الإخبار ، كذلك تضمن هذا الاستثناء .

وصور النسخ تختلف ، فقد ينسخ الأثقل إلى الأخف ، وبالعكس ، وقد ينسخ المثل بمثله ثقلا وخفة ، وقد ينسخ الشيء لا إلى بدل ، وقد تنسخ التلاوة نون الحكم ، وبالعكس ، والتلاوة والحكم حكمان فجائز نسخ أحدهما دون الآخر ، ونسخ القرآن بالقرآن ، ونسخ خبر الواحد بخبر الواحد ، وهذا كله متفق عليه ، وحداق الأمة على أن القرآن ينسخ بالسنة « (78)

وهكذا وافق الثعالبي أهل السنة في تعريف النسخ والتفريق بينه وبين البداء ، وفي تحديد المنسوخ وصلته بالناسخ ، وما يكون بينهما من قوة أو ضعف أو غير ذلك ليخلص من هذا إلى تطبيق ذلك على الآيات القرآنية فينظر إن كانت من الحكم الثابت أم من المنسوخ ، وإن كانت فما الدليل على نسخها ، أو ما الناسخ لها ، وإلا فما دليل إحكامها ، ولتوضيح ذلك نقول :

وقف الثعالبي عند الآيات التي اشتهرت بأنها منسوخة فنقل فيها أقوال العلماء ، ويتضح هذا في الأمثلة التالية :

- في قوله تعالى : « كتب عليكم إذا حضر احدكم الموت الوصية للوالدين والاقربين . . » (79) قال : واختلف في هذه الآية ، هل هي محكمة أم منسوخة . فقال ابن عباس وقتادة والحسين : الآية عامة وتقرر الحكم بها برهمة ، ونسخ منها كل من يرث بأية الفرائض ، وقال بعض العلماء : إن الناسخ لهذه الآية السنة المتواترة وهو قوله - صلى الله عليه وسلم - إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه ، فلا وصية لوارث « (80)

- وفي قوله تعالى : « واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم . . » (81) قال ، وكانت أول عقوبة الزناة الإمساك في البيوت ، ثم نسخ ذلك بالأذى الذي بعده ، ثم نسخ ذلك بأية النور ، وبالرجم في الثيب ، قاله عبادة بن الصامت وغيره ، وعن عمران بن حصين أنه قال كنا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فنزل عليه الوحي . ثم ألق عنه ووجهه محمر ، فقال : « قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ، وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » خرجه مسلم وهو خبر أحاد ، ثم ورد في الخبر المتواتر أن رسول الله رجم ولم يجلد ، فمن قال : إن السنة المتواترة تنسخ القرآن جعل رجم الرسول دون جلد ناسخا لجلد الثيب ، وهذا الذي عليه الأمة أن السنة المتواترة تنسخ القرآن ، إذ هما جميعا وحي من الله سبحانه ، ويوجبان جميعا العلم والعمل ، ويتجه عندي في هذه النازلة بعينها أن يقال أن الناسخ لحكم الجلد هو القرآن المتفق على رفع لفظه ، وبقاء حكمه في قوله تعالى : « الشيخ والشيخة فارجموهما البتة » وهذا نص في الرجم وقد قرره عمر على المنبر بمحضر الصحابة ، والحديث بكماله في مسلم ، والسنة هي المبينة ، ولفظ البخاري (أو يجعل الله لهن سبيلا) الرجم للثيب والجلد للبكر انتهى (82)

- وفي قوله تعالى (83) : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » (84) قال : هذه الآية ناسخة لأية الحبس باتفاق ، وحكم المحصنين منسوخة بأية الرجم والسنة

(79) البقرة : 179 .

(80) الجواهر الحسان . 1 : 167 .

(81) النساء : 15 .

(82) الجواهر الحسان . 1 : 423 .

(83) الجواهر الحسان . 3 : 211 .

(84) النور : 2 .

المتواترة على ما تقدم « (85)

ومما نلاحظه أن الثعالبي لم يقف فقط عند الآيات التي اشتهرت بالنسخ (86) ، بل تابع من تقدمه من المفسرين كابن العربي وغيره (87) الذين قالوا إن آية السيف ناسخة لمائة وبضع وعشرين آية ، وهو قول مبالغ فيه كثيرا ، فأية السيف ناسخة لبضع آيات بيقين ، وأما غيرها فمن مكارم الأخلاق ، أو من أسلوب المعاملة أو غير ذلك ، مما يمكن فهمها ، والجمع بينها وبين آية السيف بوجه من الوجوه ، وقد اتفق العلماء على أنه لا يصار إلى النسخ إلا إذا تعذر الجمع واستحال ، فالتوسط في القول بالنسخ أولى (88) ومن الأمثلة على ذلك في تفسير الثعالبي ما يلي :

– في قوله تعالى : « قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم » (89) الآية

قال الثعالبي : و « ما أنا عليكم بوكيل » منسوخة بأية القتال (90)

– وفي قوله تعالى : « واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين »

(91) قال : وهذا الصبر أيضا منسوخ بالقتال (92)

(85) والذين نراه هنا أن السنة مبينة لا غير ، لأن الله تعالى يقول لتبينه : « وأنزلنا إليك الذكرى لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلمهم يتفكرون » . النحل : 44 . فرفع آية الرجم تلاوة قد يوحى برفع حكمها ، ولا يستطيع أحد أن يقول ببقاء حكمه إلا الرسول -صلى الله عليه وسلم- فالسنة المتواترة إذن قد نصت على بقاء الحكم الوارد في آية الرجم بعد رفع تلاوتها لا أكثر .

(86) حصر السيوطي الآيات المنسوخة من القرآن الكريم في واحد وعشرين آية على خلاف فيها . الإتيان . 2 : 23 .

(87) وكذا نسبة الله بن سلامة والنحاس في كتابيهما الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم .

(88) قال السيوطي في حديثه عن أنواع النسخ في القرآن الكريم : « والنوع الثالث ما أمر به لسبب ثم يزول السبب

كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح ثم نسخ بإيجاب القتال ، وهذا في الحقيقة ليس نسخا ، بل هو من قبيل المنسأ

كما قال تعالى : « أو ننسأها » فالمنسأ هو الأمر بالقتال عندما يقوى المسلمون وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر

على الأذى وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية في ذلك منسوخة بأية السيف ، وليس كذلك ، بل هي من المنسأ ،

بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعله تقتضي ذلك الحكم ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر ليس بنسخ

، إنما النسخ الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله . الإتيان . 2 : 21 .

(89) يونس : 108 .

(90) الجواهر الحسان . 2 : 263 .

(91) يونس : 109 .

(92) الجواهر الحسان . 2 : 263 .

- وفي تفسير قوله تعالى : « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل . . » (93) الآية
قال : وعيد وتهديد ، وما فيه من المهادنة منسوخ بأية السيف (94)
ومثل هذا كثير في تفسير الثعالبي (95)

وسبب اختلاف العلماء في عدد من الآيات المنسوخة غالباً يكون نتيجة الخلط بين المنسوخ من
جهة وبين التخصيص والإنساء وبيان المجمل من جهة أخرى ، مع أن الفرق موجود ، وهو قيام
النسخ على النقل وقيام التخصيص والإنساء وبيان المجمل على الرأي والاجتهاد . (96)
ولا شك أن إقامة بعض دواعي النسخ على الرأي والاجتهاد فيه من الخطورة ما لا يخفى ، وهو
ما دفع أحد الباحثين إلى القول : « وكل قول بالنسخ لم يسند إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم أو إلى صحابته حكاية عنه بطريق صحيح متصل هو قول لم يعتمد على دليل ، فلا يصح أن
يقبل منه ، ومن استجاز خلاف ذلك فقله يؤول إلى إبطال الشريعة كلها ، لأنه لا فرق بين دعواه
النسخ في آية أو حديث ما ، ودعوى غيره النسخ في آية أو حديث آخر ، فعلى هذا لا يصح شيء
من القرآن والسنة ، وهذا خروج على الإسلام ، وكل ما يثبت باليقين فلا يبطل بالظنون » (97)

وقد تنبه الثعالبي لمثل هذا في بعض المواطن دون الأخرى ، من ذلك ما جاء في تفسير قوله
تعالى : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » (98) حيث قال : هذه الآية نزلت
بمكة - تأمره عليه السلام أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ، وهكذا ينبغي أن يوعظ
المسلمون إلى يوم القيامة (99)

(93) الحجر : 3 .

(94) الجواهر الحسان . 2 : 396 .

(95) انظر الجواهر الحسان . 4 : 301 ، 4 : 610 ، 4 : 401 .

(96) قال ابن الحصار : إنما يرجع في النسخ إلى نقل صحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أو عن صحابي يقول

آية كذا نسخت كذا ، قال : ويحكم بالنسخ عند وجود التعارض المقطوع به مع علم التاريخ ليعرف المتقدم والمتأخر ، ولا

يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بيينة ، لأن النسخ يتضمن

رفع حكم وإثبات حكم تقرر في عهده - صلى الله عليه وسلم - والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد . أنظر

الإتقان . 2 : 24 .

(97) د . مصطفى زيد . النسخ في القرآن . دار الفكر العربي . ط 1 : 1963 م . 1 : 20 .

(98) النحل : 125 .

(99) الجواهر الحسان . 2 : 452 .

ونخلص من هذا إلى القول بأن الجواهر الحسان للثعالبي هو من بين التفاسير المرجعية في
الفقه المالكي على ما فيه من هنات ، وتلك لازمة بشرية لا يخلو منها أحد بحال من الأحوال .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الخامس

موقف الثعالبي
من المتشابه في القرآن

تذكر كتب الطبقات والتراجم عددا كبيرا من علماء الاندلس والمغرب اعتنقوا المذهب الأشعري (1) منذ القرن الرابع الهجري

منهم ابن أبي زيد القيرواني الذي كان يدافع عن مذهب الأشاعرة ضد المعتزلة بصدق وإيمان ، وله رسالة في الرد عليهم (2)

ومنهم القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي الباجي وأشعريته لا يمكن أن ينكرها أحد . (4)

ومع ذلك يمكن القول إن المذهب الأشعري قد ظل منحصرا في زمرة العلماء ، ولم ينزل إلى عامة المسلمين ، لأن من العلماء من كان يرى بضرورة تنزيه العامة عن الخوض في مسائل التأويل ، مثل أبي حامد الغزالي الذي كتب رسالة في ذلك بعنوان : « إجماع العوام عن الخوض في علم الكلام » .

حتى جاء المهدي بن تومرت (5) فكان شغله الشاغل أن يقرب العقيدة القائمة على أساس من التنزيه والتأويل إلى أفهام العامة ، وأن يجعلها قوام تصورهم العقدي ، وهو ما كان ينفق فيه شطرا كبيرا من جهده التربوي ، وألف فيه عدة رسائل أهمها المرشدة ليقوم التوحيد في الأذهان مقام التشبيه والتجسيم . (6)

ولذلك نجد مؤرخا مثل ابن خلدون قد اعتبر ابن تومرت هو الذي نقل المذهب الأشعري إلى المغرب فقال : « وحملهم [أي حمل المهدي بن تومرت أهل المغرب] على القول بالتأويل والأخذ بمذهب الأشعرية في العقائد » (7)

(1) مؤسس هذا المذهب هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الذي ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه . ت : 324 هـ . وفيات الأعيان . 3 : 284 .

(2) القصبي محمود زلط . القرطبي ومنهجه في التفسير : 52 .

(3) هو سليمان بن خلف بن سعد القرطبي ، الباجي ، المالكي ، فقيه ، أصولي ، متكلم ، محدث ، ت : 474 هـ . تذكرة الحفاظ . 3 : 349 .

(4) القرطبي ومنهجه في التفسير : 52 .

(5) مهدي بن عبد الله بن تومرت البربري فقيه ، أديب ، أصولي ، صاحب الدعوة الموحدية في المغرب العربي . ت : 524 هـ . عبد المجيد النجار . المهدي بن تومرت . دار الغرب الإسلامي . بيروت . ط 1 : 1983 م . ص : 128 .

(6) السلاوي . الإستقصا في أخبار المغرب الأقصى دار الكتاب . الدار البيضاء . 1954 . 1 : 126 .

(7) ابن خلدون . العبر . 6 : 466 . قال د . أحمد محمود صبحي : وأصبحت الأشعرية في المغرب الإسلامي مذهباً شبه رسمي منذ قيام دولة الموحدين على يد ابن تومرت وتلميذه مؤسس الدولة الموحدية عبد المؤمن بن علي . د . أحمد

محمود صبحي . في علم الكلام 2 : 33 .

وقد أشار المؤرخون لحركة ابن تومرت في المغرب إلى اتصاله بالثعالبة وهم يومئذ بمتيجة فأكرموا نزله ، وأخذوا عنه مبادئه الاصلاحية في العقيدة والسياسة (8) ولم ينقض القرن السابع حتى استحكمت حلقات الجمود الفكري فحرم الأخذ في الأصول بغير المذهب الأشعري ، وحرم الأخذ في الفروع بغير مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل ، ومنع الناس من النظر في الفلسفة وعلومها . . . » (9) فسيادة المذهب الأشعري في تلك الحقبة الزمنية في معظم البلاد الإسلامية وخاصة في المغرب والأندلس ، واتصال ابن تومرت بالثعالبة أجداد عبد الرحمان الثعالبي وتأثرهم به ، كل ذلك اقتضى أن ينشأ الثعالبي أشعريا في عقيدته .

وإذا رجعنا إلى تفسير الثعالبي وجدنا أثر ذلك واضحا في تفسيره للآيات المتشابهة ، حيث نص على جواز تأويلها في تفسير قوله تعالى : « هو الذي أنزل عليك الكتاب فيه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات . . . » (10) فقال : والمتشابهات هي التي تحتاج إلى نظر وتأويل ، ويظهر فيها بباديء النظر إما تعارض مع أخرى وإما مع العقل ، إلى غير ذلك من أنواع التشابه ، فهذا الشبه الذي من أجله توصف بمتشبهات ، إنما هو بينها وبين المعاني الفاسدة التي يظنها أهل الزيغ ومن لم ينعم النظر ، وهذا نحو الحديث الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - « الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات » ، أي يكون الشيء حراما في نفسه فيشبهه عند من لم ينعم النظر شيئا حلالا ، وكذلك الآية يكون لها في نفسها معنى صحيح فيشبهه عند من لم ينعم النظر ، أو عند الزائغ معنى فاسدا ، فربما أراد الاعتراض به على كتاب الله ، هذا عندي معنى الإحكام والتشابه في هذه الآية » (11)

(8) تاريخ الجزائر في القديم والحديث . 2 : 356 .

(9) د . عبد المتعال الصعيدي . القضايا الكبرى في الإسلام . المطبعة النونجية . مصر ط2 : 1960 . ص : 372 .

(10) آل عمران : 3

(11) الجواهر الحسان : 1 : 492

(12) قال الزركشي : اختلف الناس في الآيات والأحاديث الواردة فيها على ثلاثة فرق :

1- أحدها أنه لا مدخل للتأويل فيها ، بل تجرى على ظاهرها ولا تؤول شيئا منها ، وهم المشبهة .

2- وثانيها أن لها تأويلا ، ولكننا نمسك عنها مع تنزيه اعتقادنا عن الشبه والتعطيل ، ونقول لا يعلمه إلا الله ، وهو قول السلف .

3- وثالثها أنها مؤولة ، وأولوها على ما يليق به . ←

ويمكننا أن نستخلص من كلام الثعالبي مايلي :

أ - ضرورة تأويل المتشابه من القرآن الكريم .

ب - أن المتشابه إذا بقي على ظاهره قد يفيد معنى فاسدا كأن يتعارض مع غيره من أي القرآن الكريم أو مع المسلمات العقلية .

ج - أن التأويل يتوقف على أهل العلم الذين يحققون ويدققون في البحث دون أن يكون لهم مذهب فاسد يحملون متشابه القرآن عليه بصرف تأويله إلى ما يقرر أصول مذهبهم .

ولذلك فأننا إذا تتبعنا آيات الصفات في تفسير الثعالبي نجده قد أولها وفقا لمذهب أهل السنة (12) والجماعة . ويتجلى هذا في الأمثلة الآتية :

أ - صفة الإستواء : في تفسير قوله تعالى : « ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات . . » (13) قال : قال قوم معناه علا دون كيف ولا تحديد ، هذا اختيار الطبري ، والتقدير علا أمره وقدرته وسلطانه . وقال ابن كيسان (14) معناه قصد إلى السماء . (15) وفي تفسير قوله تعالى : « الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش . . » (16) قال : والمعتقد في هذا أنه سبحانه مستو على العرش على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده استواء منزلها عن المماسية والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال ، لا يحمله العرش ، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون في قبضته ، كان الله ولا شيء معه ، كان سبحانه قبل أن يخلق الزمان والمكان ، وهو الآن على ما عليه كان » (17)

فالثعالبي تكلم في الآية بما ينزه الله تعالى عن كل ما يوهم التشبيه والتجسيم بخلاف المفوضة الذين أمسكوا عن الكلام في صفة الاستواء . وكلامه في الاستواء مطابق في معناه لكلام أبي الحسن الأشعري حيث يقول : « إن استواءه على العرش فعله أحدثه كما أحدث في

ثم قال الزركشي والأول باطل والأخيران منقولان عن الصحابة ، فنقل الإمساك عن أم سلمة ومالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد ، ونقل التأويل عن علي وابن عباس وابن مسعود وغيرهم . الزركشي . البرهان . 2 : 78 .

(13) البقرة : 27

(14) هو عبد الرحمان بن كيسان ، أبوبكر الأصم المعتزلي ، صاحب المقالات في أصول ، ت : 225 هـ . لسان الميزان :

3 . 427

(15) الجواهر الحسان . 1 : 59 . وهذا اختيار ابن عطية . أنظر المحرر الوجيز . 1 : 160 .

(16) الرعد : 2

(17) الجواهر الحسان . 2 : 357 .

بنيان قوم فعلا سماه إتيانا (18) ، ولم يكن ذلك نزولا ولا حركة « (19) »

2 - صفة العين : في قوله تعالى : « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا . . » (20)

يقول الثعالبي : يمكن أن يريد بمرأى منا ، فيكون عبارة عن الإدراك والرعاية والحفظ ، ويكون جمع الأعين للعظمة لا للتكثير كما قال عزوجل : « فنعم القادرون » المرسلات 23 والعقيدة أنه تعالى منزه عن الحواس والتشبيه والتكييف لا رب غيره ، ويحتمل قوله : « بأعيننا » أي بملائكتنا الذين جعلناهم عيوننا على مواضع حفظك ومعونتك فيكون الجمع على هذا المعنى للتكثير (21) وكذلك في تفسير قوله تعالى : « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا » (22) قال الثعالبي : أي بمرأى ومنظر نرى ونسمع ما تقول وإنك في حفظنا وحيطتنا كما تقول فلان يراعه الملك بعينه ، وهذه الآية ينبغي أن يقررها كل مؤمن في نفسه فإنها تفسح مضائق الدنيا « (23) »

3 - صفة اليد : في تفسير قوله تعالى : « يد الله فوق أيديهم » (24)

قال الثعالبي : وقوله تعالى : « يد الله » قال جمهور المتأولين « اليد » بمعنى النعمة إذ نعمة الله في نفس هذه المبايعة لما يستقبل من محاسنها « فوق أيديهم » التي مدوها لبيعتك وقيل المعنى قوة الله فوق قواهم في نصرك .

وقال الثعالبي : « يد الله فوق أيديهم » أي بالوفاء والعهد ، وقيل بالثواب وقيل يد الله في المنة عليهم فوق أيديهم في الطاعة عند المبايعة ، وهذا حسن قريب من الأول « (25) »
- وفي تفسير قوله تعالى : « بل يدها مبسوطتان » (26)

يقول : العقيدة في هذا المعنى نفي التشبيه عن الله سبحانه ، وأنه ليس بجسم ، وليس له جارحة ، ولا يشبهه ، ولا يكيف ، ولا يتحيز ، ولا تحله الحوادث تعالى عما يقول المبطلون علوا كبيرا .

(18) يريد بذلك قوله تعالى : « فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم » . النحل : 26

(19) أبو منصور البغدادي . أصول الدين . دار الكتب العلمية . بيروت ط4 : 1983 . ص : 113

(20) هود : 37

(21) الجواهر الحسان . 2 : 277

(22) الطور . 45

(23) الجواهر الحسان . 4 : 301

(24) الفتح : 10

(25) الجواهر الحسان . 4 : 238

(26) المائدة : 64

قال ابن عباس في هذه الآية : يده نعمته ، ثم اختلفت عبارة الناس في تعيين نعمتين ، فقيل نعمة الدنيا ونعمة الآخرة ، وقيل النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة .

ثم قال الثعالبي : والظاهر أن قوله تعالى : « بل يده مبسوطتان » عبارة عن إنعامه على الجملة ، وعبر عنها باليدين جريا على طريقة العرب في قولهم : « فلان ينفق بكلتا يديه ، ومنه قول الأعشي :^{*}

يداك يدا مجد فكف مفيدة وكف إذا ما ضن بالمال تنفق

ويؤيد أن اليدين هنا بمعنى الإنعام قرينة الانفاق . (27)

وأما قوله تعالى : « قال إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي . . » (28) فقد تأول الثعالبي اليد بالقدرة والقوة . وكذا في قوله تعالى : « لأخذنا منه باليمين » (29) فقد تأول اليمين بالقوة ونسب هذا التأويل لابن عباس . (30)

وهو بذلك يخالف ما ينسب لأبي الحسن الأشعري في هذا الموضوع حيث يقول في الآيتين مايلي : « في قوله تعالى : « لأخذنا منه باليمين » وليس يجوز في لسان العرب ، وفي عادة أهل الخطاب أن يقول القائل عملت كذا بيدي ويعني به النعمة ، وإذا كان الله عزوجل خاطب العرب بلغتهم ، وكان لا يجوز في لسان أهل البيان أن يقول القائل فعلت بيدي ويعني النعمة ، بطل أن يكون معني قوله تعالى بيدي النعمة .

واستدل على ذلك بقوله : ولو كان الله عز وجل عنى بقوله « لما خلقت بيدي » القدرة لم يكن لأدم عليه السلام على إبليس في ذلك مزية ، وبذلك أثبت أبو الحسن الأشعري صفة اليد لله تعالى من غير تجسيم ولا تشبيه ، فقال : أتقولون أن لله يدين ؟ قيل : نقول ذلك وقد دل عليه قوله عز وجل : يد الله فوق أيديهم ، وقوله تعالى : لما خلقت بيدي « فثبتت اليد . (31) .

من هذه الأمثلة السابقة وغيرها تبين لنا أن الثعالبي قد أخذ برأي الجمهور في آيات الصفات

* - هو ميمون بن قيس بن جندل ، المعروف بالأعشى ، من شعراء الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات السبعة . ت : 7 هـ . معجم المؤلفين 13 : 65 .

(27) الجواهر الحسان . 1 : 566

(28) سورة ص : 74

(29) الحاقة : 45

(30) الجواهر الحسان . 4 : 469

(31) أبو الحسن الأشعري . الإبانة عن أصول الديانة . السعودية 1400 هـ . ص : 54

فأول ما له وجه مقبول في اللغة ، وأيده أحياناً بالأثر ، وترك تأويل ما لا وجه له .
ويبدو الثعالبي شديد التمسك بمذهب أهل السنة والجماعة حيث ينص على مذهبهم في معظم الآيات التي يرى لعلماء الكلام فيها مقالا وهذا واضح من خلال النماذج التالية :

- في تفسير قوله تعالى : « إنما يتقبل الله من المتقين » (32) يقول : اجماع أهل السنة في معنى هذه الألفاظ أنها اتقاء الشرك ، فمن اتقاه وهو موحد فأعماله التي تصدق فيها نيته مقبولة ، وأما المتقي للشرك وللمعاصي فله الدرجة العليا من القبول والختم بالرحمة ، علم ذلك بإخبار الله تعالى ، لا أن ذلك يجب على الله تعالى عقلا » (33)

- في تفسير قوله تعالى : « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » (34) ينقل عن ابن عطية قوله : واختلف في الجنة التي أسكنها آدم عليه السلام هل هي جنة الخلد أو جنة أخرى . ثم يعقب الثعالبي بقوله : والأول هو مذهب أهل السنة والجماعة » (35)

- وفي تفسير قوله تعالى : « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون » (36)

يقول : وأما التوبة من المعاصي فلاهل السنة فيها قولان : هل تذهب المعاصي السالفة للعبد بينه وبين خالقه ، فقالت فرقة : هي مذهب لها ، وقالت فرقة هي في مشيئة الله تعالى ، واجمعوا أنها لا تذهب مظالم العباد » (37)

وتمسك الثعالبي بمذهب أهل السنة والجماعة حملة على الرد على باقي الفرق المنحرفة وبيان فساد معتقدتهم ، فرد على كثير من هذه الفرق في تفسيره لبعض الآيات التي يرى فيها الحجة الدامغة عليهم ونذكر من هذه الفرق :

1 - المانوية (38) : وقد رد عليهم الثعالبي في تفسير قوله تعالى : « الحمد لله الذي خلق

(32) المائدة : 29

(33) الجواهر الحسان . 1 : 544

(34) البقرة : 35

(35) الجواهر الحسان . 1 : 68

(36) الشورى : 23

(37) الجواهر الحسان . 4 : 144

(38) المانوية : أتباع ماني ، استخرج مذهبه من الجوسية والنصرانية ، وزعم أن العالم مركب من أصلين قديمين ، أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنهما أزيلان ، قتله كسرى وصلبه . أنظر فخر الدين الرازي . إعتقادات فرق المسلمين والمشركون . مكتبة الكليات الأزهرية . 1978 . ص : 138 .

السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » (39)
 قال الثعالبي و «الذين كفروا» في هذا الموضع كل من عبد شيئاً سوى الله ، إلا أن السابق
 من حال النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الإشارة إلى عبدة الأوثان من العرب لمجاورتهم له ،
 ولفظ الآية يشير إلى المانوية العابدين للنور ، القائلين أن الخير من فعل النور ، والشر من فعل
 الظلام » (40)

2 - الحلوية (41) : وقد رد الثعالبي على دعاة هذا المذهب في تفسير قوله تعالى : « وهو
 الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم » (42)
 حيث قال : وقاعدة الكلام في هذه الآية أن حلول الله في الأماكن مستحيل تعالى أن يحويه
 مكان . كما تقدس أن يحده زمان ، بل كان قبل أن يخلق الزمان والمكان ، وهو الآن على ما عليه
 كان ، وإذا تقرر هذا فقالت فرقة من العلماء تأويل ذلك على تقدير صفة محذوفة من اللفظ ثابتة في
 المعنى كأنه قال : وهو الله المعبود في السموات والأرض . قال الزجاج « في » متعلقة بما
 تضمنه إسم الله من المعاني كما يقال : أمير المؤمنين الخليفة في الشرق والغرب . (43)
 3 - المعتزلة (44) :

أ- الرؤية : أجمع المعتزلة على أن الله لا يراه المؤمنون بالأبصار في الدنيا ولا في الآخرة وقد
 حاول الزمخشري أن يلتمس لذلك دليلاً في قوله تعالى : « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم
 كتاباً من السماء . فقد سألكوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة
 بظلمهم » (45)

قال الزمخشري : « بظلمهم » بسبب سؤالهم الرؤية ، ولو طلبوا أمراً جائزاً لما سموا ظالمين ،

(39) الأنعام : 1

(40) الجواهر الحسان . 1 : 602

(41) هي فرقة قديمة تقول بوحدة الوجود وحلول الله في الحوادث والمخلوقات ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً . الشهر
 ستاني . الملل والنحل .

(42) الأنعام : 3

(43) الجواهر الحسان . 1 : 603

(44) أصحاب وأصل بن عطاء ، اعتزل مجلس الحسن البصري ، وأخذ يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ،
 ويثبت له المنزلة بين المنزلتين ، فقال الحسن اعتزلنا وأصل . الإيجي . المواقف في علم الكلام . عالم الكتب . بيروت . ص :

415 .

(45) النساء : 152

ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل ابرهيم عليه السلام أن يريه الله إحياء الموتى ولم يسمه ظالما ،
ولا رماه بالصاعقة ، فتبا للمشبهة ، ورميا بالصواعق (46)

– وقد رد الثعالبي على المعتزلة في مسألة الرؤية رد مسهبا في تفسير قوله تعالى : « لا تدركه
الأبصار وهو يدرك الأبصار » (47)

أجمع أهل السنة على أن الله عزوجل يرى يوم القيامة ، يراه المؤمنون ، والوجه أن يبين جواز
ذلك عقلا ، ثم يستند إلى ورود السمع بوقوع ذلك الجائر ، واختصار تبين ذلك أن يعتبر بعلمنا
بالله عزوجل ، فمن حيث جاز أن نعلمه لا في مكان ولا متحيزا ولا مقابلا ، ولم يتعلق علمنا بأكثر
من الوجود ، جاز أن نراه غير مقابل ، ولا محاذيا ، ولا مكيفا ولا محددا . وكان الإمام ابو عبد
الله النحوي يقول : مسألة العلم حلت لحى المعتزلة . ثم ورد الشرع بذلك كقوله عز وجل : «
وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » (48) وتعدية النظر بـ « إلى » إنما هو كلام العرب لمعنى
الرؤية ، لا لمعنى الانتظار على ما ذهب إليه المعتزلة ومنه قول النبي - صلى الله عليه وسلم -
فيما صح عنه وتواتر كثير نقله : « إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر »
ونحوه من الأحاديث الصحيحة على اختلاف ألفاظها ، واستمحل المعتزلة الرؤية بآراء مجردة ،
وتمسكوا بقوله تعالى : لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » وانفصل أهل السنة في تمسكهم
بأن الآية مخصوصة في الدنيا ، ورؤية الآخرة ثابتة بأخبارها ، وأيضا فإنا نفرق بين معنى
الإدراك ومعنى الرؤية ونقول : إنه عزوجل تراه الأبصار ولا تدركه ، وذلك أن الإدراك يتضمن
الإحاطة بالشيء والوصول إلى أعماقه ، وحوزه من جميع جهاته وذلك كله محال في أوصاف الله
عزوجل . والرؤية لا تقتصر إلى أن يحيط الرائي بالمرائي ، ويبلغ غايته ، وعلى هذا التؤول يترتب

(46) الزمخشري . الكشاف . دار المعرفة . بيروت . 1 : 577 . وقد رد عليه أحمد بن محمد بن المنير الاسكندري
المالكي في حاشيته على الكشاف فقال : وهذا من المواضع التي استولى عليه فيها الإعفال ولوح به اتباع هواه إلى مهواة
الضلال لأنه بنى على أن الظلم المضاف إليهم لم يكن إلا مجرد كونهم طلبوا الرؤيا ، وهي محال عقلا دنيا وآخرة على زعم
القدرية لما يلزم عندهم لو قيل بجوازهم من اعتقاد التشبيه ، فلذلك سمي أهل السنة المعتقدين لجوازها ووقوعها في الآخرة
وفاء بالوعد الحق مشبهة ... وغفل عن كون اليهود اقترحوا على موسى عليه السلام خصوصية علقوا إيمانهم بها . ولم
يعتبروا المعجز من حيث هو كما يجب اعتباره فقالوا : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، هذا الإقتراح والتعننت يكفيهم
ظلما ، ألم تر إلى الذين قالوا : لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا من السماء نقرأه ، كيف هم أظلم الظلمة وإن كانوا طلبوا
أمورا جائزة .

(47) الانعام : 104

(48) القيامة : 21 - 22

العكس في قوله : « وهو يدرك الأبصار » ويحسن معناه ، ونحو هذا روي عن ابن عباس وقتادة وعطية العوفي أنهم فرقوا بين الرؤية والإدراك (49)

ب - كلام الله تعالى : فسر الثعالبي الآيات الكريمة الواردة في كلام الله تعالى بما قرره الأشاعرة في مذهبهم ، ورد بذلك على المعتزلة الذين يقولون إن كلام الله تعالى فعله ، وإن لله تعالى كلاما فعله ، وإنه محال أن يكون الله سبحانه لم يزل متكلماً « (50) وفسر أبو الحسن الأشعري كلامهم هذا بقوله : « وحقيقة قول هؤلاء أنه لا كلام لله في الحقيقة ، وأن الله ليس بمتكلم في الحقيقة ولا متكلم » (51)

ففي تفسير قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . . » (52) ينقل الثعالبي عن ابن عدلية قوله في الآية : « وقول الله تعالى وخطابه للملائكة متقرر قديم في الأزل بشرط وجودهم وفهمهم ، وهذا هو الباب كله في أوامر الله تعالى ونواهيه .

ثم يقول الثعالبي : ما ذكره رحمه الله هو عقيدة أهل السنة ، وما أنا أنقل من كلام الأئمة إن شاء الله ما يتبين به كلامه ويزيده وضوحاً . قال ابن رشد : قوله : « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » لا يفهم منه أن لله عز وجل كلمات غير تامات ، لأن كلماته هي قوله ، وكلامه هو صفة من صفات ذاته ، يستحيل عليها النقص . وفي الحديث بيان واضح على أن كلماته عز وجل غير مخلوقة ، إذ لا يستعاد بمخلوق . وهذا هو مذهب أهل السنة .

(49) قال الطبري : اختلف أهل التويل في تأويل قوله « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » فقال بعضهم معناه لا تسيط به الأبصار وهو يحيط بها . ذكر من قال ذلك : حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار يقول : لا يحيط بغير أحد بالملك . وقال : حدثنا بشر قال حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو أعظم من أن تدركه الأبصار

وقال حدثنا يونس بن عبد الله بن عبد الحكم قال حدثنا خالد بن عبد الرحمن قال حدثنا أبو عرجة عن عطية العوفي في قوله وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة قال هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمتهم . ويضره يحيط بهم فذلك قوله لا تدركه الأبصار الآية وللطبري كلام طويل في الآية نذكر منه أن أهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم ولا تدركه أبصارهم بمعنى أنها لا تحيط به إن كان غير جائز أن يوصف الله بأن شيئاً يحيط به ، قالوا ونظير جواز وصفه بأنه يرى ولا يدرك جواز وصفه بأنه يعلم ولا يحاط به . الطبري . جامع البيان دار المعرفة . بيروت . ط4 . 1980 . 7 : 200 .

(50) مقامات الإسلاميين . 2 : 179 .

(51) نفس المصدر . 2 : 179 .

(52) البقرة : 34

والحق أن كلام الله عزوجل صفة من صفات ذاته ، قديم غير مخلوق لأن الكلام هو المعنى القائم في النفس ، والنطق به عبارة عنه قال تعالى : « ويقولون في أنفسهم » (53) فأخبر أن القول معنى يقوم في النفس . وتقول في نفسي كلام أريد أن أعلمك به ، فحقيقة كلام الرجل هو المفهوم من كلامه . وأما الذي تسمعه منه فهو عبارة عنه ، وكذلك كلام الله عزوجل الذي هو صفة من صفات ذاته ، هو المفهوم من قراءة القاريء ، لا ننسى قراءته التي تسمعها ، لأن نفس قراءته التي تسمعها محدثه لم تكن حتى قرأ بها فكانت ، وهذا كله بين إلا لمن أعمى الله بصيرته » (54)

نقل الثعالبي هذا الكلام من كتاب البيان والتحصيل لابن رشد وارتضاه . وهو كلام ينطبق معنى ومبني مع ما يقرره أبو الحسن الأشعري في الرد على المعتزلة حيث يقول : « كلام الله يطلق إطلاقين كما هو الشأن في الإنسان فالإنسان يسمى متكلماً باعتبارين : أحدهما الصوت ، والآخر بكلمات النفس الذي ليس بصوت ولا حرف ، وهو المعنى القائم بالنفس الذي يعبر عنه بالألفاظ . فإذا انتقلنا من الإنسان إلى الله رأينا أن كلام الله تعالى ورد بهذين الإطلاقين : المعنى النفسي وهو القائم بذاته ، وهو الأزلي القديم ، وهو لا يتغير بتغير العبارات ولا يختلف باختلاف الدلالات ، وهذا هو الذي نريده إذا وصفنا كلام الله بالقدم ، وهو الذي يطلق عليه كلام الله حقيقة . أما القرآن بمعنى المقروء المكتوب فهو بلا شك كما يقول المعتزلة حادث مخلوق فإن كل كلمة تقرأ تنقضي بالنطق بما بعدها ، فكل كلمة حادثة ، فكذا المجموع المركب منها ، ويطلق على هذا المقروء المكتوب كلام الله مجازاً » (55)

وللثعالبي في موضع آخر من تفسيره - في كلامه على قوله تعالى : « وكلم الله موسى تكليماً » (56) - يقول كلاماً مطابقاً لما قاله أبو الحسن الأشعري في تعيين كلام الله القديم . قال الثعالبي : « وكلم الله سبحانه موسى بكلام نون تكييف ولا تحديد ، ولا حرف ولا صوت ، والذي عليه الراسخون في العلم أن الكلام هو المعنى القائم في النفس ، ويخلق الله لموسى إدراكاً من جهة السمع يتحصل به الكلام ، وكما أن الله موجود لا كالموجودات معلوم لا كالمعلومات ،

(53) المجادلة : 8

(54) الجواهر الحسان . 1 : 64

(55) أحمد أمين ، ضحى لإسلام . 3 : 41

(56) النساء : 163

فكذلك كلامه لا كالكلام « (57) »

ج - علم الله تعالى : علمنا أن المعتزلة يرون أن الصفات هي الله تعالى ، ففي صفة العلم يقول شيخ المعتزلة « أبو الهذيل العلاف » (58) إن علم البارئ سبحانه هو هو ، وكذلك قدرته وسمعته وبصره وحكمته ، وكذلك كان قوله في سائر صفات ذاته ، وكان يزعم أنه إذا زُعم أن البارئ عالم فقد أثبت علماً هو الله « (59) »

فيرد الثعالبي على المعتزلة في تفسير قوله تعالى : لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون « (60) » فيقول : وقوله تعالى : « أنزله بعلمه » هذه الآية من أقوى متعلقات أهل السنة في إثبات علم الله عز وجل خلافاً للمعتزلة في أنهم يقولون عالم بلا علم . والمعنى عند أهل السنة أنزله وهو يعلم إنزاله ونزوله « (61) »

د - الهداية والإضلال : تندرج هذه المسألة تحت إحدى الأصول الخمسة للمعتزلة وهي العدل : حيث يرون أن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد لا خيراً ولا شراً ، وأن إرادة الإنسان حرة ، والإنسان خالق أفعاله ومن أجل هذا كان مثاباً على الخير معاقباً على الشر « (62) » وفسروا معنى الإضلال من الله بأنه يحتمل أن يكون التسمية لهم والحكم بأنهم ضالون ، ويحتمل أن يكون لما ضلوا عن أمره سبحانه أخبر أنه أضلهم ، أي أنهم ضلوا عن دينه ، ويحتمل أن يكون الإضلال هو ترك إحداث اللطف والتسديد والتأييد الذي يفعله الله بالمؤمنين ، فيكون ترك ذلك إضلالاً . « (63) »

وهنا يكر الثعالبي على مذهب المعتزلة مبيناً بطلانه ومخالفته لمذهب جميع أهل السنة ليقرر بعد ذلك وجوب اعتقاد ضعفه والحذر منه .

(57) الجواهر الحسان . 1 : 516 .

(58) هو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول المعروف بالعلاف ، متكلم ، من شيوخ البصريين في الاعتزال . ت :

235 هـ . تاريخ بغداد . 3 : 366 .

(59) مقالات الإسلاميين . 2 : 157 .

(60) النساء : 166 .

(61) الجواهر الحسان . 1 : 516 .

(62) قال أبو الحسن الأشعري : إن الله أجرى سنته بأن يخلق عقب القدرة الحادثة أو تحتها أو معها الفعل الحاصل إذا أرادته وتجرد له ، فيكون الفعل خلقاً وإبداعاً وإحداثاً من الله ، وكسباً من العبد حصولاً تحت قدرته . الجويني . الشامل في أصول الدين . دار المعارف . الاسكندرية 1969 . ص : 99 .

(63) مقالات الإسلاميين . 1 : 299 .

- ففي تفسير قوله تعالى : فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام « (64) يقول : والآية نص في أن الله تعالى يريد هدي المؤمن وضلال الكافر ، وهذا عند جميع أهل السنة بالإرادة القديمة التي هي صفة ذاته تبارك وتعالى ، والهدى هنا هو خلق الإيمان في القلب ، وشرح الصدر هو تسهيل الإيمان وتحبيبه ، وإعداد القلب لقبوله وتحصيله .
وفي « يشرح » ضمير إسم الله عزوجل يعضده اللفظ والمعنى ، ولا يحتمل غيره ، والقول بأنه عائد على المهدي قول يترتب عليه مذهب القدرية (65) في خلق الأعمال ويجب أن يعتقد ضعفه والحذر منه « (66)

- رده على المعتزلة والخوارج (67) والمرجئة (68) في أهل المعاصي
لم يقتصر الثعالبي في تفسيره على الرد على المعتزلة فقط بل رد على الخوارج والمرجئة مبطلا مذهبهم ، ومنتصرا لمذهب أهل السنة في غير تعصب بل يحتكم إلى النص القرآني ومدلوله .
ففي تفسير قوله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (69) يقول : هذه الآية هي الحاكمة ببيان ما تعارض في آيات الوعد والوعيد وتلخيص الكلام فيها أن يقال : الناس أربعة أصناف :

- كافر مات على كفره فهو مخلد في النار بإجماع .
- ومؤمن محسن لم يذنب قط ومات على ذلك فهذا في الجنة محتوم عليه حسب الخبر عن الله تعالى بإجماع .
- وتائب مات على توبته فهو عند أهل السنة وجمهور فقهاء الأمة لاحق بالمؤمن المحسن ، إلا أن قانون المتكلمين أنه في المشيئة
- ومذنب مات قبل توبته ، فهذا هو موضع الخلاف .

(64) الأنعام : 125

(65) القدرية هم المعتزلة ، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم فعل العباد إلى قدرتهم . المواقف : 415 .

(66) الجواهر الحسان . 1 : 666

(67) أطلق هذا الإسم عن الخارجين عن علي رضي الله في معركة صفين ، ثم أصبح هذا الإسم يطلق على كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم .
الشهرستاني الملل والنحل . دار المعرفة . بيروت . 1983 . 1 : 155 .

(68) وهم خمسة فرق ، سموا بالمرجئة لأنهم كانوا يقولون بتأخير العمل عن النية ، وكانوا يقولون لا يضر مع الإيمان

معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : 107

(69) النساء : 48 .

فقال المرجئة : هو في الجنة بإيمانه ولا تضره سيئاته وجعلوا آيات الوعيد كلها في الكفار ، وآيات الوعد عامة في المؤمنين تقيهم وعاصيهم .

وقالت المعتزلة : إذا كان صاحب كبيرة فهو في النار ، ولا بد .

وقالت الخوارج : إذا كان صاحب كبيرة أو صغيرة فهو في النار مخلص ، ولا إيمان له . لأنهم يرون كل الذنوب كبائر ، وجعلوا آيات الوعد كلها في المؤمن الذي لم يعص قط ، والمؤمن التائب . وقال أهل السنة : هو في المشيئة .

وهذه الآية هي الحاكمة ، وهي النص في موضع النزاع ، وذلك أن قوله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به » فصل مجمع عليه ، وقوله : « ويغفر ما دون ذلك » فصل قاطع للمعتزلة ، راد على قولهم ، ردا لا محيد لهم عنه ، ولو وقفنا في هذا الموضع من الكلام لصح قول المرجئة فجاء قوله « لمن يشاء » ردا عليهم ، مبينا أن غفران ما دون الشرك إنما هو لقوم دون قوم ، بخلاف ما زعموه من أنه مغفور لكل مؤمن . (70)

والذي يمكن أن نستنتج من كل هذا أن الثعالبي سني العقيدة يميل إلى القول بالتأويل للآيات الموهمة للتشبيه . كما أنه مطلع على الآراء الكلامية للفرق الإسلامية عارف بمواطن اتفاقها واختلافها ، يعرضها في دقة وأمانة ثم يكر على الفاسد منها فيبطلها مبينا وجه الخطأ فيه ، دون تعصب ، ليقرر في الأخير صحة مذهب أهل السنة .

الفصل السادس

أثر المتقدمين من المفسرين
في الثعالبي

يعتبر الكثيرون الجواهر الحسان مختصراً لتفسير «المحرر الوجيز»، وغاية ما للثعالبي فيه إنما هو الجمع والتنسيق والاختصار ، إلا أن الباحث يدرك أن هذا الحكم مبالغ فيه ولنا على ذلك دليلان :

الأول : أن الثعالبي لم يقتصر على تفسير ابن عطية فقط ، بل استعان بمجموعة أخرى من كتب التفسير منها :

- مختصر تفسير الطبري لمحمد بن عبد الله اللخمي (١)

- مختصر أبي حيان التوحيدي

- أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي .

- مفاتيح الغيب للفخر الرازي .

إلى جانب مجموعة كبيرة من أمهات الكتب المختلفة في علوم القرآن والأصول والفقه والسير والتاريخ والتصوف والحديث واللغة .

قال الثعالبي « فإن جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر ما أرجو أن يقر الله به عيني وعينك في الدارين . فقد ضمنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية ، وزدته فوائد جمة من غيره من كتب الأئمة ، وتقات أعلام هذه الأمة ، حسبما رأيت أو رويته عن الأثبات ، وذلك قريب من مائة تأليف ، ومامنها تأليف إلا وهو منسوب لإمام مشهور بالدين ، ومعدود في المحققين ، وكل من نقلت عنه من المفسرين فمن تأليفه نقلت ، وعلى لفظ صاحبه عولت ، ولم أنقل شيئاً من ذلك بالمعنى خوف الوقوع في الزلل ، وإنما هي عبارات وألفاظ لمن أعزوها إليه » (٢)

فقله « ضمنته المهم بما اشتمل عليه تفسير ابن عطية » يوحى بأن الثعالبي كان ينقل عن وعي وعلم « وقوله « زدته فوائد جمة من كتب الأئمة » يوحى بمقدار ما نقله عن غير ابن عطية . فقد كان بين يدي الثعالبي مجموعة من التفاسير وغيرها من الكتب التي تخدم المفسر ، يتخير منها ما يرتضيه ويراه أقرب إلى الصواب ، ولذلك قال في آخر تفسير سورة الأعراف « كمل ما انتخبناه في تفسير السورة والحمد لله على ما به أنعم » (٣)

والدليل الثاني : كثرة تعقيبه على أقوال المفسرين ، ومناقشته لهم ، وكشف بعض زلاتهم ،

(١) أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن أحمد اللخمي النحوي ، محدث ، فقيه ، مفسر ، ت : 433 هـ . معجم المؤلفين .

237 : 8

(٢) الجواهر الحسان . 1 : 8

(٣) الجواهر الحسان . 2 : 105 .

ورده أحيانا لشيء من أقوالهم .

وإذا كان تفسير ابن عطية هو مرجعه الأول فقد تعقبه في كثير من المواضع ، ولم يحل إعجابه به دون الرد عليه ونستطيع أن نحصر مناحي الرد عليه في النماذج التالية :

1 - إشارته لتناقض ابن عطية في كثير من المواضع ، مثال ذلك في تفسير قوله تعالى : « وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا . . » (4)

ينقل الثعالبي عن ابن عطية قوله «أي أخبر بشيء من آياتنا فعلم نفس الخبر لا المعنى الذي تضمنه الخبر ، ولو علم المعاني التي تضمنها إخبار الشرع وعرف حقائقها لكان مؤمنا » (5) فعقب عليه بقوله : « وفي هذا نظر . لأنه ينحو إلى القول بأن الكفر لا يتصور عنادا محضا ، وقد تقدم اختياره رحمه الله لذلك في غير هذا المحل فقف عليه (6) ، وخشية الاطالة منعتني من التكرار ، هنا » (7)

والمثال الثاني في قوله تعالى : « عليهم دائرة السوء » (8) قال ابن عطية وكل ما كان بلفظ الدعاء من جهة الله عزوجل فإنما هو بمعنى إيجاب الشيء لأن الله لا يدعو على مخلوقاته وهي في قبضته ، ومن هذا قوله تعالى : « ويل لكل همزة لمزة » (9) و « ويل للمطففين » (10)

فعقب الثعالبي عليه بقوله : هذه قاعدة جيدة ، وما وقع له رحمه الله مما ظاهره مخالف لهذه القاعدة وجب تأويله بما ذكره هنا ، وقد وقع له ذلك بعد هذا في قوله تعالى : « صرف الله قلوبهم » (11) قال يحتمل أن يكون دعاء عليهم ويحتمل أن يكون خيرا » (12)

2 - ومنها رده عليه فيما خالف فيه سياق النص والتفسير المأثور، ففي تفسير قوله تعالى : « لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون » (13)

(4) الجاثية : 8

(5) الجواهر الحسان . 4 : 248 أنظر المحرر الوجيز . 14 : 307

(6) أي في قوله تعالى : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا » . النمل : 14 . أنظر الجواهر الحسان . 3 : 248 .

(7) الجواهر الحسان . 4 : 194

(8) التوبة : 99

(9) الهمزة : 1

(10) المطففين : 1

(11) التوبة : 128

(12) الجواهر الحسان . 2 : 199 أنظر المحرر الوجيز . 8 : 257

(13) الحجر : 72

يذكر ابن عطية إجماع المفسرين على أن القسم في هذه الآية بحياة محمد - صلى الله عليه وسلم - ثم يخالف ذلك إلى القول بأن القسم بحياة لوط عليه السلام (14)

فيرد عليه الثعالبي بقوله : وما ذكره جمهور المفسرين أحسن لأن الخطاب خطاب مواجهة ، ولأنه تفسير صحابي (15) ، وهو مقدم على غيره « (16)

- وفي تفسير قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة » (17) قال ابن عطية : والوسيلة : القرية ، وأما الوسيلة المطلوبة لنبيينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فهي من هذا لأن الدعاء له بالوسيلة والفضيلة إنما هو أن يؤتاها في الدنيا ويتصف بهما ، ويكون ثمرة ذلك في الآخرة التشفيح في المقام المحمود « (18)

قال الثعالبي : وفي كلامه هذا ما لا يخفى ، وقد فسر النبي - صلى الله عليه وسلم - الوسيلة التي كان يرجوها من ربه ، وأنها درجة في الجنة (19) لا ينبغي أن تكون إلا لعباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو « (20)

3 - ومنها موقفه معه في المباحث اللغوية من الموافقة والمخالفة فهو يؤيد تارة ويسند أقواله ، ويعارضه أخرى ويرد أقواله .

ففي تفسير قوله تعالى : « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا » (21) قال ابن عطية عبر عن هذه الحواس بأولئك لأن لها إدراكا ، وجعلها في هذه الآية مسئولة « (22) فرد عليه الثعالبي بقوله : قال الصفاقصي : وما توهمه ابن عطية من أولئك تختص بمن يعقل

(14) الجواهر الحسان . 2 : 480 أنظر المحرر الوجيز . 10 : 143

(15) هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

(16) الجواهر الحسان . 2 : 480

(17) المائدة : 430

(18) الجواهر الحسان . 1 : 549 أنظر المحرر الوجيز . 5 : 94

(19) ليس هناك تناقض بين كلام ابن عطية وبين كلام الثعالبي ، وإنما هو خلاف لفظي ، لأن القرية التي فسر بها ابن

عطية الوسيلة هي الدرجة وكلاهما يصح إطلاقهما على المنزلة الرفيعة التي يؤتاها الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الآخرة بما قدمه في الدنيا من اجتهاد في التقرب والتعب لله تعالى .

(20) الجواهر الحسان . 1 : 549 والحديث رواه البخاري . كتاب أبواب الأذان . باب الدعاء عند النداء . فتح الباري .

75 : 2

(21) الإسراء : 36

(22) الجواهر الحسان . 2 : 573 أنظر المحرر الوجيز . 10 : 294

ليس كذلك ، إذا لا خلاف بين النحاة في جواز إطلاق أولاء وأولئك على من لا يعقل » (23) وفي قوله تعالى : « وهي خاوية على عروشها » (24) قال الثعالبي : فسر ابن عطية رحمه الله لفظ " خاوية " في سورة الحج (25) والنمل (26) بخالية والأحسن أن تفسر هنا وفي الحج بساقطة ، وأما التي في النمل فيتجه أن تفسر بخالية وبساقطة . قال الزبيدي في مختصر العين : خوت الدار : باد أهلها ، وخوت تهدمت . انتهى . وقال الجوهري في كتابه المسمى تاج اللغة وصحاح العربية (27) خوت النجوم خيا إمحت وذلك إذا اسقطت ولم تمطر في نوبها ، وأخوت مثله ، وخوت الدار خواء ممدودا أقوت ، وكذلك إذا سقطت ، ومنه قوله تعالى : « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا أي خالية ، ويقال خاوية أي ساقطة ، كما قال تعالى : « وهي خاوية على عروشها » أي ساقطة على سقوطها » انتهى ، وهو تفسير بارع وبه أقول » (28) - وفي تفسير قوله تعالى : « ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا » (29) قال ابن عطية : قال بعض المفسرين حيثما ذكر الله الخير في القرآن فهو المال ، ثم قال : وفي هذا الكلام تحامل ، والذي يشبه أن يقال : أنه حيثما ذكر الخير فإن المال يدخل فيه » (30) غير أن الثعالبي لم يسلم بهذا التعميم أيضا لابن عطية ، ولا لمن سبقه من المفسرين لأنه يخالف ما جاءت به النصوص . قال : والصواب أن الخير أعم من ذلك كله ، وانظر إلى قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » (31) فإنه المال وغيره ، ونحوه : « وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » (32) وقوله تعالى : « إن علمتم فيهم خيرا » (33) فهذا هنا لا مدخل للمال إلا

(23) قال بذلك ابن هشام واستشهد بقول الشاعر :

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام .

أنظر ابن هشام أوضح المسالك . 1 : 134

(24) البقرة : 258

(25) الحج : 43

(26) النمل : 55

(27) الجوهري . تاج اللغة . 6 : 2333

(28) الجواهر الحسان . 1 : 248

(29) هود : 31

(30) الجواهر الحسان . 2 : 275 أنظر المحرر الوجيز . 9 : 137

(31) الزلزلة : 8

(32) الحج : 75

(33) النود : 33

على تجوز وقد يكون الخير المراد به المال فقط ، وذلك بحسب القرائن ، كقوله تعالى (34) : « إن ترك خيرا » (35)

4 - ومنها رده عليه في الكلام عن مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم ففي تفسير قوله تعالى : « أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله » (36)

قال ابن عطية : والتحدي في هذه الآية عند الجمهور وقع بجهتي الاعجاز اللتين في القرآن : إحداهما النظم والرصف والإيجاز والجزالة والأخرى المعاني من الغيب لما مضى وما يستقبل ، وحين تحداهم بعشر آيات مفتريات إنما تحداهم بالنظم وحده . ثم قال ابن عطية : هذا قول جماعة المتكلمين ، ثم اختار أن الاعجاز في الآيتين إنما وقع في النظم لا في الإخبار بالغيوب (37)

فرد عليه الثعالبي بقوله : والصواب هنا ما تقدم للجمهور ، وإليه رجع في سورة هود (38) ، وأوجه إعجاز القرآن أكثر من هذا ، وانظر الشفاء (39)

5 - ومنها رده عليه في ادعاء التخصيص بكون وجود قرينة تدل على ذلك ، ففي تفسير قوله تعالى : « ولقد بوأنا بني إسرائيل مبعوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم . . . » (40) الآية . قال ابن عطية وقوله تعالى : « فما اختلفوا ، أي في نبوة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وهذا التخصيص هو الذي وقع في كتب الأولين كلهم ، وهو تأويل يحتاج إلى سند ، والتأويل الثاني الذي يحتمله اللفظ أن بني إسرائيل لم يكن لهم اختلاف على موسى في أول حاله ، فلما جاءهم العلم والأوامر وغرق فرعون اختلفوا فالآية دامة لهم » (41) فعقب عليه الثعالبي بقوله : « فرحمه الله من التخصيص فوقه فيه ، فلو عمم اختلافهم على

(34) البقرة : 179

(35) الجواهر الحسان . 2 : 275

(36) يونس : 38

(37) الجواهر الحسان . 2 : 239 أنظر المحرد الوجيز . 9 : 91

(38) أي في قوله تعالى : « قل فاتوا بعشر سور مثل مفتريات » . هود : 13

(39) ذكر القاضي عياض في الشفا سبعة أوجه لإعجاز القرآن الكريم في سبعة فصول . أنظر الشفا 1 : 158 - 280

(40) يونس : 93

(41) الجواهر الحسان . 2 : 257

انبيائهم موسى وغيره وعلى نبينا لكان أحسن ، وما ذهب إليه المتأولون من التخصيص أحسن لقريظة قوله تعالى : « فإن كنت في شك » (42) فالربط بين الآيتين واضح والله أعلم » (43)

6 - ومنها رده عليه في دعوى إجماع المتأولين تارة ، وإجماع الفقهاء تارة أخرى ، مثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : « إنما حرم عليكم الميتة والدم . . » الآية (44) . قال ابن عطية: والدم يراد به المسلوخ لأن ما خالط اللحم فغير محرم بإجماع (45)

فرد عليه الثعالبي بقوله : بل فيه خلاف شاذ ذكره ابن الحاجب وغيره ، والمشهور أظهر ، لقول عائشة رضي الله عنها : لو حرم غير المسفوح لاتبعت الناس ما في العروق ، ولقد كنا نطبع اللحم والبرمة تعلوها الصفرة » (46)

- وفي تفسير قوله تعالى : « فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك . . » (47) قال ابن عطية : المراد بـ « ما أنزلنا إليك » ما ذكره سبحانه من قصصهم ، وذكر صفته عليه السلام ، وذكر أنبيائهم كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف وهذا قول أهل التأويل قاطبة .

فرد عليه الثعالبي بقوله (48) : وأما قوله : هذا أهل التأويل قاطبة فليس كذلك ، وقد تكلم صاحب الشفا على الآية فأحسن ، ولفظه : واختلف في معنى الآية ، فقليل المراد : قل يا محمد للشاك إن كنت في شك ، الآية ، قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل ، وهو قوله تعالى : « قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني » ، ثم قال عياض : وقيل إن هذا الشك الذي أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بسؤال الذين يقرأون الكتاب عنه إنما هو في ما قصه الله تعالى من أخبار الأمم لا فيما دعا إليه من التوحيد والشريعة (49)

7 - كما تتبع الثعالبي معظم الأحاديث التي أوردها ابن عطية في تفسيره للإحتجاج في

(42) يونس : 94

(43) الجواهر الحسان . 2 : 258

(44) البقرة : 172

(45) الجواهر الحسان . 1 : 160 أنظر المحرر الوجيز . 2 : 49

(46) الجواهر الحسان . 1 : 160 وحديث عائشة أخرجه الطبري 8 : 53

(47) يونس : 94

(48) الجواهر الحسان . 2 : 258

(49) الشفا . 2 : 91

تقرير بعض الأحكام المجملة في القرآن فاهتم بتخريجها ، وأمثلة ذلك كثيرة نذكر منها :
 - في تفسير قوله تعالى : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (50) يسوق ابن عطية حديثاً بون أن يعزوه إلى أصله فيقول : وروى عن عمر بن الخطاب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : إن من عباد الله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم من الله ، قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام ولا أموال ، ثم قرأ : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (51)
 قال الثعالبي : وقد خرج هذا الحديث أبو داود (52) والنسائي ، قال أبو داود في هذا الحديث : « فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور »

- وفي تفسير قوله تعالى : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (53) » الآية ينقل ابن عطية عن البراء بن عازب يرفعه أن التثبيت في الحياة الدنيا إنما هو سؤال المؤمن في قبره ، وقد اقتصر ابن عطية على رواية حديث البراء بن عازب بالمعنى بون تخريجه « (54) فقال الثعالبي : ولفظ البخاري : عن البراء بن عازب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فذلك قوله ، ثم قال الثعالبي وحديث البراء خرج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه « (55) وفي الكلام عن فضل سورة البقرة قال ابن عطية : وروى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول ، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى ، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة من تحت العرش » (56)
 قال الثعالبي : وها أنا إن شاء الله انكر أصل الحديث بكماله لما اشتمل عليه من الفوائد العظيمة . خرج الحاكم أبو عبد الله في المستدرک على الصحيحين عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اعملوا بالقرآن ، أحلوا حلاله وحرموا

(50) يونس : 62

(51) الجواهر الحسان . 2 : 246

(52) رواه أبو داود في باب الرهن . 3 : 288 رقم : 3527

(53) إبراهيم : 29

(54) الجواهر الحسان . 2 : 382

(55) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة إبراهيم . أنظر فتح الباري . 8 : 305

(56) الجواهر الحسان . 1 : 43

حرامه واقتدوا به ، ولا تكفروا بشيء منه ، وما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله ، وإلى أولي العلم من بعدي ، كيما يخبرونكم ، وأمنوا بالتوراة والانجيل والزبور ، وما أوتي النبيون من ربهم ، وليسعكم القرآن وما فيه من البيان ، فإنه شافع مشفع ، وما حل (57) مصدق ، وإني أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول ، وأعطيت طه والطواسين والحواميم من ألواح موسى ، وأعطيت فاتحة الكتاب من تحت العرش « (58)

8 - وقد تناول ابن عطية بعض الآيات تأويلا يمس في ظاهره عصمة الأنبياء ، ومنهم نبينا - صلى الله عليه وسلم - فاعترض الثعالبي على تلك التأويلات ، وحاول أن يقدم التأويل الحسن الذي يجب أن تحمل عليه مثل تلك الآيات ، وقد استعان على ذلك بالشفاء للقاضي عياض ، مثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا » (59) قال ابن عطية : والنبي - صلى الله عليه وسلم - لم يركن لكنه كاد بحسب همه بموافقتهم ، طمعا منه في استئلافهم . وذهب ابن الأنباري (60) إلى معنى الآية : لقد كادوا أن يخبروا عنك أنك ركنت ، ونحو هذا ذهب في ذلك إلى نفي الهم عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فحمل اللفظ ما لا يحتمل وقوله « شيئا قليلا » ببطل ذلك «

فقال الثعالبي : « وجزى الله ابن الأنباري خيرا ، وإن تنزیه سائر الأنبياء لواجب فكيف بسيد ولد آدم - صلى الله عليه وعليهم أجمعين - قال الفضيل بن عياض في الشفا (61) : « وقوله : ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا . قال بعض المتكلمين : عاتب الله نبينا عليه السلام قبل وقوع ما يوجب العقاب ليكون بذلك أشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة ، وهذه غاية العناية ، ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ماعاتبه عليه ، وخيف أن يركن إليهم وفي أثناء عتبه براعته ، وفي طي تخويفه تأمينه » (62)

(57) قال الجوهري : يقال محل به إذا سعى به إلى السلطان وهنا معناه يخاصم مخالفه أمام الله تعالى . تاج اللغة 5 :

1817

(58) الجواهر الحسان . 1 : 43

(59) الإسراء : 74 أنظر المحرر الوجيز . 10 : 329

(60) هو محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم الشيباني ، المعروف بابن الأنباري ، من الكتاب والوزراء ت : 558 هـ . معجم

المؤلفين . 10 : 186

(61) الشفا . 1 : 30

(62) الجواهر الحسان . 2 : 489

وقال ابن عطية : « وهذا الهم من النبي - صلى الله عليه وسلم - إنما كان خطرة مما لا يمكن دفعه ، ولذلك قيل «كدت» وهي تعطي أنه لم يكن ركون ، ثم قيل : « شيئاً قليلاً » إذ كانت المقاربة التي تضمنتها «كدت» قليلة خطرة لم تتأكد في النفس ، وقوله « إذا لأذقناك » يبطل أيضاً ما ذهب إليه ابن الأنباري « (63) »

ولكن الثعالبي تمسك برأي ابن الأنباري فقال : « وما ذكره ابن عطية رحمه الله تعالى من البطلان لا يصح ، وما قدمناه عن عياض حسن فتأمله » (64)

وكما تتبع الثعالبي ابن عطية تتبع غيره من المفسرين بالنقذ والمناقشة فيما ينقله عنهم ، إلا أن ما وافقهم فيه كان أكثر ويتضح هذا من الأمثلة الآتية :

أ - منها نقله عن الطبري في كثير من المواضع بواسطة أبي عبد الله اللخمي

ومن الأمثلة على ما وافقه فيه ما جاء في تفسير قوله تعالى : وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون « (65) »

قال الثعالبي : ذكر الطبري وغيره أن أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - كانوا بمكة يتكلمون في المكتوبة بحوائجهم ، فنزلت الآية أمراً لهم بالاستماع والانصات في الصلاة (66) نقل الثعالبي هذا الرأي وقدمه على غيره مدلاً عليه بقوله : وأما من قال إنها في الخطبة فضعيف لأن الآية مكية والخطبة لم تكن إلا بعد الهجرة ، وألفاظ الآية على الجملة تتضمن تعظيم القرآن وتوقيره ، وذلك واجب في كل حالة « (67) »

ولكنه يرد عليه في تفسير قوله تعالى : « قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا » (68) »

قال الثعالبي : من هنا ، ومن فعل إخوة يوسف بيوسف يظهر أنهم لم يكونوا أنبياء في ذلك الوقت ، وما وقع في كتاب الطبري لأبي زيد (69) أنهم كانوا أنبياء يرده القطع بعصمة الأنبياء

(63) الجواهر الحسان . 2 : 489

(64) الجواهر الحسان . 2 : 489

(65) الأعراف : 204

(66) الجواهر الحسان . 2 : 103 أنظر جامع البيان . جزء 9 : 112

(67) الجواهر الحسان . 2 : 103

(68) يوسف : 4

(69) هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، أبو زيد ، لغوي ، أديب ، نحوي ، من أهل البصرة ت : 215 هـ . تاريخ

بغداد 9 : 77

من الحسد وتعريض مؤمن للهلاك والتأمر على قتله « (70)

2 - ونقل الثعالبي عن الفخر الرازي الفقرات الطويلة إعجابا به ، منها ما جاء في تفسير قوله تعالى : « واذكر ربك في نفسك . . » (71) الآية قال : وقال : الفخر : المراد بقوله تعالى : « واذكر ربك في نفسك . . » كونه عارفا بالأذكار التي يقولها بلسانه ، مستحضرا لصفات الجلال والعظمة ، وذلك أن الذكر باللسان إذا كان عاريا عن الذكر بالقلب كان عديم الفائدة ، ألا ترى أن الفقهاء أجمعوا على أن الرجل إذا قال بعث واشترت مع أنه يعرف معاني هذه الألفاظ ولا يفهم منه شيئا فإنه لا يتعقد البيع والشراء فكذلك هنا « (72)

ولكن الثعالبي رد على الفخر في مواطن أخرى منها ما جاء في تفسير قوله تعالى : « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك » (73) الآية . حيث أورد الثعالبي تأويل ابن عطية وهو حذف مضاف تقديره أمر ربك ، لأن الإتيان المفهوم من اللغة مستحيل على الله تعالى ، مستدلا بقوله تعالى : « فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا . . » (74) . فهذا الإتيان قد وقع وهو على المجاز وحذف المضاف .

وقد ارتضى الثعالبي هذا التأويل ، ورد كلام الفخر في الآية فقال : قال الفخر : والجواب المعتمد عليه هنا أن هذا حكاية مذهب الكفار واعتقادهم فلا يفتقر إلى تأويله . قلت : وما ذكره الفخر من أن هذا حكاية مذهب الكفار هي دعوى تفتقر إلى دليل (75)

3 - كما اتخذ الثعالبي تفسير البحر المحيط لأبي حيان مرجعه الأساسي لتفسيره في القضايا اللغوية ، وقد أخذ عنه بواسطة الصفاقسي ولكنه لم يسلم له بصحة كل ما نقل عنه فكان يعقب عليه أحيانا ويرد قوله مستعينا على ذلك بما له من معارف لغوية ونحوية .

مثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : « وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » (76) فينقل قول أبي حيان : قدر ابن عطية قبل هذه الجملة محذوفا أي فعصوا وما ظلمونا ، وقدر غيره

(70) الجواهر الحسان . 2 : 306 أنظر جامع البيان . جزء 13 : 95

(71) الأعراف : 205

(72) الجواهر الحسان . 2 : 103

(73) الأنعام : 157

(74) الحشر : 2

(75) الجواهر الحسان . 1 : 682

(76) البقرة : 56

فظلموا وما ظلمونا ، ولا حجة إلى ذلك ، لأن ما تقدمك عنهم في القبائح يكفي « (77)
 فتعقبه الثعالبي بقوله : (78) وقول أبي حيان لا حاجة إلى هذا التقدير إلى آخره ، يرد بأن
 المحذوفات في الكلام الفصيح هذا شأنها ، لا بد من دليل يدل عليها إلا أنه يختلف ذلك في
 الوضوح والخفاء ، فأما حذف ما لا دليل عليه فإنه لا يجوز « (79)
 وبهذا يتبين أن الثعالبي كان واعيا لما ينقل ممحضا له ، مبينا ما فيه وما عليه ، قوى
 الشخصية واضح الحجة بصيرا .

الإمام عبد القادر للعطوم الإسلامية

(77) الجواهر الحسان . 1 : 88

(78) الجواهر الحسان . 1 : 88

(79) أنظر ابن هشام . أوضح المسالك . 3 : 167

جامعة الأمير

الفصل السابع

مصادر الثعالبي في التفسير

مركز الدراسات والبحوث الإسلامية
العلوم الإسلامية

يعتبر تفسير الجواهر الحسان للثعالبي من أغزر التفاسير مادة وأكثرها تنوعا ، وهذا راجع الى سعة المراجع التي استعان بها فلايكاد يمر بتفسير آية إلا وينقل فيها شيئا من آثار السابقين ، فنقل عن كتب التفسير بمختلف مدارسها ، وكتب السنة بمختلف درجاتها ، كما نقل عن كتب السير والتوحيد والفقه والتصوف والأخلاق ، والتاريخ واللغة وغيرها من الفنون .

ولو ذهبنا نستقصي ما نقل الثعالبي عن السابقين في تفسيره لأكثرنا في ذلك وخرجنا عن المقصود ، فحسبنا أن نمثل لذلك بنماذج قليلة لكل مصدر أفاد منه ، وأن نبين في النهاية مدى توفيق الثعالبي في الأخذ عن هذه المصادر .

مصادره في التفسير :

ونجد في مقدمة هذه المصادر التي رجع اليها الثعالبي تفاسير القرآن الكريم ، التي انتشرت بين علماء الأمة وتلقوها بالقبول ، وإذ أردنا أن نرتب هذه التفاسير بنسبة ما أفاد منها الثعالبي فإنها تكون كالتالي :

1- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :

وقد اعتمده الثعالبي كمصدر أولي لتأليف تفسيره الجواهر الحسان بل كان يصرح أحيانا - تواضعا منه واعترافا بالفضل - بأن تفسيره هذا ما هو إلا مختصر لابن عطية ، وهذا كلام صحيح لولا أن المادة العلمية التي نقلها عن غيره لاتقل أهمية عما نقلها عنه . ولعل ما قدمناه في الفصل السابق كاف للتدليل على ما نقول .

وكان ميل الثعالبي لتفسير ابن عطية له أكثر من مبرر ، فابن عطية سني العقيدة (1) مالكي في مذهبه الفقهي ، قليل الإستطراد ، فلا يورد إلاماتنكف به معاني الآيات ، وهو مانص عليه في مقدمة تفسيره ، ونقله الثعالبي كذلك وتبناه في منهجه .

(1) كان يميل إلى الاعتزال في بعض مواقفه . أنظر في المحرر الوجيز تفسير قوله تعالى "للذين احسنوا الحسنی

وزيادة " حيث نقل اقوال العلماء في رؤيتالله يوم القيامة ثم حاول ترجيح رأي القائلين بعدم جوازها .

2 - أحكام القرآن لابي بكر بن العربي :

وهو مرجع الثعالبي الاول في تفسيره لآيات الاحكام ، فتارة يلخص أقواله في الآية ، وأحيانا ينقل الفقرات الطويلة وربما نقل ماورد ابن العربي في تفسير الآية حرفيا ، وكان ينص على ذلك كلما نقل عنه فيبدأ بقوله : "قال ابن العربي في أحكامه ، " ويعلم على النهاية بقوله : "انتهى " وقد فعل ذلك مع كل من نقل عنهم من المفسرين ، وهي أمانة علمية تميز بها الثعالبي ويحمد عليها ، وقد نقلنا من ذلك نماذج وافية في حديثنا عن منهج الثعالبي في تفسير آيات الاحكام (2)

3 - جامع البيان في تفسير القرآن :

لابي جعفر محمد بن جرير الطبري وقد أفاد منه الثعالبي كثيرا في الروايات المأثورة ، ومناسبات نزول الآيات والسور ، والسير والمغازي ، وكان أحيانا يلخص الاخبار بأسلوبه الخاص ويوجزها ، وأحيانا أخرى ينقلها حرفيا وفي كلتا الحالتين ينص على ذلك لإلافي القليل النادر .

من ذلك ما نقله في أخبار مسجد الضرار في تفسير قوله تعالى : "الذين إتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين ... التوبة:108 حيث قال : وأسند الطبري عن ابن إسحاق عن الزهري وغيره أنه قال : أقبل النبي - ص - من غزوة تبوك حتى نزل بذي أوان - بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار- ، وكان اصحاب مسجد الضرار قد أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا يارسول الله إننا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليله المطيرة ، وإننا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه ، فقال :إني على جناح سفر وحال شغل ولو قدما إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه ، فلما قفل ونزل بذي أوان نزل عليه القرآن في شأن مسجد الضرار ، فدعا رسول الله مالك بن الدخشن ومعن بن عدي أو أخاه عاصم بن عدي فقال : أنطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فأهدماه وحرماه فأنطلقا مسرعين ففعلا وحرقا ...» (3)

3. التفسير الكبير للفخر الرازي :

نقل الثعالبي في مواضع متعددة ، ولكن دون التفاسير السابقة ، وكان أغلب ماينقل عنه بعض الإشارات الصوفية وأسرار لغة القرآن الكريم وكذا بعض الإشارات لقضايا أصولية ، ومن ذلك ما نقله في تفسير قوله تعالى : " إن الله إشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم... " (4) فقال : قال الفخر الرازي : واعلم أن هذه الآية مشتملة على أنواع من التأكيدات :

(2) انظر . ص :104 من هذا البحث وما بعدها .

(3) الجواهر الحسان 2:203 وانظر كذلك : 2.313:2 378 أنظر جامع البيان . جزء 11 : 21

(4) التوبة :112

- أولها قوله سبحانه : ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم " ...فكون المشتري هو الله المقدس عن الكذب والحيلة من أدل الدلائل على تأكيد هذا العهد .
- والثاني : أنه عبر عن إيصال هذا الثواب بالبيع والشراء ، وذلك حق مؤكد .
- وثالثهما "وعد" ووعد الله حق .
- ورابعهما "عليه" وكلمة "على" للوجوب .
- وخامسها "حقا" وهو تأكيد للتحقيق .
- وسادسهم قوله : " في التوراة والانجيل والقرآن " وذلك يجرى مجرى إشهاد جميع الكتب الإلهية وجميع الأنبياء والمرسلين على هذه المبايعة.
- وسابعها : قوله : " ومن أوفى بعهده من الله " وهو غاية التأكيد .
- وثامنها : قوله : فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به " وهو أيضا مبالغة في التأكيد . وتاسعها قوله : " وذلك هو الفوز "
- وعاشرها قوله : "العظيم" فثبت اشتمال الآية على هذه الوجوه العشرة في التأكيد والتقرير والتحقيق إنتهى" (5)
- 5 - أحمد بن نصر الداودي :
- نقل الثعالبي عن تفسير أحمد بن نصر الداودي وهو تفسير يعتمد على المأثور ، فأكثر الأخذ عنه والإستشهاد بمروياته ، من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : " وسبح بحمد ربك حتى تقوم " (6) قال : وفي تفسير أحمد بن نصر الداودي قال : وعن المسيب قال : حق على كل مسلم أن يقول حين يقوم إلى الصلاة : سبحان الله ويحمده لقوله سبحانه لنبيه : " وسبح بحمد ربك حين تقوم " (7)
- وفي تفسير قوله تعالى : " فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم ، " (8)
- قال : قال أحمد بن نصر الداودي في تفسيره : وروى أن النبي - صلي الله عليه وسلم - سار مع أصحابه في سفر فقال : قولوا نستغفر الله ونتوب إليه ، فقالوا ذلك ، فقال : والله إنها للحطة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها . إنتهى " (9)

(5) الجواهر الحسان 2: 208 وانظر كذلك : 4: 170. 4: 304

(6) الطور: 46

(7) الجواهر الحسان 4: 302

(8) البقرة: 58

(9) الجواهر الحسان 1: 89 وانظر 4: 40 - 4: 188

6 - الكشف والبيان عن تأويل القرآن :

نقل الثعالبي عن الكشف والبيان للثعلبي في التفسير بالمأثور وشيئا من التفسير الإشاري ، وتارة يكتفى بالإحالة على كلامه في بعض الآيات .

- ففي تفسير مطلع سورة الشورى يقول : قال الثعلبي : قال ابن عباس : إن "حم عسق" هذه الحروف بأعيانها نزلت في كل كتب الله المنزلة على كل نبي أنزل عليه كتاب ، ولذلك قال تعالى : كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك " (10)

- وفي تفسير قوله تعالى " ولولا رجال مومنون ونساء مومنات لم تعلموهم..... " (11) الآية . قال : وقال الثعلبي قوله " بغير علم " يحتمل أن يكون بغير علم ممن تكلم بهذا ، والمعرة المشقة ، ليدخل الله في رحمته " أي في دين الإسلام : " من يشاء " من أهل مكة قبل أن تدخلها " (12) انتهى .

7 - ويضاف الى هذه التفاسير تفسير البحر المحيط لأبي حيان التوحيدي الذي كان يأخذ عنه الثعالبي المسائل النحوية واللغوية بواسطة "الصفاقسي كما نص على ذلك في مقدمة تفسيره " (13)

مصادره في السنة :

نقل الثعالبي الكثير من السنن في تفسير كتاب الله وبيان أحكامه وهديه ، وكان ينقل في الآية الواحدة عن كتب متعددة بما يشفي الغليل ويذهب الظمأ . وحسبنا أن نمثل لما نقول بما جاء في تفسير قوله تعالى " ... وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ... " (14) قال : وأسند الترمذي الحكيم في نوادر الأصول له عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : لا أجمع على عبدي خوفين ، ولا أجمع له أمنين ، فمن خافني في الدنيا أمنت في الآخرة ، ومن أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة . ورواه ابن المبارك في رقائقه من طريق الحسن البصري ، وفيه : قال الله وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ، ولا أجمع له أمنين ، فإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة ، وإذا خافني في الدنيا أمنت يوم القيامة " انتهى ، ورواه أيضا الترمذي الحكيم في كتاب ختم الأولياء . (15)

(10) الجواهر الحسان : 4 : 133

(11) الفتح : 25

(12) الجواهر الحسان : 4 : 244

(13) البقرة : 39

(15) الجواهر : 1 : 74

(13) الجواهر الحسان : 1 : 9 . وانظر كذلك : 1 : 88 . 2 : 25.

و كان في مقدمة ما اعتمد عليه الثعالبي كتاب الجامع الصحيح لمحمد بن إسماعيل البخاري و
الجامع الصحيح لمسلم ، والسنن الأربعة لأبي داود و الترمذي و النسائي و ابن ماجة ، و مسند
الإمام أحمد .

إلا أن ما يؤخذ على الثعالبي هنا أنه كان في كثير من الأحيان لا يأخذ عن هذه الكتب إلا
بواسطة مؤلفات أخرى للمتأخرين نذكر منها :

1. سلاح المؤمن لتقي الدين محمد بن علي بن همام المصري الشافعي .
2. التذكرة في النظر في أخبار الآخرة للقرطبي .
3. الكوكب الدرّي للإمام أبي العباس أحمد بن سعد .
4. العاقبة في الحشر و النشر لعبد الحق الخراطي البجائي .
5. الحلية للإمام النووي .

و هذه الكتب ليست من الجوامع ، و غير مرتبة على أبواب الفقه كما أنها محذوفة الأسانيد ، و
لكن مؤلفيها كانوا يعزون هذه الأحاديث

إلى أصولها من كتب السنة ، كما ينصون على درجتها من الصحة ، وينقلون شيئاً من أقوال
علماء الجرح و التعديل في روايتها ، فكان الثعالبي ينقل ذلك بأمانة .

ومثل هذا ماجاء في تفسير الثعالبي من أحاديث معزوة إلى صحيح ابن حبان و صحيح ابن خزيمة
والمستدرک على الصحيحين للحاكم ، و أبي عوانة و سنن الدارمي ، و مصابيح السنة للبغوي ، و ابن
السني و مسند البزار و ابن أبي شيبه و غيرهم ، فإنما هي مأخوذة في الغالب الأعم بواسطة سلاح
المؤمن أو التذكرة أو الحلية .

مثال ذلك ماجاء في تفسير قوله تعالى : "سيماهم في وجوههم من أثر السجود" (16) قال :
ونقل صاحب "الكوكب الدرّي" من مسند البزار عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : يوشك أن
تعرفوا أهل الجنة من أهل النار فقالوا يارسول الله بم ؟ قال : بالثناء الحسن و الثناء السيء " (17)
- وفي تفسير قوله تعالى : " أولئك هم الوارثون " (18) قال الثعالبي : وخرجه ابن ماجة أيضا بمعناه
عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مامنكم من أحد إلا له منزلان ، منزل

(16) الفتح : 29

(17) الجواهر الحسان : 4 : 249

(18) المؤمنون : 10

في الجنة ومنزل في النار ، فإذا مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى : أولئك هم الوارثون " (19) قال القرطبي في التذكرة أسناده صحيح . انتهى من التذكرة (20)

- وفي تفسيره قوله تعالى : فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين " أيما مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطى أجر شهيد ، وإن برئ برئ وقد غفر الله له جميع ذنوبه " أخرج الحاكم في المستدرک ، انتهى من السلاح ، وذكر صاحب السلاح أيضا عن سعد بن أبي وقاص ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

" دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين " فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله تعالى له ، رواه الترمذي واللفظ له والنسائي والحاكم في المستدرک ، وقال صحيح الإسناد " انتهى (22)

وفي تفسير قوله تعالى : "الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون " البقرة : 156 قال : قال النووي وروينا في كتاب ابن السني عن ابن هريز قال : قال الرسول - ص - " يسترجع أحدكم في كل شيء ، حتى في شسع نعله فإنها من المصائب "

وفي تفسير قوله تعالى : أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة " البقرة : 157 قال : قال النووي في الحلية : وروينا في سنن ابن ماجة والبيهقي بإسناد حسن عن عمر بن حزم عن النبي - ص - قال : ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله بطل الكرامة يوم القيامة . الجواهر الحسان 1: 152

وهذا لا يعني أن الثعالبي لم يرجع إلى كتب السنة الأصلية بل رجع إلى الكثير منها ، ونذكر من هذه الكتب :

1 - كتب أبي عمرو يوسف بن عبد البر - حافظ المغرب - منها : جامع بيان العلم وفضله ، والتمهيد لما في الموطأ من الفوائد والأسانيد ، وبهجة المجالس ، فقد كان يأخذ عنها في تفسير قوله تعالى : يأبها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم " (23) قال : وقال ابو عمر ويوسف بن عبد البر في كتابه المسمى : " بهجة المجالس " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أنعم الله على عبد نعمة فعمل

(19) الجواهر الحسان 1: 152

(20) الجواهر الحسان 3: 141

(21) الانبياء : 86

(22) الجواهر الحسان : 3-95

(23) البقرة : 172

أنها من عند الله إلا كتب الله له شكرها . وما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر الله له قبل أن يستغفر .

وان العبد ليلبس الثوب فيحمد الله فما يبلغ ركبته حتى يغفر الله له " كما قال أبو عمرو : مكتوب في التوراة : أشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكر ، فإنه لازوال للنعم إذا شكرت ، ولامقام لها إذا كفرت " إنتهى (24) وفي تفسير قوله تعالى : " ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد أيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم " (25) قال : وإسند أبو عمرو بن عبد البر عن الزبير قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ، حالقتا الدين ، لخالقتا الشعر " إنتهى من التمهيد " (26)

وفي تفسير قوله تعالى " إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون " البقرة 156 قال : قال النووي : وروينا في كتاب ابن السني عن أبي هريرة قال : قال الرسول - عليه الصلاة والسلام - يسترجع أحدكم في كل شيء حتى في شع نعله فإنها من المصائب . (الجواهر الحسان : 1:152) وفي تفسير قوله تعالى : " أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة .. " البقرة 157 قال : قال النووي في الحلية : وروينا في سنن ابن ماجة والبيهقي بإسناد حسن عن عمر بن حزم عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله بطل الكرامة يوم القيامة " (الجواهر الحسان 1: 152)

2- رياضة المتعلمين لأبي نعيم الاصفهاني :

نقل عنه في تفسير قوله تعالى : " أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم " (27) قال : وخرج الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني في كتابه رياضة المتعلمين قال : حدثنا أبو بكر بن خلاد ، حدثنا الحارث بن أبي أسامة ، حدثنا أبو النضر ، حدثنا محمد بن عبد الله بن علي بن يزيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من نار ، فقلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون (28)

(24) الجواهر الحسان : 1-160

(25) البقرة : 109

(26) الجواهر الحسان : 1-126

(27) البقرة : 44

(28) الجواهر الحسان : 1-76

3- كتاب الرقائق لعبد الله بن المبارك :

نقل عنه الثعالبي كثيرا من الأحاديث في الترغيب و الترهيب و الزهد و الأخلاق و غيرها ، ففي تفسير قوله تعالى : " ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء... " (29) قال الثعالبي : وقد نقلنا في هذا المختصر أحاديث كثيرة مختارة في فضل الفقراء الصابرين ما فيه كفاية لمن وفق ، وقد روى ابن المبارك في رقائقه عن سعيد بن المسيب ، قال : جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : أخبرني يا رسول الله بجلساء الله يوم القيامة . قال هم الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيرا ، قال يا رسول الله فهم أول الناس يدخلون الجنة . قال : لا ، قال فمن أول الناس يدخلون الجنة؟ قال الفقراء يسبقون الناس إلى الجنة فتخرج إليهم منها ملائكة فيقولون : إرجعوا إلى الحساب فيقولون على ماذا نحاسب والله ما أفيضت علينا الأموال في الدنيا فنقبض فيها ونبسط ، وما كنا أمراء نعدل ونجور ، ولكننا جاءنا أمر الله فعبدناه حتى أتانا اليقين . انتهى (30)

4. تاريخ بغداد :

لأبي بكر بن الخطيب البغدادي ، أفاد الثعالبي من هذه الموسوعة الحديثية في مواضع كثيرة ، منها ما نقل عنه في تفسير قوله تعالى : " ووصينا الإنسان بوالديه ... " (31) قال : وحدث أبو بكر بن الخطيب في تاريخ بغداد بسنده المتصل عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا بلغ العبد أربعين سنة أمنه الله من البلياء الثلاث : الجنون والجدام والبرص ، فإذا بلغ خمسين سنة خفف الله عنه الحساب ، فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة لما يحب ، فإذا بلغ سبعين سنة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وشفع في أهل بيته ، وناداه مناد من السماء هذا أسير الله في أرضه . انتهى (32)

(29) الشورى : 27

(30) الجواهر الحسان : 4-146 ، 2-212 ، 4-399 ، 4-367

(31) الاحقاف : 15

(32) الجواهر الحسان : 4-207

- وفي تفسير قوله تعالى : " أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون " (33)
 قال : وأسند أبو بكر بن الخطيب في تاريخه عن جبير بن مطعم قال : أتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم - في أهل بدر فسمعتة يقرأ في المغرب بالطور فكأنما تصدع قلبي حين سمعت القرآن .
 انتهى (34)

والمتتبع لما رواه الثعالبي من سنن في تفسيره يتبين له أنه وفق إلى حد بعيد في توظيف هذه الأحاديث وبذلك يكون قد التزم بما نص عليه في مقدمة تفسيره حين قال : - نقلا عن كتاب التقصي لابن عبد البر - : وأولى الأمور بمن نصح نفسه ، وألهم رشده معرفة السنن التي هي البيان لجمل القرآن ، بها يوصل إلى مراد الله تعالى من عباده في ما تعبدهم به من شرائع دينه الذي به الإبتلاء وعليه الجزاء ... (35)

(33) الطور : 33

(34) الجواهر الحسان : 4-300

(35) الجواهر الحسان : 1-9

مصادره في التاريخ

أفاد الثعالبي من كتب كثيرة ومتنوعة في مادة السيرة و التاريخ ، ونستطيع أن نقسم هذه المصادر إلي مايلي :

1 - مصادر عامة مثل كتب السنة وهي البخاري ومسلم و السنن الكبرى للبيهقي(36) حيث كان يستقي منها الغزوات و السرايا وكل ماله علاقة بسيرة الرسول - صلى عليه وسلم - ضف إلى ذلك كتب التفسير بالمأثور التي سبق ذكرها كجامع البيان للطبري و المحرر الوجيز لابن عطية و أحكام القرآن لابن العربي حيث كان ينقل عنها أسباب النزول و كل ما يتعلق بملابسات و ظروف التنزيل فكان يجمع هذه الروايات المختلفة من هذه المصادر فيقابلها و يلخص ما صح عنده منها و ما إطمأن إليه على الأقل . و لا يكاد ينص على هذه المصادر إلا نادرا تفاديا للتكرار واكتفاء منه بما نص عليه في المقدمة .

مثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : (إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهرا في كتاب الله...) (37) ، حيث قال : فالذي تظاهرت به الروايات و يتلخص من مجموع ما ذكره الناس أن العرب كانت لا عيش لها إلا من الغارات و أعمال سلاحها فكانوا إذا تواتت عليهم الأشهر الحرم صعب عليهم و أملقوا . و كان بنو فقيم من كنانة أهل دين في العرب و تمسك بشرع إبراهيم عليه السلام فانتدب منهم القلمس وهو حذيفة من بني عبد فقيم فنسأ الشهور للعرب ثم خلفه على ذلك بنوه(38) .

و أما في ما يتعلق بالتاريخ القديم من قصص القرآن و أخبار الأمم الخالية فقد كاد أن ينفرد بالنقل عن جامع البيان للطبري مع حذف

الأسانيد طلبا للإيجاز و الإختصار ، فيلخص منه ما تتضح به معاني الآيات دون الإشارة إلي ما طرحه منها ، و يتكرر هذا كثيرا في نقله لأخبار بني إسرائيل في تفسيره لسورة البقرة و آل عمران و النساء .

(36) أنظر الجواهر الحسان 1:135 . 2:328.

(37) التوبة : 36

(38) الجواهر الحسان 2:170 . و انظر كذلك 2:190:2.203:2.328.

مثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : (و إذ قال إبراهيم لأبيه أزر أتتخذ أصناما آلهة ..) (39) ، قال : قال الطبري نبه الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم على الإقتداء بإبراهيم في حاجته قومه إذ كانوا أهل أصنام ، وكان قوم النبي - صلى الله عليه وسلم - أهل أصنام ، و ذكر أن أزر أبا إبراهيم عليه السلام كان نجارا محسنا ومهندسا و كان نمروذ يتعلق بالهندسة والنجوم فحظي عنده أزر لذلك ، و كان على خطة عمل الأصنام تعمل بأمره و تدبيره و يطبع هو في الصنم بختم معلوم عنده وحينئذ يعبد ذلك الصنم فلما نشأ إبراهيم على الصفة التي تأتي بعد كان أبوه يكلفه ببيعها فكان إبراهيم ينادي ببيعها : من يشتري ما يضره وما لا ينفعه، ويستخف بها ويجعلها في الماء منكوسة و يقول لها إشربي...) (40) .

و في تفسير قوله تعالى : (فأسرها يوسف في نفسه و لم يبدها لهم ...) (41) ، قال الثعالبي : و ذكر هنا الطبري قصصا اختصاره : أنه لما استخرجت السقاية من رحل يامين قال إخوته : يا بني راحيل لا يزال البلاء ينالنا من جهتك ، فقال يامين : بل بنو راحيل ينالهم البلاء منكم ذهبتم بأخي فأهلكتموه ، ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم ، فقالوا : لا تذكر الدراهم لئلا تؤخذ بها .

ثم دخلوا على يوسف فأخذ الصواع فنقره فطن فقال : إنه يخبركم أنكم ذهبتم بأخ لكم فبعتموه فمسجد يامين و قال : أيها العزيز صواعك هذا يخبرك بالحق ، في قصص آثرنا إختصاره (42) إلا أن ما اشتهر به الطبري نقله للأخبار مسندة متصلة إلي روايتها ثم يدع للقارئ أن يبحث في أحوال الرواة و صحة القول أو بطلانه ، و لذلك كان الثعالبي ينقد بعض هذه الروايات فيقبل منها ويرد (43) .

(39) الانعام 74.

(40) الجواهر الحسان 1:638 وانظر كذلك 1:180:1.81:1.512:1.544. أنظر جامع البيان . جزء 7 : 163

(41) يوسف 77.

(42) الجواهر الحسان 2:341. أنظر جامع البيان . جزء 13 : 21

(43) من ذلك مثلا ما جاء في تفسير قوله تعالى (قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا) يوسف 5 ، حيث قال : من هنا و من فعل إخوة يوسف بيوسف يظهر أنهم لم يكونوا أنبياء في ذلك الوقت و ما وقع في كتاب الطبري لابن زيد أنهم كانوا أنبياء يرده القطع بعصمة الأنبياء عن الحسد الدنيوي و عن عقوق الآباء و تعريض مؤمن للهلاك و التامر على قتله . الجواهر الحسان 2:306.

أما الكتب الخاصة بالسيرة النبوية والتاريخ فقد تنوعت كذلك و تعددت في مصادر الثعالبي، و نذكر منها :

1- السيرة النبوية لابن هشام :

نقل الثعالبي عن السيرة النبوية لابن هشام فأكثر ، فنقل أخبار المغازي في تفسير سورة الأنفال (غزوة بدر الكبرى) (44) و سورة التوبة (غزوة تبوك) (45) و سورة الأحزاب (غزوة الخندق) (46) وظل الثعالبي ملتزما بقيد الإيجاز والإختصار مكتفيا بإحالة القارئ على مآثنه في كتب السير بقوله (وهذا مستوعب في السير) (47) أو ما يشبهها من العبارات . ففي تفسير قوله تعالى : (و إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ..) (48) قال : في هذه الآية قصص حسن محل استيعابه كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن هشام ، واختصاره أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما بلغه - وقيل أوحى إليه - أن أبا سفيان قد أقبل من الشام بالعين التي فيها تجارة قريش و أمواله قال لأصحابه (إن عين قريش عنت لكم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها ، قال : فانبعث معه من خف و ثقل قوم وكرهوا الخروج و أسرع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يلوي على من تعذر ولا ينظر من غاب ظهره . فسار في ثلاث مائة وثلاثة عشر و نحو ذلك من أصحابه بين مهاجري وأنصاري و قد ظن الناس بأجمعهم أن رسول الله لن يلق حربا فلم يكثر استعدادهم ، و كان أبو سفيان في خلال ذلك يستقصي و يحذر ، فلما بلغه خروج الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعث ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة يستنفر أهلها ففعل. (49) . - إلا أن المتتبع لأخبار السيرة في تفسير الجواهر الحسان يلاحظ أن الثعالبي كان يعتمد بالدرجة الأولى ما جاء في كتاب المغازي للبخاري و مسلم و لا يعدل عنهما إلا إذا كان الحادث مشهورا فتتفق الروايات في سرده . و إن كان هناك في الروايات خلاف نبه عليه مقدما رواية البخاري على غيرها (50).

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض : أفاد منه الثعالبي في الحديث عن حقوقه - صلى الله عليه وسلم - على أمته ، و شرفه وفضله و مظاهر عصمة الله تعالى له ، و محاسن خلقه

(44) أنظر الجواهر الحسان 2: 123 . 136.

(45) الجواهر : 2 : 173 .

(46) الجواهر الحسان :3: 345.

(47) الجواهر الحسان : 4 : 244 .

(48) الأنفال : 7

(49) الجواهر الحسان :2: 111، وكذا : 2: 355 أنظر السيرة النبوية لابن هشام . 2 : 182 . ط 3 . 1978م القاهرة

(50) أنظر الجواهر الحسان 2: 112.

و تعداد معجزاته ، وما أيدته تعالى الله به ، كما اتخذ الثعالبي منه سلاحا للرد على المخالفين فكان يورد أقواله مع عزوها إلي كتابه الشفا . فيرتضيها ويقدمها على غيرها .

ففي تفسير قوله تعالى : (لتبين للناس ما نزل إليهم) (51) . قال الثعالبي : وقد فعل - صلى الله عليه وسلم - ذلك فبين عن الله وأوضح ، وقد أوتي جوامع الكلم فأعرب عن دين الله وأفصح ، ولنذكر الآن طرفا من حكمه وفصيح كلامه بحذف أسانيده ، قال عياض في شفاه : (وأما كلامه المعتاد و فصاحته المعلومة و جوامع كلمه و حكمه الماثورة فمنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم) وقوله (الناس كأسنان المشط والمرء مع من أحب ، ولا خير في صحبة من لا يري لك ما ترى له ، و الناس معادن ، وما هلك امرؤ عرف قدره ، و المستشار مؤتمن و هو بالخيار ما لم يتكلم ..) وقوله (أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين) و (إن أحبكم إلي و أقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، المواطنون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون) وقوله (لعله كان يتكلم بما لا يعنيه و يبخل بما لا يغنيه) و نهيه عن (قيل وقال وكثرة السؤال و إضاعة المال ، و منع وهات و عقوق الأمهات و وأد البنات) (52).

و في تفسير قوله تعالى (إن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله و سييدا و حصورا ..) (53) نقل أقوال العلماء في معنى حصورا ثم قال : قال عياض : إعلم أن ثناء الله تعالى على يحي عليه السلام بأنه حصور ليس كما قال بعضهم أنه كان مجبوبا أو لا ذكر له ، بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين و نقاد الأمة و قالوا : هذه نقيصة و عيب ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام ، إنما معناه معصوم من الذنوب ، أي لا يأتيها كأنما حصر عنها ، وقيل : مانعا نفسه عن الشهوات ، وقيل ليست له شهوة في النساء عناية من الله به ، لكونها مشغلة في كثير من الأوقات حاطة إلى الدنيا ، ثم هي في حق من أقدر عليها و قام بالواجب فيها و لم تشغله عن ربه درجة عليا و هي درجة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - و سائر النبيين) (54) .

(51) النحل 95

(52) الجواهر الحسان : 2: 428.

(53) آل عمران 39.

(54) الجواهر الحسان : 1: 315 وانظر كذلك : 2/ 489 - 1/ 113 - 3/ 97

وفي تفسير قوله تعالى " أفرايتم اللات والعزى و مناة الثالثة الأخرى قال : قال القاضي أبو الفضل عياض : وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي من أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما قرأ " والنجم " وقال أفرايتم اللات والعزى و مناة الثالثة الأخرى قال : " تلك الغرانيق العلى و إن شفاعتهن لترتجى " قال عياض : إعلم أكرمك الله أن لنا في الكلام على هذا الحديث مأخذين ، أحدهما في توهين أصله ، و الثاني على تقدير تسليمه ، أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا الحديث لم يخرج به أحد من أهل الصحة و لا رواه ثقة بسند متصل سليم ، و إنما أولع به و بمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب و المتلقفون من الصحف كل صحيح و سقيم ، و صدق أبو بكر بن العلاء المالكي رحمه الله حيث يقول : لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء و التفسير ، ثم قال عياض ، قال أبو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بإسناد متصل يجوز ذكره ، و إنما يعرف عن الكلبي ، قال عياض و الكلبي ممن لا تجوز الرواية عنهم و لا ذكره لقوة ضعفه و كذبه كما أشار إليه البزار ، و قد أجمعت الأمة على عصمته - صلى الله عليه وسلم - و نزاهته عن مثل هذا " (55)

4 - كتاب الآيات والمعجزات لحسن بن علي بن عبد الملك الرهوني المعروف بابن القطان ، وهو كتاب - كما وصفه الثعالبي - نفيس جدا ، فنقل عنه أخبار معجزاته - صلى الله عليه وسلم - و تبشير الكتب السماوية ببعثته ، من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى (و لما جاءهم كتاب من عند الله مصدقاً لما كان معهم ..) (56) حيث قال: وروى أبو بكر محمد بن حسين الآجري عن ابن عباس قال : كانت يهود خيبر يقاتلون غطفان فلما التقوا هزمت يهود ، فعاد اليهود يوماً بالدعاء فقالوا اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمين الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم ، فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كفروا به فأنزل الله عز وجل (و كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) و الإستفتاح الإستتصار ، و وقع ليهود المدينة نحو هذا مع الأنصار قبل الإسلام . انتهى (57) .
و أما في مادة التاريخ الإسلامي فقد أفاد الثعالبي من عدة مصادر أهمها :

(55) الجواهر الحسان 3: 130. وانظر كذلك 3: 131 .

(56) البقرة 89.

(57) الجواهر الحسان 1: 110 و كذلك 1: 137

5 - بهجة النفس : لهشام بن عبد الله القرطبي ، نقل عنه في تفسير

قوله تعالى : (ذلك مما أوحى إليك ربك من الكتاب والحكمة ..) (57) فقال : و ذكر هشام بن عبد الله القرطبي في تاريخه المسمى " بهجة النفس " ، قال : دخل عبد الملك بن مروان على معاوية و عنده عمرو بن العاص فلم يلبث أن نهض فقال معاوية لعمرو ما أكمل مروءة هذا الفتى ، فقال له عمرو إنه أخذ بأخلاق أربعة وترك أخلاقا ثلاثة ، أخذ بأحسن البشر إذا لقي ، و بأحسن الإستماع إذا حدث و بأحسن الحديث إذا حدث و بأحسن الرد إذا خولف ، و ترك مزاح من لا يوثق بعقله و ترك مخالطة لئام الناس و ترك من الحديث ما يعتذر منه (58) .

6 - سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي : و أفاد منه الثعالبي في نقل نماذج رائعة من حياة الرعيل الأول للتمثيل بها في استقامتهم و أخذهم بمواعظ القرآن و توجيهاته و تأديبهم بأدبه . منها ما نقل عنه في تفسير قوله تعالى : (كم تركوا من جنات و عيون و زروع و مقام كريم) (59) فقال ذكر الطرطوشي في "سراج الملوك" له قال أبو عبد الله بن حمدون كنت مع المتوكل (60) لما خرج إلى دمشق فركب يوما إلي رصافة هشام بن عبد الملك فنظر إلي قصورها ثم خرج فنظر إلي دير هناك قديم حسن البناء بين مزارع الأشجار ، فدخله فبينما هو يطوف به إذ بصر برقعة قد ألصقت في صدره فأمر بقلعها فإذا فيها مكتوب هذه الأبيات :

أيا منزلا بالدير أصبح خاليا	تلاعب فيه شمال و دبور
كأنك لم يسكنك بيض أو انس	و لم تتبختر في قبابك حور
و أبناء أملاك غواشم سادة	صغيرهم عند الأنام كبير
إذا لبسوا أدراعهم فعوا بس	و إن لبسوا تيجانهم فيدور
على أنهم يوم اللقاء ضراغم	و أنهمو يوم النوال بصور
ليالي هشام بالرصافة قاطن	و فيك ابنه يا دير وهو أمير
إذ العيش غض و الخلافة لذة	و أنت طروب و الزمان غرور
و روضك مرتاد و نورك مزهر	و عيش بني مروان فيك نضير

(57) الإسرائ 39.

(58) الجواهر الحسان 2:475.

(59) الدخان 25.

(60) المتوكل : الخليفة العباسي العاشر ت : 247 هـ . ابن الأثير . الكامل : 5 : 301

بلى ، فسفك الغيث صوب سحاب
تذكرت قومي فيكمو فبكيتهم
فعزيت نفسي و هي نفس إذا جرى
لعل زمانا جار يوما عليهم
فيفرح محزون وينعم بانس
رويدك إن الدهر يتبعه غد
عليك لها بعد الرواح بكور
يشجو ومثلي بالبكاء جدير
لها ذكر قومي أنة وزفير
لهم بالذي تهوى النفوس يدور
ويطلق من ضيق الوثاق أسير
و إن صروف الدائرات تدور

فلما قرأها المتوكل ارتاع ثم دعا صاحب الدير فسأله عن كتبها فقال : لا علم لي به
(وانصرف)(61).

- وفي تفسير قوله تعالى (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم و إياكم أن اتقوا
الله..)(62) قال : قال الاستاذ أبو بكر الطرطوشي في سراج الملوك (ولما ضرب ابن ملجم عليا -
رضي الله عنه - أدخل منزله فاعترتة غشية ثم أفاق فدعا أولاده فقال : " أوصيكم بتقوى الله في
الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والقصد في الفقر والغنى ، والعدل على
الصديق والعدو، والعمل في النشاط والكسل ، والرضا عن الله في الشدة والرخاء ، يا بني ما
شر بعده الجنة بشر، ولا خير بعده النار بخير ، وكل نعيم دون الجنة حقير ، وكل بلاء دون النار
عافية ، من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته ،
ومن سل سيف بغي قتل به .." (63) ويمضي الثعالبي في نقل هذه الوصية الطويلة للإمام علي بن
أبي طالب -رضي الله عنه -من غير أن تكون لها علاقة بما يفسر الآية إلا الجملة الأولى منها وهي
قوله : " أوصيكم بتقوى الله " وإنما نقل باقي الخطبة طلبا للإستطراد الحسن لإفادة القارئ بما في
هذه الوصية من حكمة بالغة .

إلا أن مثل هذا الإستطراد نادر في النقول التاريخية . فلم يؤثر ذلك أو ينقص من قدر هذا
التفسير أو صاحبه .

6- كما أفاد الثعالبي من كتاب " الإكتفاء في أخبار الخلفاء " في تفسير قوله تعالى : " يحسبهم
الجاهل أغنياء من التعفف ، " (64) فقال وذكر عبد الملك بن محمد بن أبي القاسم بن الكردبوس في

(61) الجواهر الحسان 4: 186 . 187 .

(62) النساء 32.

(63) الجواهر الحسان : 1 - 501

(64) البقرة : 272

الإكتفاء في أخبار الخلفاء " قال : وتكلم علي بن أبي طالب بتسع كلمات : ثلاث كلمات في المناجاة ، وثلاث في الحكمة ، وثلاث في الادب . أما المناجاة فقال : كفاني فخرا أن تكون لي ربا ، وكفاني فخرا أن أكون لك عبدا ، وأنت كما أحب ، فأجعلني كما تحب ، وأما الحكمة فقال : قيمة كل امرئ ما كان يحسنه ، وما هلك امرؤ عرف قدر نفسه ، والمرء مخبوء تحت لسانه ، وأما الادب فقال : استغن عن من شئت فأنت نظيره ، وتفضل على من شئت فأنت أميره ، واضرع إلى من شئت فأنت أسيره . انتهى » (65)

7- ورجع الثعالبي أيضا إلى ترتيب المدارك في أعلام مذهب الإمام مالك للقاضي عياض ، وهو من أقدم وأشمل الكتب في تاريخ الفقه المالكي وطبقات رجاله إلى عصر المؤلف ، فأفاد منه الثعالبي في أكثر من موضع في تفسيره ، منها ما جاء في تفسير قوله تعالى : " ويعلمهم الكتاب والحكمة... " (66)

قال : ونقل عياض في مداركه عن مالك أن الحكمة نور يقذفه الله في قلب العبد ، وقال أيضا يقع في قلبي أن الحكمة الفقه في دين الله ، وأمر يدخله الله القلوب من رحمته وفضله ، وقال أيضا : الحكمة التفكر في أمر الله و الإلتباع له ، والفقه في الدين والعمل به « (67)

وخلاصة رأينا هنا أن نقول : بالرغم من تعدد مصادر الثعالبي التاريخية وتنوعها ، فإن المادة التي نقلها عنها قليلة إذا قورنت بحجم غيرها في تفسير الجواهر الحسان ، وهذه حسنة من الحسنات التي وفق إليها ، لأن حشو كتب التفسير بالمادة التاريخية المطولة أفقدها بعضا من فوائدها لاستغراقها مادة التفسير الأخرى التي تمثل هداية القرآن الكريم المراد توضيحها للعباد .

(65) الجواهر الحسان : 1-267

(66) البقرة : 129

(67) الجواهر الحسان : 1-137

مصادر مادة التصوف

بالرغم من اشتهاار الثعالبي كعالم فقيه مفسر فإن الجانب الصوفي هو الآخر ظل بارزا في شخصيته ، وظهر ذلك جليا في طغيان مادة التصوف على مؤلفاته بما فيها كتابه الجواهر الحسان ، مما أدى به إلى أن يدخل في التفسير ما ليس منه في كثير من الأحيان ، ولئن كان قد الزم نفسه بقيد الإختصار والإيجاز في مختلف الجوانب فإنه أطنب وأسهب في النقل عن كتب التصوف ، ومن أهم المراجع التي أكثر الإفادة منها في هذا المجال ما يلي :

1- مؤلفات أبي حامد الغزالي في التصوف وعلم السلوك وفي مقدمتها كتابي " الإحياء " و"المنهاج " ، فكان ينقل عنهما وينص على ذلك في كل مرة ، ويتضح هذا من النماذج التالية :

- في تفسير قوله تعالى : " ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ... " (68) قال : قال الغزالي في " المنهاج " : "واعلم أن أول الذنب قسوة وآخره -والعياد بالله- شؤم وشقوة ، وسواد القلب يكون من الذنب ، وعلامة سواد القلب ألا تجد للذنوب مفرزا ولا للطاعات موقعا ، ولا للموعظة منجعا . انتهى « (69)

- وفي تفسير قوله تعالى " ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون " قال : قال الغزالي في المنهاج : التقوى في القرآن تطلق على ثلاثة أشياء :

* أحدها بمعنى الخشية والهيبة ، قال الله عز وجل : " وإياي فاتقون " (70)

* والثاني بمعنى الطاعة والعبادة ، قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته " (71) قال ابن عباس : أطيعوا الله حق طاعته ، وقال مجاهد : هو أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر .

- والثالث بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب ، وهذه هي الحقيقة في التقوى دون الأوليين ، ألا ترى أن الله تعالى يقول : " ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون " ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى فعلمت أن حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية وهي تنزيه القلب عن الذنوب . « (72)

(68) البقرة : 74

(69) الجواهر الحسان : 1-101

(70) البقرة : 40

(71) آل عمران : 102

(72) الجواهر الحسان : 3-192

- وفي تفسير قوله تعالى : " كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة " (83) قال : قال الغزالي في الإحياء : إعلم أن رأس الخطايا المهلكة هو حب الدنيا ، ورأس أسباب النجاة هو التجاني في القلب عن دار الغرور . وقال : اعلم أنه لا وصول إلى سعادة لقاء الله سبحانه في الآخرة إلا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة ، ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الذكر ، ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر ولا تتيسر المواظبة علي الذكر والفكر إلا بانقلاع حب الدنيا من القلب ، ولا ينقلع ذلك إلا بترك لذات الدنيا وشهواتها ، ولا يمكن ترك المشتبهات إلا بقمع الشهوات ، ولا تنقمع الشهوات بشئ كما تنقمع بنار الخوف المحرقة للشهوات .» (74)

2- ومن المصادر التي أفاد منها الثعالبي كثيرا كتب المحاسبي في السلوك ؛ منها القصد إلى الله تعالى ، و الرعاية لحقوق الله ، اختصار العزبن عبد السلام ، وكتاب التوهم وغيرها ، وهذه أمثلة مما نقله عنها :

* في تفسير قوله تعالى : " ... ويرجون رحمته ويخافون عذابه .. " (75)

قال : قال العز بن عبد السلام في اختصاره لرعاية المحاسبي : الخوف والرجاء وسيلتان إلى فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات والمكروهات ، ولكن لا بد من الإنكباب علي استحضار ذلك واستدامته في أكثر الأوقات حتى يصير الثواب والعقاب نصب عينيه فيحثاه على الطاعات وترك المخالفات ، ولكن لن يحصل له ذلك إلا بتفريغ القلب من كل شئ سوى ما يفكر فيه أو يعينه علي الفكر ، وقد مثل القلب المريض بالشهوات بالثوب المتسخ الذي لا تزول أدرانه إلا بتكرير غسله ، وحتة وقرضه « (76)

* وفي تفسير قوله تعالى : " إن المتقين في جنات ونهر " (77)

قال : قال المحاسبي : « وإذا أخذ أهل الجنة مجالسهم واطمأنوا في مقعد الصدق الذي وعده الله لهم فهم في القرب من مولاهم سبحانه على قدر منازلهم عنده .. فلو رأيت وقد سمعوا كلام ربهم، وقد دخل قلوبهم السرور ، وقد بلغوا غاية الكرامة ، ومنتهى الرضى والغبطة فما ظنك بنظرهم إلي العزيز العظيم الجليل الذي لا تقع عليه الأوهام ولا تحيط به الأفهام ، ولا تحده الفطن ، ولا تكيّفه الفكر ، الأزلي القديم الذي حادت العقول عن إدراكه ، وكلت الألسن عن كنه صفاته ، إنتهى

من

(74) الجواهر الحسان : 4-521 وانظر كذلك : 2-503

(75) الإسراء : 75

(76) الجواهر الحسان : 2-480

(77) القمر : 4

(78) القيامة : 19-20

3- وأفاد الثعالبي من كتاب " عيوب النفس " لأبي عبد الرحمان السلمي في أكثر من موضع ، منها ما نقله في تفسير قوله تعالى : أم للإنسان ما تمنى « (79) قال الشيخ أبو عبد الرحمان السلمي في كتاب عيوب النفس : ومن عيوب النفس كثرة التمني ، والتمني هو الإعتراض على الله عزوجل في قضائه وقدره، ومداواتها أن يعلم أن لا يدري ما يعقبه التمني أيجره إلي خير أو إلي شر ، فإذا تيقن إبهام عاقبة تمنيه أسقط عن نفسه ذلك ورجع إلى الرضى والتسليم فيستريح .»(80)

ونقل عن كتاب " البيان والتحصيل " لابن رشد في مواطن متعددة منها ما نقله في معنى التفكير وفضيلته في قوله تعالى : " ويتفكرون في خلق السموات والارض .." (81) حيث قال « قال ابن رشد : والتفكر من الاعمال كما قاله مالك رحمه الله ، وهو من أشرف الأعمال لأنه من أعمال القلوب التي هي أشرف الجوارح ، ألا ترى أنه لا يثاب أحد على عمل من أعمال الجوارح من سائر الطاعات إلا مع مشاركة القلوب لها بإخلاص النية لله عزوجل في فعلها ، انتهى من البيان والتحصيل «(82)

5- واستعان بكتابات القشيري منها رسالته في التصوف وكتاب التحبير، فنقل عن الرسالة في تفسير قوله تعالى : " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا « (83) فقال : وأسند القشيري في رسالته عن مالك عن نافع عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء ، والصابرون هم جلساء الله يوم القيامة « (84)

كما نقل عن كتاب التحبير في تفسير قوله تعالى : " فبما رحمة من الله لنت لهم ... « (85) قال : قال القشيري في " التحبير " : واعلم أن الله سبحانه يحب من عبده من يرحم خلقه ، ولا يرحم العبد إلا إذا رحمه الله سبحانه ، قال الله لنبيه عليه السلام : " فبما رحمة من الله لنت لهم " « (86)

6. أما كتاب العاقبة في الحشر والنشر لعبد الحق الإشبيلي فقد كان ينقل عنه صوراً عن حياة الصحابة والتابعين في زهدهم وكثرة اجتهادهم في العبادة وتحصيل الفقه في الدين ، كما ينقل شيئاً

(78) الجواهر الحسان : 4 : 328

(79) النجم : 24

(80) الجواهر الحسان : 4 : 310

(81) آل عمران : 191

(82) الجواهر الحسان : 1 : 405

(83) الإنسن : 8

(84) الجواهر الحسان : 4 : 530

(85) الجواهر الحسان : 1 : 388

من مناقبهم وكراماتهم . ففي تفسير قوله تعالى : " أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ... » (87) قال : قال الشيخ عبد الحق الإشبيلي في العاقبة : وعن قبيصة بن سفيان قال : رأيت سفيان الثوري في المنام بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال :

نظرت إلي ربي عيانا فقال لي هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما إذا الليل قد دجا بعبرة محزون وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر تريده وزرني فأني منك غير بعيد (٨٨)

وإلى جانب هذه المصادر التي أكثر النقل عنها في التصوف ، فهناك مصادر أخرى أفاد منها ولكن في مواطن قليلة ، منها :

7 - كتاب التنوير لابن عطاء الله : نقل عنه في تفسير قوله تعالى : « ولا تمدن عينيك إلي ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا .. » (89) قال : قال ابن عطاء في التنوير ، واعلم أن هذه الآية علمت أهل الفهم عن الله تعالى كيف يطلبون رزقهم ، فإذا توقفت عليهم أسباب المعيشة أكثروا من الخدمة والموافقة وقرعوا باب الرزق بمعاملة الرزاق جل وعلا ، ثم قال : وسمعت شيخنا أبا العباس المرسي رضي الله عنه يقول و الله ما رأيت العزة إلا في رفع الهمة عن الخلق ، واذكر رحمك الله هنا : " وله العزة ولرسوله وللمؤمنين ... » (90) ففي العز الذي أعز الله به المؤمنين رفع همته إلي مولاه وثقته به دون من سواه ، واستح من الله بعد أن كساك حلة الإيمان وزينك بزينة العرفان أن تستولي عليك الغفلة والنسيان حتى تميل إلى الأكوان أو تطلب من غيره تعالى وجود إحسان ، ثم قال: ورفع الهمة عن الخلق هو ميزان ذوي الكمال ومسبار الرجال ، وكما توزن الذوات ، وكذلك توزن الأحوال والصفات « (91)

8. كتاب الفرج بعد الشدة : ونقل عنه في تفسير قوله تعالى : وينزل من السماء من جبال فيها من برد ... » (92) قال : ومن كتاب " الفرج بعد الشدة " للقاضي أبي علي التنوخي - أحد الرواة عن

(87) الزمر : 10

(88) الجواهر الحسان 4 : 71

(89) طه : 129

(90) المنافقون : 8

(91) الجواهر الحسان 3 : 70

(92) النور : 42

أبي الحسن الدارقطني والمختصين به - قال : أخبرنا أبو بكر الصولي عن بعض العلماء ، قال : رأيت امرأة بالبادية وقد جاء البرد فذهب بزرعها فجاء الناس يعزونها ، فرفعت رأسها إلى السماء وقالت : اللهم أنت المأمول لأحسن الخلف ، ويديك التعويض مما تلف ، فافعل بنا ما أنت أهله ، فإن أرزاقنا عليك وآمالنا مصروفة إليك ...» قال : فلم أبرح حتى مرّ رجل من الأجلء فحدث بما كان فوهب لها خمسمائة دينار فأجاب الله دعوتها وفرج في الحين كربتها « (93)

وما نلحظه هنا هو حرص الثعالبي على كشف حال رواة الأخبار والتعريف بهم حتى يطمئن القارئ إلى صحة الرواية فيأخذ بها .

8 - كتا التشوف إلى رجال التصوف للشيخ أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي : نقل عنه في تفسير قوله تعالى : " سيماهم في وجوههم من أثر السجود « (94) فقال : " ومن كتاب التشوف قال خرج البزار عن أنس قال : قيل يا رسول الله من أهل الجنة ؟ قال من لا يموت حتى تملأ مسامعه مما يحب ، قيل فمن أهل النار قال : من لا يموت حتى تملأ مسامعه مما يكره « قال وخرج البزار عن أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله دلني على عمل أدخل به الجنة . قال : لا تغضب ، وأتاه آخر فقال : متى أعلم أنني محسن ؟ قال : إذا قال جيرانك أنك محسن فأنت محسن ، وإذا قالوا إنك مسيء فإنك مسيء ..» (95)

9 - كتاب صفوة التصوف لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي الحافظ نقل عنه في تفسير قوله تعالى : " ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا « (96) فقال : ومن كتاب صفوة التصوف للمقدسي سنده عن ابن عمر قال : أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - رجل فقال : يا رسول الله حدثني حديثا واجعله موجزا ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - صل صلاة مودع كأنك تراه ، فإن كنت لا تراه فإنه يراك وإياك مما في أيدي الناس تعيش غنيا ، وإياك وما يعتذر منه « رواه أبو أيوب الأنصاري بمثله عن النبي صلى الله عليه وسلم « (97)

10 - كتاب المدخل للتصوف لأبي عبد الله بن الحاج نقل عنه في فضل قيام الليل وأسراره ، في تفسير قوله تعالى : " ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا « (98) فقال :

(93) الجواهر الحسان 3: 190 وانظر كذلك 1: 174

(94) الفتح : 29

(95) الجواهر الحسان 4: 250 وانظر كذلك 4: 249

(96) طه : 129

(97) الجواهر الحسان 3: 71

(98) الإسراء : 79

قال صاحب المدخل - وهو أبو عبد الله بن الحاج - وقد قالوا إن من كان يتفلسف منه القرآن فليقم به في الليل فإن ذلك يثبت له ببركة امتثال السنة ، سيما الثلث الأخير من الليل لما ورد في ذلك من البركات والخيرات ، وفي قيام الليل من الفوائد جملة ، فلا ينبغي لطالب العلم أن يفوته منها شيء . فمنها أنه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجرة ، الثاني أنه ينور القلب ، الثالث أنه يحسن الوجه الرابع أنه يذهب الكسل وينشط البدن ، الخامس أن موضعه تراه الملائكة من السماء كما يقرا في الكوكب الذي لنا في السماء ، وقد روى الترمذي عن أبي أمامة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وإن قيام الليل قربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الآثام وتكفير للسيئات ومطرقة للداء عن الجسد . إنتهى من المدخل. (99)

11 - سنن الصالحين لسليمان بن خلف الباجي نقل عنه في أكثر من موضع ، منها ما جاء في تفسير قوله تعالى : إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ... قال : قال الباجي : وروى ابن لبابة عن العتبي عن سحنون أنه رأى عبد الرحمان بن القاسم في النوم فقال له : ما فعل الله بك قال : وجدت عند الله ما أحببت . قال له : فأبي أعمالك وجدت أفضل ؟ قال : تلاوة القرآن . قال : قلت له فالمسائل ؟ فكان يشير بأصبعه كأنه يلشيها . فكنت أسأله عن وهب فيقول لي هو في عليين . إنتهى من سنن الصالحين» (100)

12 - كتاب السلوك لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الساحلي المالقي . نقل عنه في تفسير قوله تعالى : " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ... » (101) فقال : واعلم أن الإنسان مطلوب بطهارة نفسه وتزكيتها ، وطرق التزكية وإن كثرت فطريق الذكر أسرع نفعا وأقرب مراما ، وعليه درج أكثر مشايخ التربية ، ثم قال : والذكر ضد النسيان ، والمطلوب منه عمارة الباطن بالله تعالى في كل زمان ومع كل حال ، لأن الذكر يدل على المذكور لا محالة ، فذكره بيدنا يوجب الهبة له والمعرفة به ، والذكر وإن اختلفت ألفاظه ومعانيه ، فلكل معنى من معانيه اختصاص بنوع من التحلية والتخلية و التزكية ، ثم قال : الذكر على قسمين : ذكر العامة ، وذكر الخاصة ، أما ذكر العامة هو ذكر الأجور والثواب ، وأما ذكر الخاصة فهو ذكر الحضور ، وهو أن يذكر

(99) الجواهر الحسان 2: 492

(100) الجواهر الحسان 2: 461

(101) الانفال : 2

العبد مولاه بأذكار معلومة على صفة مخصوصة لينال بتلك المعرفة بالله سبحانه وطهارة نفسه من كل خلق ذميم وتحليتها بكل خلق كريم ... إنتهى » (102)

13 - كتاب الكلم الفارقة والحكم الحقيقية لأبي القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي . نقل عنه في تفسير قوله تعالى : " اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون «(104) فقال : قال صاحب الكلم الفارقة : أيها الأخ أشعر قلبك مهابة ربك فأليه مآلك ، وتأهب للقدوم عليه فقد آن ارتحالك ، أنت في سكرة لذاتك ، وغشية شهواتك ، وإغماء غفلاتك ، ومقراض الفناء يعمل في ثوب حياتك ، ويفصل أجزاء عمرك جزءا جزءا في سائر ساعاتك ، كل نفس من أنفاسك جزء منفصل من جملة ذاتك ، وبذهاب الأجزاء تذهب الجملة ، أنت جملة تؤخذ أحادها وأبعاضها إلى أن تستوفي سائرها عساكر الأفضية ، والأقدار محدقة بأسوار الأعمار ، تهدمها بمعاول الليل والنهار ، فلو أضاء لها مصباح الإعتبار لم يبق لنا في جميع أو طائنا سكون ولا قرار . إنتهى من الكلم الفارقة والحكم الحقيقية»(105)

14 - المنتخب لابن الجوزي : نقل عنه في تفسيره قوله تعالى : " وبالأسحار هم يستغفرون .. " فقال : ومن كلام ابن الجوزي في المنتخب : يا أخي علامة المحبة طلب الخلوة بالحبيب ، وبيداء الليل فلوات الخلوات لما ستروا قيام الليل في ظلام الدجى غيرة أن يطلع الغير عليهم سترهم سبحانه بستر فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ، لما صفت خلوات الدجى ، ونادى أذان الوصال أقم فلانا وأنم فلانا خرجت بالأسماء الجرائد ، وفاز الأحباب بالفرائد ، وأنت غافل راقد ، ألا لو كنت معهم أسفا لك ، لو رأيتهم لأبصرت طلائع الصديقين في أول القوم وشاهدت ساقية المستغفرين في الركب وسمعت استغاثة المحبين في وسط الليل ، ولو رأيتهم يا غافل وقد دارت كؤوس المناجاة بين مظاهر التلاوات ، فأسكرت قلب الواجد ، رقمت في مصاحف الوجنات ، تعرفهم بسيماهم ، ياطويل النوم فانتك مدحة تتجافى وحرمت منحة والمستغفرين ، يا هذا إن لله تعالى ريحا تسمى الصبيحة مخزونة تحت العرش تهب عند الأسحار ، فتحمل الدعاء والأنين والإستغفار إلى حضرة العزيز الجبار. إنتهى " (106)

(102) الجواهر الحسان : 2 : 109

(103) الأنبياء : 1

(104) الجواهر الحسان : 3 : 74 وانظر كذلك 1 : 268 ، 1 : 275 ، 2 : 339

(105) الآاريات : 8

(106) الجواهر الحسان : 4 : 281

- وهناك كتب أخرى في التصوف أخذ عنها نقولا يسيرة نذكر منها كتاب الإفصاح (107) لشبيب بن ابراهيم ، وكتاب المستغيثين بالله لأبي القاسم بن بشكوال (108) وعنوان الدراية للشيخ أبي عبد الله التميمي (109) وشرح أسماء الله الحسنی للفخر الرازي (110) وغاية المغنم في معرفة إسم الله الأعظم (111). قال بأن مؤلفه من المحدثين وسكت عن اسمه - ولطائف المتن لابن عطاء الله السكندري (112) ، ومرقبة ابن رشد وغيرها (113) .

ولم يقتصر الثعالبي على الإفادة من هذا العدد الزاخر من كتب التصوف ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك فنقل عن شيوخه وأساتذته أخبارهم وتجاربهم .

ففي تفسير قوله تعالى : " وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم ... » (114)

تحدث عن آراء أهل العلم في حبل نساء الأنس من الجن ، والأحاديث الواردة في ذلك ثم قال : وقد سمعت من شيخنا أبي الحسن علي بن عثمان المنجلاتي - سيد علماء بجاية في وقته - قال : حدثني بعض الناس ممن يوثق به يخبر عن زوجته ، أنها تجد هذا الأمر ، قال المخبر ، وأصغيت إلى ما أخبرت به الزوجة فسمعت حس ذلك والله أعلم «(115)

- وفي تفسير قوله تعالى : " واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ... »(116)

حدثني من أثق به أنه حبس عند شيخ من الأفاضل يجود عليه القرآن ، فقرئت عليه هذه الآية فبكى عندها ، ثم بكى إلى أن فاضت نفسه ، ومال فحركوه ، فإذا هو ميت رحمه الله ونفعه «(117)

(107) الجواهر الحسان : 1 : 151

(108) الجواهر الحسان : 4 : 126

(109) الجواهر الحسان : 4 : 163

(111) الجواهر الحسان : 1 : 176

(112) الجواهر الحسان : 1 : 177

(113) الجواهر الحسان : 2 : 495

(114) الإسراء ، ٤٦

(115) الجواهر الحسان : 2 : 485

(116) البقرة 28

(117) الجواهر الحسان : 1 : 274 ، وكذا : 2 : 489 ، 4 : 248

وإلى جانب هذه المصادر التي ذكرناها في التفسير والحديث والسيرة والتاريخ والتصوف فإن هناك مصادر أخرى كثيرة كان قد أفاد منها الثعالبي في الفقه وأصول الفقه واللغة والنحو كما قد أشرنا إليها في الفصول السابقة بما يغنينا عن إعادة الحديث عنها هنا .

وبعد استقصائنا لمصادر الثعالبي في تفسير الجواهر الحسان خلصنا إلي النتائج التالية :

1- الأمانة العلمية التي تميز بها وهو ينقل عن هذه المصادر ، فكان ينص على اسم المصدر مع الإشارة لأهميته أحيانا ، ثم يذكر إسم المؤلف ومدى ثقته ، ويعلم على كل فقرة ينقلها ابتداءً وانتهاءً ، فنجده يبتدئ بقوله : قال فلان في كتاب كذا ، وفي نهاية الفقرة يقول : " إنتهى " وإذا اختصر كلام من نقل عنهم نص على ذلك في الغالب .

2- أن الثعالبي يأخذ من مادة هذه المصادر ما يمكن حسن توظيفه لخدمة المعنى الذي فهمه من كتاب الله وتوضيحه ، وهو بذلك يملك هذه المادة ولا تملكه ، ويشعر القارئ أنه يعيش مع الثعالبي ، وليس مع من نقل عنهم ، بل يفسر الآية بما يدل عليه سياق الكلام ، ثم ينقل عن هذه المصادر ما يقوي هذا التفسير ويعضده .

3- ولما كان الثعالبي يعتمد على ما يفهمه أولا من سياق الآية ، ويدل عليه الصحيح من المأثور ، فإن هذا قد يلتقي مع ما يطلع عليه في مصادره وقد يختلف معه ، ومن هنا وجدناه يتناول ما في هذه المصادر بالنقد في كثير من المواضع ، فتارة يستخدم هذه المصادر في نقد بعضها ، وتارة يكتفي هو نفسه بنقدها وتضعف ما جاء فيها (117) .

4- والملاحظة الأخيرة التي يمكن إثباتها هنا أن هذا الحشد الكبير من المصادر التي أستعان بها الثعالبي في تفسير القرآن الكريم قد حفظ لنا - بذلك - الكثير من مادة الكتب التي اندثرت وضاعت ولم يكتب لها الخروج إلي النور ، أو أن الإطلاع عليها لا يزال عسيرا ، وفي هذا قد يكون تفسير الجواهر الحسان وسيلة من وسائل توثيقها أو تأكيد نسبتها إلى مؤلفيها .

كما أن إكثار الثعالبي من المصادر في كتابة هذا التفسير يوحي بمدى الجهد الذي أنفقه في تصنيف مادة هذا الكتاب والتأليف بينها حتى جاءت متجانسة متلاحمة إلا في مواضع قليلة .
و لعلنا بهذا نكون قد بينا مصادر الثعالبي في تفسيره وطريقته في الإفادة منها ومدى توفيقه ونجاحه في إدماج تلك المادة وتوظيفها فيما أراد .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على من به ختمت الرسالات وبعد ، فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث في حياة الثعالبي ومنهجه في التفسير :

1 - أن عصر الثعالبي كان من أحفل العصور أحداثا سياسية سواء في المغرب العربي أو مشرقه ، إلى جانب ذلك الأضطراب الإجتماعي الذي مس مختلف فئات المجتمع ، فأفرز تلك النزعة الصوفية عند كثير من العلماء ، وكان للثعالبي الحظ الأوفر منها . أما في الوسط الشعبي فقد انتشرت الخرافة ، والمبالغة فيما نسب من كرامات للأولياء وغير ذلك من المظاهر السلبية في حياة الانسان المغربي يومئذ .

2 - أما المناخ الثقافي الذي تزامن مع تلك الظروف السياسية والاجتماعية ، فقد تبين لي - بعد الدراسة - أن الحركة العلمية لم ينضج معيها بالرغم من تلك العوامل القاسية ، غير أنها انطبعت بطابعها ، فغلب تيار التقليد والجمود على القديم على الإبداع والتجديد ، حتى كاد ينحصر جهد العلماء في وضع الحواشي والشروح والمختصرات لمؤلفات السابقين ، ولا أدل على ذلك من تفسير الجواهر الحسان الذي استوحى الثعالبي أغلب مادته من كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية .

3 - وتبين لي من خلال البحث في حياة الثعالبي مكانته العلمية الراقية سواء من خلال رحلته الطويلة التي دامت قرابة ربع قرن ومن التقى بهم وأخذ عنهم من العلماء ، أو من خلال آثاره العلمية التي تجلت في تلاميذه ومؤلفاته الكثيرة التي حظيت بمكانة خاصة بين علماء المسلمين ، و بذلك شاعت وذاعت في مختلف أقطار العالم الإسلامي . كما عرفت سعة علم الثعالبي من خلال تنوع إنتاجه الفكري وشموليته لمختلف الفنون من تفسير وحديث وفقه وتصوف وتاريخ وغيرها ، وبذلك نستطيع القول أن حركة التأليف الموسوعي التي كانت سائدة يومئذ في المشرق العربي كان لها صدى كبير في المغرب العربي ، وكان الثعالبي أحد روادها .

أما عن منهجه في التفسير فإنني أقول :

4 - كان الثعالبي يأخذ بالتفسير المأثور ويقدمه على غيره ، إلا أنه لم يكن حاطب ليل ، بل ينقل عن علم وبصيرة ، فيقدم تفسير القرآن بالقرآن ، فإن لم يجد رجوع إلى الثابت من السنة النبوية ، ثم أقوال الصحابة والتابعين .

- 5 - وهو في ذلك يسند المرويات والأخبار وينسب الأقوال ويرجع النصوص إلى مصادرها ومطائنها ، وهو ما لا يتسير إلا لجهاذة العلماء
- 6 - وقد أثبت لنا الثعالبي من خلال تلك المادة الغزيرة من التفسير المأثور التي ضمنها كتابه الجواهر الحسان مدى تضلعه في السنة ، وقد تجلّى ذلك في الكم الهائل من الأحاديث الصحيحة والحسنة التي دبّج بها صفحات تفسيره ، وإن أورد بعض الأحاديث الضعيفة والواهية فقد ألمح إلى ذلك في محله ، وما فاتته من الإشارة إليه قليل لا يقدر أو يحط من مكانته .
- 7 - أما الاسرائيليات التي راجت في تفاسير من سبقوه فإن الثعالبي كان يشير إليها ثم يحجم عن نقلها ، وأحيانا ينقلها ثم يكر عليها فيبطلها أو يكل العلم بصحتها إلى الله تعالى . وبذلك جاء تفسيره من أنقى التفاسير في الروايات الإسرائيلية .
- وتمسك الثعالبي بالتفسير المأثور لم يمنعه من القول بالتفسير بالرأي في غير مغيبات القرآن ، إلا أن ذلك قليل إذا قيس بغيره من المأثور .
- 8 - كما كان للثعالبي حاسة لغوية وبيانية متميزة يتنوق بها بيان القرآن الكريم ، ويدرك بها أسرار السياق وترابط الآيات ،
- 9 - تأثر الثعالبي بالظروف المحيطة به وخاصة حركة التصوف فغلبت على تفسيره مسحة صوفية تجلت في كثرة نقله من كتب السلوك واستتناسه ببعض لطائف التفسير التي قال بها أهل الإشارة ، ولكن دون أن ينساق وراء تلك الآراء الغريبة التي تؤدي إلى التفسير الباطني المذموم .
- 10 - وتبين لنا من تفسيره لآيات الأحكام أن الثعالبي كان عالما ملما بالمسائل الفقهية أصولا وفروعا ، سواء في المذهب المالكي أو المذاهب السنية المشهورة ، وكان يعرض آراء هذه المذاهب بأمانة فيناقشها ويرجع منها ما كان أقوى دليلا دون تحيز أو تعصب ، غير أن الفقه المالكي هو الصبغة الغالبة عليه ، وقد أكثر النقل عن أحكام القرآن لابن العربي ، مما قلل من بروز شخصيته الفقهية .
- 11 - اهتم بموضوع النسخ في القرآن الكريم فعرض رأي أهل السنة وتبناه ، ودافع عنه ضد منكري النسخ من الفرق الإسلامية وغير الإسلامية ، وطبق ذلك في تفسيره ، إلا أنه تابع بعض من سبقه من المفسرين الذين أكثروا من القول بالنسخ وبذلك قال بنسخ بعض الآيات التي لا يصح دخول النسخ عليها أصلا .
- 12 - كما تتبع وجوه القراءات المتواترة في كثير من المواضع فعرضها وأحسن توجيهها ، إلى جانب ذكر بعض القراءات الشاذة التي تدعو الحاجة لإيرادها ، وقلما يعرج على ذكر بعضها

دون بيان الفائدة منها .

13 - وفي موقف الثعالبي من المتشابه في القرآن الكريم تبين لنا أنه سلفي سني العقيدة ،

يرد على الفرق المخالفة : ويؤول من الآيات ما كان له وجه حسن من اللغة .

14 - وفي حديثي عن أثر المفسرين السابقين في الثعالبي ، انتهى بي البحث إلى القول بأنه

أحسن الإستفادة ممن سبقه من المفسرين فكان يأخذ عنهم تارة ، ويرد عليهم تارة أخرى ، إلا أن ما وافقهم فيه كان أكثر .

15 - وبذلك برزت شخصية الثعالبي في تفسيره في قدرته على المناقشة والانتقاء والترجيح

من الآراء والأقوال .

16 - والخلاصة التي ننتهي إليها من كل ما سبق أن الثعالبي وضع هذا المختصر لغرض

تعليمي ، فتوخى فيه الإيجاز والتبسيط ، فلم يُرد أن يجعل من تفسيره هذا امتدادا لمدرسة معينة في التفسير ، بل أفاد منها جميعا بقدر ما يحقق الهدف الذي كان ينشده ، فأخذ عن ابن عطية والطبري والثعالبي الروايات الماثورة ، وأخذ عن أبي حيان - عن طريق الصفاقسي المسائل النحوية ، وأخذ عن فرسان اللغة ما تنفك به غرائب الألفاظ ، وأخذ عن ابن العربي الأحكام الفقهية ، كما أخذ عن أصحاب التفسير الإشاري ملح التفسير التي لا تخرج عن المقاصد العامة للشريعة .

17 - وقد أبدى الثعالبي جهدا يحمد عليه في إبراز هذا التفسير على الصورة التي نراها .

18 - وأخيرا فإنني أحسب أن أغلب الجوانب التي تناولتها بالدراسة في هذا البحث لم أقل

فيها كلمة الفصل ، وقد بدا لي في نهاية عملي هذا أن كل جانب من هذه الجوانب يرقى إلى أن يكون بحثا مستقلا سواء فيما يتعلق بشخصية عبد الرحمان الثعالبي أو بكتابه الجواهر الحسان وآثاره العلمية الأخرى .

19 - غير أن أول ما نقترحه في هذا المجال أ ينهض بعض الغيورين على هذا التراث الذي

لا يزال لم يطبع أو يحقق بعد ، فيعملون على تحقيقه وتذييله بالفهارس اللازمة كيما يُختصر الطريق أمام الدارسين بعد ذلك للرجوع إليه والإفادة منه .

ولي أمل كبير أن يوفقني الله إلى دراسة آثار الثعالبي وتحقيق ما أمكن منها لعلني أن أسهم بذلك في بعث تراثنا الإسلامي وإعادة تقديمه في ثوب علمي يروق الناظرين ، وإن الله على ذلك إذا يشاء قدير .

وصلى الله على سيدنا محمد وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

الفهارس

- 1 - فهرس الآيات
- 2 - فهرس الأحاديث
- 3 - فهرس الأعلام
- 4 - فهرس الأمم والقبائل
- 5 - فهرس الفرق
- 6 - فهرس البلدان
- 7 - فهرس المواضيع

1- فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	الآية	الفاصلة
53	7	- غير المغضوب عليهم ولا الضالين البقرة
142	28	- ثم استوى إلى السماء
130	33	- وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
127	34	- وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة
151	39	- وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم
156	40	- وإياي فاتقون
154	43	- أتأمرون الناس بالبر
53	46	- يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم
145	56	- وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
150	58	- فبدل الذين ظلموا قولا
71	61	- إن الذين آمنوا والذين هادوا
121-110	64	- كونوا قردة خاسئين
165	73	- ثم قست قلوبكم من بعد ذلك
69	78	- فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون
115-64	101	- وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا
161	89	- ولما جاءهم كتاب من عند الله
72	94	- وإن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم
97	105	- إن الله على كل شيء قدير
115	105	- ما ننسخ من آية أو ننسها
154	108	- ود كثير من أهل الكتاب
61	118	- إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا
156	129	- ويعلمهم الكتاب والحكمة
78	153	- ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات
82-78	155	- الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا
153	156	- أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
105	158	- إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات
97	171	- يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم

153	172	- إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
105	172	- فمن اضطر غير باغ ولا عاد
117	179	- كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت
140	179	- إن ترك خيرا للوالدين والأقربين
97	199	- فإذا قضيتم مناسككم
78	213	- وما تعملوا من خير فإن الله به عليم
110	234	- ومتعوهن على الموسع قدره
84	254	- لا تأخذنه سنة ولا نوم
139-68	258	- وهي خاوية على عروشها
74	164	- ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء
163	272	- يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف
178	280	- واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله
		آل عمران
123	7	- هو الذين أنزل عليك الكتاب
82	7	- وما يعلم تارويله إلا الله
82	31	- قل إن كنتم تحبون الله
160	39	- إن الله ييشرك بيجبي
70	51	- قال الحواريون نحن أنصار الله
165	102	- يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
53	110	- كنتم خير أمة أخرجت للناس
53	112	- وباعوا بغضب من الله
35	146	- وكأين من نبي قتل معه ربيوا كثير
71 - 38	152	- حتى إذا قتلتم وتنازعتم في الأمر
167	159	- فبما رحمة من الله لنت لهم
113	161	- وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يات بما غل يوم القيامة
167	191	- ويتفكرون في خلق السموات والأرض
		النساء
89-61	1	- خلقكم من نفس واحدة
99	1	- إن الله كان عليكم رقيبا
111	3	- فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة
117	15	- واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم

153	172	- إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
105	172	- فمن اضطر غير باغ ولا عاد
117	179	- كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت
140	179	- إن ترك خيرا الوالدين والأقربين
97	199	- فإذا قضيتم مناسككم
78	213	- وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم
110	234	- ومتعوهم على الموسع قدره
84	254	- لا تأخذنه سنة ولا نوم
139-68	258	- وهي خاوية على عروشها
74	164	- ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء
163	272	- يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف
178	280	- واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله
		آل عمران
123	7	- هو الذين أنزل عليك الكتاب
82	7	- وما يعلم تأويله إلا الله
82	31	- قل إن كنتم تحبون الله
160	39	- إن الله يبشرك بيحيى
70	51	- قال الحواريون نحن أنصار الله
165	102	- يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
53	110	- كنتم خير أمة أخرجت للناس
53	112	- ويأعوا بغضب من الله
35	146	- وكأين من نبيء قتل معه ربيوا كثير
71- 38	152	- حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر
167	159	- فبما رحمة من الله لنت لهم
113	161	- وما كان لنبيء أن يغفل ومن يغفل يات بما غل يوم القيامة
167	191	- ويتفكرون في خلق السموات والارض
		النساء
89-61	1	- خلقكم من نفس واحدة
99	1	- إن الله كان عليكم رقيبا
111	3	- فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة
117	15	- واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم

108	35	- وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما
133	47	- إن الله لا يفر أن يشرك به
90	123	- ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى
90	124	- ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله
163	130	- ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم
128	152	- يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً
132	161	- لكن الله يشهد بما أنزل إليك
131	163	- وكلم الله موسى تكليماً
114	12	- وإن كان رجل يورث كلالة
		المائدة
73-53	2	- أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم
109-53	4	- حرمت عليكم الميتة والدم
110	7	- فاغسلوا وجوههم وأيديكم إلى المرافق
127	29	- إنما يتقبل الله من المتقين
128	43	- يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
107	44	- فإن جاؤك فاحكم بينهم
74	50	- وأنزلنا إليك الكتاب بالحق
68	50	- ومهيئنا عليه
53	62	- قل هل أتيتكم بشر من ذلكم مثوبة عند الله
125	66	- بل يدها مبسوطتان
54	66	- وقالت اليهود يد الله مغلولة
53	79	- ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل
107	9	- فكفارته إطعام عشرة مساكين
54	107	- يا أيها الذين آمنوا آمنوا عليكم أنفسكم
		الأنعام
128	1	- الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض
128	4	- وهو الله في السماوات وفي الأرض
112	34	- فإنهم لا يكذبونك ولكن
101	39	- وما من دابة في الأرض
83	55	- وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا
69	55	- أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة

102	60	- وعنده مفاتيح الغيب
148	75	- وإذا قال إبراهيم لأبيه أزد
129	104	- لا تتركه الأبصار وهو يدرك الأبصار
133	126	- فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره
145	157	- هل ينظروا إلا أن تأتيهم الملائكة
		الأعراف
68	104	- حقيق علي ألا أقول على الله إلا الحق
72	143	- قال لن تراني ولكن أنظروا إلى الجبل
80	190	- فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا
143-107	204	- وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له
145	205	- واذكر ربك في نفسك
		الأنفال
170	2	- إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله
159	7	- وإذا يعدكم الله إحدى الطائفتين
		التوبة
55	31	- اتخذوا أعباءهم وهم يفتنون أربابا
157-60	36	- إن عدة الشهور عند الله
137	99	- عليهم دائرة السوء
149	108	- الذين اتخذوا مسجدا ضرابا
59	109	- لمسجد أسس على التقوى من أول يوم
67	110	- فأنهار به في نار جهنم
149	112	- إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
102	113	- التائبون العابدون السانحون
187	128	- صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون
		يونس
40	38	- أم يقولون افتراه
96	61	- وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن
142-96	62	- ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم
99	84	- وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله
140	93	- ولقد بوأنا بني إسرائيل ميثاقاً
141	94	- فإن كنت في شك مما جاءك

118	108	- قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق
119	109	- وأتبع ما يوحى إليك
		هود
104	13	- قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات
139	31	- ولا أقول للذين تزدرى أعينكم
125	37	- واصنع الفلك بأعيننا ووحينا
		يوسف
144	4	- قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك
158	77	- فأسرها يوسف في نفسه
158	111	- لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب
		الرعد
124	2	- الله الذي رفعه السماوات بغير عمد ترونها
		إبراهيم
97	39	- ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع
142	29	- يثبت الله الذين آمنوا
		الحجر
119	3	- ذرهم يأكلوا ويتمتعوا
79	24	- ولقد علمنا المستقدمين منكم
173-57	72	- لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون
		النحل
92	2	- ينزل الملائكة بالرح من أمره
57	32	- الذين تتوفاهم الملائكة طيبين
160	44	- لتبين للناس ما نزل إليهم
91	95	- ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا
		الإسراء
54	29	- ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك
128	36	- إن السمع والبصر والفؤاد
162	39	- ذلك مما أوحى إليك ربك
173	64	- وشاركهم في الأموال والأولاد
111	50	- قل كونوا حجارة أو حديدا
143	74	- ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم

166	57	- ويرجون رحمته ويخافون عذابه
169	79	- ومن الليل فتهدج به
		مريم
72	25	فلن أكلم اليوم إنسيا
84	64	- وما تنزل إلا بأمر ربك
62	85	- يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا
6	91	- يكاد السماوات يتقطن منه
		طه
72	90	- قالوا لن نبرح عليه عاكفين
106	129	- ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم
		الأنبياء
171	1	- اقترب للناس حسابهم
153	86	- فنادى في الظلمات
		الحج
139	43	- فهي خاوية على عروشها
139	75	- وافعلوا الخير لعلكم تفلحون
		المؤمنون
152	10	- أولئك هم الوارثون
56	52	- يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
55	61	- والذين يوتون ما أتوا
		النور
117	2	- الزانية والراني فاجلدوا كل واحد منهما
108	4	- والذين يرمون أزواجهم
139-111	33	- فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا
106	30	- قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم
168	42	- وينزل من السماء من جبال فيها من برد
165	50	- ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه
		النمل
66	20	- وتفقد الطير فقال
113	25	- ألا يسجدوا لله الذين يخرج الخبأ
66	28	- إذهب بكتابي هذا فآلفه إليهم

139-69	54	- فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا
		القصص
61	85	- إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد
		المعنكبوت
66	1 4	- فأنجاه الله من النار
96	45	- ولذكر الله أكبر
		الروم
92	29	- فاقم وجهك للدين حنيفاً
		الأحزاب
70	33	- إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
106	34	- وأنذركن ما يتلى في بيوتكن
33	4 1	- يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً
		فاطر
100	28	- إنما يخشى الله من عباده العلماء
111	81	- إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون
		الصفات
100	24	- وقفوههم إنهم مسؤولون
115	54	- قال هل أنتم مطعون
69	130	- سلام على آل ياسين
		ص
64	20	- وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب
114	31	- إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي
126	74	- قال يا إبليس ما منعك أن تسجد
		الزمر
95	10	- أمن هو قانت آناء الليل
		فصلت
86	26	- فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً
111	39	- إعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير
		الشورى
127	23	- وهو الذي يقبل التوبة عن عباده

		الجاثية
137	8	- وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً
115	28	- إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون
		الأحقاف
60	14	- حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة
155	14	- ووصينا الإنسان بوالديه
58	29	- ويوم يعرض الذين كفروا على النار
		الدخان
162	24	- كم تركوا من جنات وعيون
		محمد
56	38	- وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم
		الفتح
125	10	- يد الله فوق أيديهم
151	25	- ولولا رجال مؤمنون
152-77	29	- سيماهم في جوههم من أثر السجود
62	29	- كزرع أخرج شطأه فأنزله
		الحجرات
106	2	- يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم
		ق
111	34	- أدخلوها بسلام ذلك يوم الخلود
		الذاريات
171	18	- وبالأسحار هم يستغفرون
114	56	- وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
		الطور
111	14	- فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم
156	33	- أم خلقوا من غير شيء
125	46	- واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا
150	47	- وسبح بحمد ربك حين تقوم
		النجم
161	19	- أفرايتم اللات والعزى
167	24	- أم للإنسان ما تمنى

		القمر
166	540	- إن المتقين في جنات ونهر
		الرحمن
102	17	- مرج البحرين يلتقيان
		الواقعة
61	3	- خافضة رافعة
		الحديد
92	49	- إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو
		المجادلة
135	8	- ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله
		الحشر
145	2	- فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا
		الصف
74	5	- فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم
		المنافقون
168	8	- والله العزة لرسوله والمؤمنين
		التحريم
80	1	- يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك
		الحاقة
126	45	- لأخذنا منه باليمين
		نوح
83	10	- فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا
		المدثر
101	4	- وثيابك فطهر
		القيامة
166	19	- كلا بل تحيون العاجلة
129	22-21	- وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة
		الإنسان
167	8	- ويطعمون الطعام على حبه
		المرسلات
111	46	- كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون

		النبا
90	40	- يوم ينظر المرأ ما قدمت يداه
		المطققين
137	1	- ويل للمطققين
		الزلزلة
139	8	- فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
		الهمزة
137	1	- ويل لكل همزة لمزة

عبد القادر للعطوم الإسلامية

فهرس الأحاديث النبوية حسب الترتيب اللفبائي

-1-

- 55 - إثمروا بالمعروف وانها عن المنكر
- 57 - أدوا الخائط والمخيط فإن الغلول
- 155 - إذا بلغ العبد أربعين سنة
- 83 - إذا التقى المسلمین فتصالحا
- 76 - أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول
- 76 - إعملوا بالقرآن أحلوا حلله
- 83 - أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون
- 86 - إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا
- 89 - إن المرأة خلقت من ضلع أعوج
- 79 - إنما نسمة المؤمن طائر
- 142 - إن من عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء
- 78 - أهل الجنة مئة وعشرون صفا
- 80 - أيرضیکم أن أحرهما
- ت-
- 77 - تلك السكينة نزلت بالقرآن
- 35 - توشك الأمم أن تداعى عليكم
- ث-
- 154 - تب إليکم داء الأمم قبلکم
- 153 - دعوة ذي النون لا إله إلا أنت سبحانک
- ر-
- 154 - رأيت ليلة أسري بي رجالا
- س-
- 59 - السلام عليكم أهل القبور
- ص-
- 84 - صلاة على أثر السواک أفضل
- 169 - صل صلاة مودع
- ع-
- 170 - عليكم بقيام الليل

- ق-
- 117 - قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر
76 - قوم هذا ، لو كان الدذين بالتريا
-ل-
- 63 - لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء
66 - لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم
55 - لا يثبت أبي بكر بل هو في الرحلة يصوم
57 - لا يدخل الجنة أحد بعمله
160 - لعله كان يتكلم بما لا يعنيه
167 - لكل شيء مفتاح
80 - لما حملت حواء طاف بها إبليس
60 - ليس المسكين بهذا الطواف
-م-
- 153 - ما أنعم الله على عبد نعمة
78 - ما من مؤمن يعزي أخاه في مصيبة
82 - المستمسك بسنتي عند فساد أمتي
142 - المسلم إذا سئل في قبره يشهد
160 - المسلمون تتكافؤ دمازهم
102 - من أخلص لله أربعين صباحا
84 - من داوم على قراءة سورة الواقعة
85 - من شغله القرآن وذكرني عن مسالتي
78 - من صنع إليه معروف فقال لفاعله
82 - من عزى ثكلى كسي بردا في الجنة
82 - من عزى مصابا فله مثل أجره
52 - من قال في القرآن بغير علم
84-77 - من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة
83 - من لزم الإستغفار جعل الله له
-ن-
- 160 - الناس كاستنان المشط
106 - نظر الله امرأ سمع مقالتي
160 - نهيتكم عن قيل وقال

- 86 - نهى رسول الله أن يسافر الرجل وحده
-ه-
- 77 - هذا أثنتم عليه خيرا فوجب له الجنة
-ه-
- 89 - هو مسجدي هذا
-س-
- 84 - وقع في نفس موسى هل يتام الله
-ي-
- 55 - ياعدي إطرح هذا الصليب من عنقك
-ي-
- 152 - يوشك أن تعرفوا أهل الجنة
-ي-

فهرس الأعلام

-أ-

127-89-80	- آدم (عليه السلام)
158	- أزد
158	- إبراهيم (عليه السلام)
19	- إبراهيم بن أحمد التلمساني
22	- أبركان (الحسن بن مخلوف)
25	- أحمد بن إدريس
123-77-63-29	- أحمد بن حنبل
39-25	- أحمد بن عبد الرحمان النقوسي
40-26	- أحمد بن عبد الرحيم العراقي
42	- أحمد بن عبد الله الجزائري
8	- أحمد بن عودة الوهراني
42	- أحمد بن محمد العجيسي
150	- أحمد بن النصر الداودي
42-19-14	- أحمد بن يحيى الوئشريسي
8-7	- أحمد بن يوسف الهواري
14	- أحمد بوعصيدة البجاني
36	- أحمد زروق
95	- أبو أحمد البيزدي (يحيى بن المبارك)
78	- أسامة بن زيد
77	- أسيد بن حضير
143	- ابن الأنباري
155	- أنس بن مالك

-ب-

117-81-77-61-38-28	- البخاري (محمد بن إسماعيل)
77	- البراء بن عازب
40-26	- البرزلي (أبو القاسم)
39	- أبو البركات الثاني
78	- بريدة بن الحصيب

152	- البزار
40-26	- البساطي
98	- ابن بطا
29	- البغوي
105-62-40	- أبو بكر الصديق
28	- البوصيري
28	- البيهقي (أحمد بن الحسين)
	-ت-
153	- التادلي (أبو علي)
43	- التالوتي (علي بن محمد)
85-82-80-78-77-59-52-28	- الترمذي (محمد بن عيسى)
31	- تقي الدين المقدسي
44-16	- التنبكي (أحمد بابا)
33	- التتسي (محمد بن عبد الله)
168	- التنوخي
31	- ابن تيمية (أحمد بن عبد الحلیم)
	-ث-
-25-24-22-21- 19-18-14-9-8-7-3	- الثعالبي (عبد الرحمن بن محمد)
-38-37-36-35-34-33-32-28-27-26	
-56-55-54-53-52-47-45-44-42-39	
-68-67-64-63-62-61-60-59-58-57	
-84-82-81-80-79-76-74-73-71-69	
-99-97-95-94-92-90-89-88-86-85	
-110-109-108-107-105-102-101	
-120-119-118-114-113-112-111	
-131-130-129-128-127-125-123	
-140-139-138-137-136-134-132	
-150-149-148-146-143-142-141	
-172-165-164-163-159-155-154	
173	
85	- الثعلبي
19	- الثغري

-ج-

- 58 - جابر بن عبد الله
 100 - الجينياني (عبد الرحمن بن غصان)
 156 - الجبير بن مطعم
 102 - أبو جعفر محمد بن موسى
 31 - ابن جماعة (محمد بن إبراهيم)
 29 - ابن أبي جميع
 69 - ابن جنبي
 171 - ابن الجوزي
 67 - الجوهرى (إسماعيل بن حماد)
 46-45 - الجيلالي (عبد الرحمن)

-ح-

- 152 - الحاكم النيسابوري
 77 - أبوحاتم الرازي
 115-111-110-39-32 - ابن حاجب الفرعي
 76 - الحاكم أبو عبد الله النيسابوري
 21 - الحباك (محمد بن أحمد التمساني)
 151-27 - ابن حبان
 16 - ابن حجر العسقلاني
 60 - حذيفة بن عبد فقيم
 130-126 - أبو الحسن الأشعري
 18 - حسن بن باديس
 151 - الحسن البصري
 101 - أبو الحسن الشاذلي
 102 - الحسن بن علي بن أبي طالب
 102 - الحسين بن علي بن أبي طالب
 113 - حفص (المقريء)
 81-80 - حفصة (أم المؤمنين)
 45 - الحفناوي (أبو القاسم)
 70 - أبو حمزة النيشكري
 112 - حمزة بن حبيب الكوفي

6	- أبو حمو الزياني
28	- الحميدي (محمد بن الفتوح)
123	- أبو حنيفة
89-80	- حواء
146-145-136-89-70	- أبو حيان التوحيدي
	- ح-
58	- خالد بن الوليد
156	- ابن خزيمة
96-85	- الخضر (عليه السلام)
177	- الخطيب البغدادي
22-15	- ابن خلدون
96-69	- الخليل بن أحمد الفراهدي
	- ر-
27	- الدارقطني
77-27	- الدارمي
58-28-27	- أبو داود
79	- الداودي (أحمد بن النصر)
108-31	- ابن دقيق العيد
31	- الدمياطي (أحمد بن أبيك)
30	- الدينوري (علي بن عبد الواحد)
	- ر-
20	- ابن أبي الرجال
171-131	- ابن رشد-
161	- الرهوني (ابن القطان)
	- ز-
28	- ابن راغو أحمد بن محمد التلمساني
67	- الزبيدي (محمد بن حسين)
68	- الزجاج (إبراهيم بن السري)
77	- الوزعة الرازي
13	- ابن أبي زكرياء العراقي
59	- أبو الزناد

128-72	- الزمخشري (المفسر)
114	- زيد بن أسلم
122-32	- ابن أبي زيد القيرواني
77	- زينب بنت جحش
31	- زين الدين العراقي
	- س -
7-6	- سالم بن إبراهيم
86	- سالم بن عبد الله
15	- ابن سالم الوشتاني
13	- سانشو الرابع
16	- السخاري
114	- سعد بن أبي وقاص
85-84-59	- أبو سعيد الخدري
38	- سعيد الهواري
159	- أبو سفيان بن حرب
56	- سلمان الفارسي
25	- سليمان بن الحسن
112	- سليمان بن خلف الباجي
102	- سفيان الثوري
80	- سمرة بن جندب
43	- السنجاسني (إبراهيم بن إسماعيل ل)
36	- السنوسي (محمد بن يوسف)
152	- ابن السني
30	- السهروردي
81	- سودة بنت زمعة (أم المؤمنين)
71-31	- سيبويه (عمرو بن عثمان)
81	- ابن سيد الناس
21	- السيوطي (جلال الدين)
	- ش -
51	- الشاطبي (أبو إسحاق)
123-57-29-27	- الشافعي (الإمام)

172	- شبيب بن إبراهيم
38	- الشريف التلمساني (سليمان بن حسن)
95	- شعبة بن الحجاج
30	- شهاب بن علي المحسن ي
30	- ابن الشهير (محمد بن إبراهيم)
84	- ابن أبي شيبة
	- ص-
30	- الصابوني (عبد الوهاب بن محمد)
29	- الصانعاني (الفضل بن العباس)
29	- الصحولي
178-89-70	- الصفاقسي
31	- ابن الصلاح (عثمان بن عبد الرحمان)
	- ض-
159	- ضمضم بن عمرو الغفاري
	- ط-
29	- الطبراني (سليمان بن أحمد)
144-124-55	- الطبري
162	- الطرطوشي (أبو بكر)
29	- الطيالسي (سليمان بن داود)
	- ع-
88-81-80-55	- عائشة أم المؤمنين
112	- عاصم بن أبي النجود
20	- أبو العباس العسقلاني
108-82-81-79	- ابن عبد البر
100-31	- عبد الحق الإنشيلي
19	- عبد الرحمن الجيلالي
167	- عبد الرحمن السلمي
25-18	- عبد الرحمن الوغليسي
33-21-14	- عبد الكريم المغيلي
168	- عبد الله التميمي
66-63	- عبد الله بن سلام

112	- عبد الله بن عامر
-112-91-89-88-83-79-69-53-52	- عبد الله بن عباس
127-117-114-113	
90-59	- عبد الله بن عمرو
90-82-53-51	- عبد الله بن مسعود
67-63	- عبد الملك بن جريج
156	- عبد الملك بن مروان
55	- عدي بن حاتم
136-118-106-105-89-79	- ابن العربي
40-35-30-26	- ابن عرفة
166	- العزيز بن عبد السلام
54	- ابن عصفور
100-98	- ابن عطاء الله السكندري
-79-76-73-72-70-61-58-57-56	- (ابن عطية عبد الحق بن غالب)
-138-137-136-130-98-89-840	
145-144-143-142-141-140-139	
108-102-62	- علي بن أبي طالب
38-25	- علي بن عثمان المنجلاكي
39-25	- علي بن محمد اليلبثني
25	- علي بن موسى
80-78	- عمر بن حزم
106-83-77-62-58	- عمر بن الخطاب
30	- عمر بن عبد العزيز
115-112	- أبو عمرو بن العلاء
152	- أبو عوانة
37-19	- عيسى بن سلامة اليسكري
39-26-25	- عيسى الغبريني
	- غ-
122-98-43-40	- الغزالي (أبو حامد)
20	- الغنجي
	- ف-
68	- الفارسي (أبو علي)

31	- ابن الفاكهاني (عمر بن علي)
111-110-182-91-89	- الفخر الرازي
102	- فاطمة الزهراء
	-ق-
31	- القاسبي (ابراهيم بن محمد)
107	- ابن القاسم (المالكي)
141-68-64-27	- القاضي عياض
156	- قبيصة بن سفيان
117-70-64	- قتادة
60	- أبو حنيفة
78-69-54	- القرطبي
98-97-96-30	- القشيري
33-20-19-14	- ابن قنفذ القسنطيني
	-ك-
	- ابن كثير (أبو الفدا)
122	- ابن كثير (المقريء)
113	- الكيساني (علي بن حمزة)
66-63	- كعب بن ماتع الحميري
161	- الكلبي
73	- الكندي
124	- ابن كيسان
	-ل-
136	- اللخمي (محمد بن عبد الله)
	-م-
78-27	- ابن ماجة
80	- مارية القبطية
-123-109-107-105-79-59-21	- مالك بن أنس
149	- مالك بن النخشن
72-71-32	- ابن مالك (التحوي)
58	- ابن المبارك (المحدث)
68	- المبرد (الأزمري)

156	- المتوكل على الله
53	- مجاهد
69	- المحاسبي (الحارث بن أسد)
97	- محمد بن أحمد الأنصاري
40-26	- محمد البيلاي
28	- محمد بن الحسن الشيباني
39-27-26	- محمد بن خلف الأبي
19	- محمد الزواوي
19	- محمد السنوسي
	- محمد بن علي بن الهمام
26	- محمد القلشاني
12-8	- محمد بن المبارك الملي
39-20-15	- محمد المشدالي
17-15	- محمد المقرئ
62	- محمد بن كعب القرظي
19	- محمد الهواري
	- محمد المدني
29	- المدني (الجراج بن عبد الله)
7	- أبو مدين التلمساني
39-32-28-27-20	- ابن مرزوق (الحفيظ)
42	- ابن مرزوق (الكفيف)
85	- مروان بن الحكم
16	- ابن مريم التلمساني
81-77-27	- مسلم بن الحجاج (المحدث)
95	- مسعر بن كيدار
96	- مصطفى الجصاص
	- معاذ بن جبل
32	- ابن معطى
76	- معقل بن يسار
149	- معن بن عدي
30	- المقدسي (أحمد بن سلمة)

162	- ابن ملجم
123-122-6	- المهدي بن تومرت
85	- موسى (عليه السلام)
	- ن-
29	- ابن أبي نافع
113	- نافع بن أبي عبد الرحمن
112	- ابن أبي التجدود (يوسف بن محمد)
78-77	- النسائي (المحدث)
96	- نصر الخراط
30-28	- أبوتعيم الأصفهاني
81-78-31-29-27	- النووي (محي الدين)
	- ه-
132	- أبو الهديل العلاف
68	- الهروي (أحمد بن محمد)
90-84-82-59	- أبو هريرة
96	- ابن هشام (صاحب السيرة)
72-71-70	- ابن هشام (النحوي)
165	- هشام بن عبد الله القرطبي
162	- هشام بن عبد الملك
	- و-
66-63	- وهب بن منبه
	- ي-
158	- يامين
77	- يحيى بن دينار الرماني
77	- يحيى بن معين
14	- يحيى بن موسى المازوني
29	- أبو يعلى الموصلي
145	- يوسف (عليه السلام)
40-26	- أبو يوسف يعقوب الزغبي
13	- أبو يوسف يعقوب المريثي
13	- يوسف النذرومي

فهرس الأسمم والقباثل

8-7	- الأتراك
24-14-3	- الأسبان
5	- أعراب المعقل
35	- بنو الأصفر
5	- بنو توجين
24-6-5	- الثعالب
25-24-12-6-4	- الحفصيون
5	- زناتة
6	- بني سباغ بن تغلب
6	- صنهاجة
24-4	- بني عبد الواد
161	- غطفان
60	- بنو فقيم
60	- كنانة
13-6	- المرابطون
24-21-20-13-12-6-4	- بنو مرين
3	- المغول
61-60	- مكة
12-6-3	- الموحدون

فهرس الفرق والمذاهب

123-122	الأشاعرة
134-133-132-129-127-124	- أهل السنة
102-101	- الباطنية
128	- الطولية
134-133	- الخوارج
101-100-98-97-33-19-18-7	- الصوفية
7	- الطريقة اليوسفية
127	- المانوية
21	- المذهب المالكي
134-133	- المرجئة
134-132-129-128-166	- المعتزلة
63-9	- النصارى
116-64-63-9	- اليهود

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس البلدان

34	- أمسيون
5	- إسبانيا
5	- أبشير
3	- إفريقيا
122-12-3	- الأندلس
17-10	- أوروبا
44	- باريس
39-38-34-26-25-18-16-5	- بجاية
14-5	- البرتغال
19	- بسكرة
59	- البقع
27	- بورصة
27	- تركيا
22-21-20-19-16-15-14-13-8-5-4	- تلمسان
43-27-25	
-76-46-42-39-26-25-12	- تونس
25	- تيزيل
5	- التيطري
27-14-19-18-17-16-15-14-6-5-4	- الجزائر
47-46-45-44-42-33	
27	- الحجاز
161	- خيبر
162	- دمشق
46	- الرباط
34	- زواوة
45	- سحلباسة
45-14	- السودان
27	- الشام

47	- الفاتكان
39-15-14-12	- فاس
56	- فارس
47-20	- القاهرة
27-25-19-16-5	- قسنطينة
9	- مازونة
123-24-6	- متيجة
108	- المدينة
5	- المدية
98-40-28-27-26	- مصر
122-76-46-15-12-5-4	- المغرب الأقصى
21	- المغرب العربي
61-60	- مكة
7	- مليانة
19	- ندرومة
25-24	- وادي يسر
45	- ورقلة
24-19-8	- وهران

قائمة المصادر والمراجع

مرتبة حسب أسماء المؤلفين

- ابن الأثير الجزري (محمد بن محمود بن عبد الكريم الشيباني) ت : 630 هـ
- 1 - الكامل في التاريخ . دار الكتاب اللبناني . بيروت لبنان ط 1983 م
- أحمد عطية الله
 - 2 - القاموس الإسلامي . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ط 1963 م
- الأشعري (أبو الحسن علي بن إسماعيل) ت : 324 هـ
 - 3 - الإبانة عن أصول الديانة . مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . المملكة العربية السعودية 1400 هـ .
 - 4 - مقالات الإسلاميين . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد .
دار النهضة المصرية . القاهرة 1969 م
 - الإيجي (عضد الدين عبد الرحمان بن أحمد) ت : 756 هـ
 - 5 - المواقف في علم الكلام ، عالم الكتاب ، بيروت
 - البغدادي (أبو منصور عبد القهار بن طاهر التميمي) ت : 429 هـ
 - 6 - كتاب أصول الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط 4 1983 م
- التنبكتي (أبو العباس أحمد بابا) ت : 1036 هـ
 - 7 - نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان
- ابن تيمية (تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم) ت : 728 هـ
 - 8 - مقدمة في أصول التفسير . منشورات دار كتب الحياة . بيروت
 - الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري) ت : 429 هـ
 - 9 - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد
مطبعة السعادة . القاهرة . ط 2 1986 م
 - الثعالبي (عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف) ت : 876 هـ
 - 10 - الجواهر الحسان في تفسير القرآن . المؤسسة الوطنية للكتاب ط 2. 1983 م
 - 11 - العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة . المطبعة الحميدية . مصر 1907 م

- ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير عمر بن محمد) ت : 833 هـ
- 12 - غاية النهاية في طبقات القراء . دار الكتب العلمية . بيروت ط 3 . 1983 م
- د جلال الدين يحيى
- 13 - تاريخ المغرب الكبير . دار النهضة للطباعة والنشر . بيروت ط 1 . 1981 م
- 14 - العالم الإسلامي الحديث والمعاصر . المكتب الجامعي الحديث . الإسكندرية
- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي) ت : 597 هـ
- 15 - صفة الصفوة . تحقيق : محمود فاخوري . دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت لبنان . ط 3 . 1955 م .
- 16 - الموضوعات . دار الكتب العلمية . بيروت لبنان
- الجوهري (إسماعيل بن حماد) ت : 303 هـ .
- 17 - تاج اللغة وصحاح العربية . تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار . دار العلم للملايين . بيروت . ط 3 . 1984 م
- الجويني (عبد الملك بن عبد الله ، إمام الحرمين) ت ك 478 هـ
- 18 - الشامل في أصول الدين . تحقيق علي سامي النشار . نشر دار المعارف . الإسكندرية . 1969 م
- الجيلالي (عبد الرحمان بن محمد)
- 19 - تاريخ الجزائر العام . دار الثقافة ، بيروت . ط 4 . 1980 م
- أبو نوح حاتم (محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي) ت : 327 هـ
- 20 - الجرح والتعديل . مطبعة دارالمعارف العثمانية . حيدرآباد . الهند . ط 1 . 1953 م
- ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني) ت : 852 هـ
- 21 - الإصابة في تمييز الصحابة . دار الكتاب العربي . بيروت .
- 22 - فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . دار إحياء التراث العربي بيروت . لبنان ط 2
- 23 - تهذيب التهذيب : دار صادر . بيروت . ط 1 . 1947 م
- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد الظاهري) ت : 467 هـ
- 24 - الفصل في الملل والأهواء والنحل . دار المعرفة . بيروت . 1983 م
- الحفناوي (محمد بن أبي القاسم بن إبراهيم) ت : 1361 هـ

- 25 - تعريف الخلف برجال السلف . الجزائر ط 1 1906 م
 - ابن حنبل (أحمد بن محمد ، أبو عبد الله الشيباني) ت : 240 هـ
- 26 - المسند
 - أبو حيان التوحيدي (محمد بن شريف الأندلسي) ت : 784 هـ
- 27 - البحر المحيط . دار الفكر للنشر والتوزيع ط 2 1983 م
 - الخطيب البغدادي (الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت) ت : 463 هـ
- 28 - تاريخ بغداد . دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان
 29 - الكفاية في علم الرواية . دار السعادة . ط 1
 - ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد) ت : 808 هـ
- 30 - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر . دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر 1978 م
 - ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) ت : 681 هـ
- 31 - وفيات الأعيان . تحقيق د. إحسان عباس . دار الثقافة بيروت . لبنان
 - أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني) ت : 275 هـ
- 32 - كتاب السنن . نشر دار إحياء السنة المحمدية .
 - الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) ت : 748 هـ
- 33 - سير أعلام النبلاء . مؤسسة الرسالة ط 1 1981 م
 34 - تذكرة الحفاظ . دار إحياء التراث العربي . بيروت
 35 - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة . تحقيق وتعليق :
 عزت علي عبد الله عطية ، وموسى محمد علي الموشي .
 دار الكتب الحديثة القاهرة ط 1 1972 م
- 36 - ميزان الاعتدال في نقد الرجال . تحقيق : علي محمد البجاوي .
 دار إحياء الكتب العربية . حلب ط 3 1963 م
 - د. الذهبي (محمد حسين) ت : 1396 هـ
- 37 - التفسير والمفسرون . دار إحياء التراث العربي . بيروت
 38 - علم التفسير . سلسلة كتابك . دار المعارف مصر
 - الرازي (محمد بن عمر بن الحسين ، فخر الدين) ت : 606 هـ

- 39 - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين . الناشر مكتبة الكليات الأزهرية . 1978 م
- 40 - التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب .
دار إحياء التراث العربي . بيروت لبنان ط3
- الزركشي (بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله المصري) ت : 794 هـ
- 41 - البرهان في علوم القرآن . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط3 1980 م
- الزركلي (خير الدين)
- 42 - الأعلام . دار العلم للملايين . بيروت . لبنان ط7 1986 م
- الزمخشري (أبو القاسم ، محمود بن عمر الخوارزمي) ت : 538 هـ
- 43 - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل
دار المعرفة . بيروت . لبنان
سعد الله أبو القاسم :
- 44 - أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر . المؤسسة الوطنية للكتاب ط 1981 م
- 45 - تاريخ الجزائر الثقافي . المؤسسة الوطنية للكتاب ط 1985 م
- السلاوي (أبو العباس ، أحمد بن ناصر الناصري) ت 1315 هـ
- 46 - الإستقصا في أخبار المغرب الأقصى . تحقيق : جعفر الناصري
ومحمد الناصري . طبعة دار الكتاب . الدار البيضاء 1954 م .
- السيوطي (جلال الدين) ت : 911 هـ .
- 47 - الإتقان في علوم القرآن . عالم الكتب . بيروت . لبنان
- 48 - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . الناشر : دار المعرفة بيروت . لبنان
- 49 - طبقات المفسرين . دار الكتب العلمية . بيروت . ط 1981 م
- 50 - اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة . دار المعرفة . بيروت . ط 1981 م
- الشاطبي (أبو اسحاق إبراهيم اللخمي) ت : 790 هـ
- 51 - الموافقات في أصول الأحكام . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) ت : 548 هـ
- 52 - الملل والنحل . دار المعرفة . بيروت 1983 م
- الشوكاني (محمد بن علي بن محمد) ت : 1255 هـ

- 53 - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة . تحقيق عبد الرحمان بن يحيى العلمي اليماني . مطبعة السنة المحمدية 1978 م
- الطاهر بن عاشور . ت : 1284 هـ
- 54 - تفسير التحرير والتنوير . الشركة التونسية والمؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر) .
- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) ت : 310 هـ
- 55 - جامع البيان في تفسير القرآن . دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . ط
1980 م
- عادل نويهض :
- 56 - معجم أعلام الجزائر . مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والنشر والترجمة . بيروت . ط
1983 م .
- ابن عبد ربه (أحمد بن محمد بن سالم القرطبي الاندلسي) ت : 328 هـ
- 57 - العقد الفريد . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ط 1962 م
- د . عبر الرزاق قسوم :
- 58 - عبد الرحمن الثعالبي والتصوف . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر
- د . عبد القادر جغلول :
- 59 - مقدمة في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط . دار الحداثة ط 1982 م
- د . عبد الهادي الفضيلي :
- 60 - القراءات القرآنية . تاريخ وتعريف . دار القلم . بيروت لبنان ط 1982 م
- العجلوني (اسماعيل بن محمد) ت : 1162 هـ
- 61 - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس . مؤسسة الرسالة بيروت . لبنان ط 1984 م .
- ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله) ت : 543 هـ
- 62 - أحكام القرآن . تحقيق : علي محمد البجاوي . دار المعرفة بيروت
- ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي) ت : 546 هـ
- 63 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . تحقيق المجلس العلمي بفاس .
مطابع فضالة . المغرب ط 1982 م

- ابن العماد الحنبلي (أبي الفلاح عبد الحي) ت : 1085 هـ .
- 64 - شذرات الذهب في أخبار من ذهب .
المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت لبنان .
- أبو عمر (يوسف بن عبد البر) ت : 463 هـ
- 65 - الإستيعاب في معرفة الأصحاب . دار الكتاب العربي . بيروت
- 66 - جامع بيان العلم وفضله . دار الكتب العلمية . بيروت
- الغزالي (حجة الإسلام محمد بن أحمد) ت : 505 هـ
- 67 - إحياء علوم الدين . عالم الكتب . بيروت . لبنان
- ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمرى المالكي) ت : 799 هـ
- 68 - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .
- القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي . ت : 544 هـ
- 69 - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك . تحقيق : أحمد بكير محمود . منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت .
- 70 - الشفا بتعريف حقوق المصطفى . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .
- القرافي (بدر الدين) ت : 946 هـ .
- 71 - توشيح الديباج وحبلىة الابتهاج . تحقيق أحمد الشتيوي . دار الغرب الإسلامي ط 1983 م .
- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري) ت : 671 هـ
- 72 - الجامع لأحكام القرآن . دار الشعب . القاهرة .
- القشيري (أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن) ت : 465 هـ
- 73 - الرسالة القشيرية في علم التصوف . الناشر دار الكتاب العربي . بيروت .
- القفطي (جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف) ت : 624 هـ
- 74 - إنباه الرواة على أخبار اللغويين والنجاة . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الفكر العربي . القاهرة ط 1986 م .
- القنوجي (أبو الطيب ، صديق بن حسن الحسيني البخاري) ت : 1307 هـ
- 75 - التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الأول . دار إقرأ . بيروت . لبنان ط 1983 م

- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل الحافظ) ت : 747 هـ
- 76 - البداية والنهاية . دار الفكر العربي للطبع والنشر ط 1933 م
- 77 - تفسير القرآن العظيم . دار الفكر
- 78 - السيرة النبوية . تحقيق : مصطفى عبد الواحد . دار إحياء التراث العربي .
كحالة (عمر رضا) :
- 79 - معجم المؤلفين . الناشر : مكتبة المثنى ، ودار إحياء التراث العربي . بيروت .
- ابن ماجه (محمد بن يزيد الربيعي القزويني) ت : 273 هـ
- 80 - كتاب السنن . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
- دار الكتاب المصري القاهرة . ودار الكتاب اللبناني
مالك بن أنس الأصبحي ت : 179 هـ
- 81 - الموطأ . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت 1985 م
- 82 - المدونة الكبرى . دار الفكر للطبع والنشر والتوزيع بيروت ط 2 1980 م
- مخلوف (محمد بن محمد) ت : 1355 هـ
- 83 - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
- ابن مريم التلمساني ت : 1014 هـ
- 84 - البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان المطبعة الثعالبية . الجزائر 1908 م
- محمد بن ميمون الجزائري . ت : 917 هـ
- 85 - التحفة المرضية في تاريخ الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية .
تحقيق : د محمد بن عبد الكريم الجزائري .
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ط 1 1972 م
- د . محمد حسين علي الصغير
- 86 - المبادئ العامة لتفسير القرآن العظيم .
المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . بيروت ط 1 1983 م
- محمد الطمار
- 87 - الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر 1983 م

- د . محمود الطحان

88 - أصول التخريج ودراسة الأسانيد . الناشر : مكتبة المعارف . الرياض

- المرزباني (أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى) ت : 384 هـ

89 - معجم الشعراء . تحقيق : عبد الستار أحمد فراج

دار إحياء الكتاب العربي . حلب . سوريا 1960 م

- مسلم (الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري) ت : 261 هـ

90 - الجامع الصحيح . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

- د . مصطفى زيد

91 - النسخ في القرآن الكريم . الناشر : دار الفكر العربي ط 1 1963 م

- المقري (أحمد بن محمد التلمساني) ت : 1041 هـ

92 - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها

لسان الدين الخطيب . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

الناشر : دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان ط 2 1962 م

- أبو نعيم (الحافظ ، أحمد بن عبد الله الأصبهاني) ت : 430 هـ

93 - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء .

الناشر : دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان ط 1967 م .

- نور الدين عبد القادر

94 - صفحات في تاريخ مدينة الجزائر . مطبعة البعث . قسنطينة . الجزائر

- ابن هشام (أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصاري) ت : 761 هـ

95 - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك . المكتبة العصرية صيدا . لبنان .

96 - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . تحقيق د . مازن المبارك ومحمد علي حمد الله . دار

الفكر ط 1969 م

- الهيثمي (نور الدين علي بن أبي بكر) ت : 807 هـ

97 - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . الناشر : دار الكتاب . بيروت . ط 1967 م

- الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى) ت : 914 هـ

98 - المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيا والأندلس والمغرب . دار الغرب

الإسلامي بيروت ط 1983 م

- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله) ت : 626 هـ

99 - معجم البلدان . دار صادر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ط 1955 م

- يحيى بن خلدون (يحيى بن محمد بن الحسن بن خلدون الحضرمي المغربي) ت : 780 هـ

100 - بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد وأيام أبي حمو الشامخة الأطواد .

تحقيق : عبد الحميد حاجيات المكتبة الوطنية الجزائر 1980 م

- يوسف إيلان سرقيس ت : 1351 هـ

101 - معجم المطبوعات العربية والمعربة

مطبعة سرقيس . مصر 1928 م .

عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

المقدمة

الباب الأول . الثعالبي وعصره

- 3 الفصل الأول : الظروف السياسية والإجتماعية
- 12 الفصل الثاني : الحركة الثقافية في عصر الثعالبي
- 23 الفصل الثالث : حياة الثعالبي
- 24 - نسبه ومولده
- 25 - رحلته العلمية
- 28 - إجازاته العلمية
- 33 - موقف الثعالبي من سياسية عصره
- 36 - صفاته وأخلاقه
- 37 - الرؤى والأحلام في حياة الثعالبي
- 38 - شيوخه
- 41 الفصل الرابع : آثار الثعالبي العلمية
- 42 - تلاميذه
- 43 - مؤلفاته

الباب الثاني : منهج الثعالبي في التفسير

- 50 الفصل الأول : موقف الثعالبي من التفسير بالمؤثر
- 53 - تفسير القرآن بالقرآن والسنة
- 57 - تفسير القرآن بمؤثر الصحابة والتابعين
- 62 - موقف الثعالبي من الإسرائيليات
- 67 - اللغة في تفسير الثعالبي

69	- استشهاده بالشعر
70	- النحو
73	- إعجاز القرآن
75	الفصل الثاني: موقف الثعالبي من الأحاديث الواردة في تفسيره
87	الفصل الثالث: موقف الثعالبي من المدارس الأخرى
88	المبحث الأول: موقفه من التفسير بالرأي
94	المبحث الثاني: موقفه من التفسير الإشاري
104	الفصل الرابع: موقف الثعالبي من آيات الأحكام
112	- القراءات في تفسير الثعالبي
115	- موقفه من النسخ في القرآن
121	الفصل الخامس: موقف الثعالبي من المتشابه في القرآن
124	- موقفه من آيات الصفات
127	- موقفه من الفرق الكلامية
135	الفصل السادس: أثر المتقدمين من المفسرين في الثعالبي
147	الفصل السابع: مصادر الثعالبي في التفسير
148	- مصادره في التفسير
151	- مصادره في السنة
157	- مصادره في السيرة والتاريخ
165	- مصادره في التصوف
174	الخاتمة
177	ملحق
172	الفهارس

217

208

-
- 179 - فهرس الآيات
- 189 - فهرس الأحاديث
- 192 - فهرس الأعلام
- 202 - فهرس الأمم والقبائل
- 203 - فهرس الفرق والمذاهب
- 204 - فهرس البلدان
- 206 - فهرس السرايج
- 215 - فهرس الموضوعات

جامعة القادريين
القادر للعلوم الإسلامية

جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
ثلاثة	أربعة	ج	15
خمسة عشر	خمس عشرة	24	9
لأبي عمرو	لأبي عمرو الداني	28	2
لأبن نعيم	لأبي نعيم	28	7
سويل الحدثاني	سويد بن سعيد	28	7
الآداب المفردة	الأدب المفرد	28	8
رواية والمدني	رواية المزني	29	2
الأشعرية	الأشربة	29	4
إبن أبي نافع	إبن أبي قانع	29	4
الصحولي	الطحاوي	29	6
للقروي	للقروري	32	2
التثنية	التثنيه	32	4
إبن قرافة	إبن قدامة	32	4
علوم الحديث	الحديث	54	7
فليتبوا	فليتبوا مقعده	52	14
يجيئون	يجيئون	62	10
مع فارق واحد	مع فارق	62	21
بالمؤثر	بالمأثور	67	6
أسقطت	سقطت	68	14
قولوه	قوله	71	16
لم يكن ركون	لم يكن ركونا	144	2